



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبحان

للغافل



عليه
صباح
الرمضان

www.ghaemiyeh.com
www.ghaemiyeh.org
www.ghaemiyeh.net
www.ghaemiyeh.ir



سلسلة دراسات في جهود الأمام
عليه السلام في النهج الأشرف
وهدى دراسات العلوم الإسلامية

(٢٧)

الأداء وظام الملك

وهدى لإلهي في ذلك الأشرف



تأليف

الشيخ محمد الرضا

٢٢

مكتبة آية الله العظمى الخميني (مد ظله العالی)

٢٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإدارة ونظام الحكم في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشر

كاتب:

سجاد الربيعي

نشرت في الطباعة:

مؤسسة علوم نهج البلاغة

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

5	الفهرس
10	الإدارة ونظام الحكم في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشر
10	هوية الكتاب
14	مقدمة المؤسسة:
17	المقدمة
21	تمهيد:
21	إطالة على شخصية مالك الأشر (رضوان الله عليه).
33	الفصل الاول مفهوم الإدارة والقيادة ومعانيهما
35	المبحث الاول مفهوم الإدارة وفيه مسائل
35	المسألة الأولى: الإدارة لغة.
36	المسألة الثانية: الإدارة في الاصطلاح.
37	المسألة الثالثة: مفهوم الإدارة في القرآن الكريم.
40	المسألة الرابعة: مفهوم الإدارة في الروايات والأحاديث الشريفة.
45	المبحث الثاني مفهوم القيادة (ومعانيها) وارتباطها بالإدارة
45	المسألة الأولى: مفهوم القيادة لغة.
45	المسألة الثانية: مفهوم القيادة في الاصطلاح.
47	المسألة الثالثة: مفهوم القيادة في القرآن الكريم.
49	المسألة الرابعة: مفهوم القيادة في الروايات الشريفة.
53	المسألة الخامسة: العلاقة بين الإدارة والقيادة
55	المبحث الثالث مبادئ الإدارة والقيادة في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشر (رضى الله عنه)
55	المسألة الأولى: الإدارة من موقع العبودية (مبدأ الاعتقاد).
58	المسألة الثانية: وحدة الأوامر وسلسلة المراتب.
63	المسألة الثالثة: تزكية النفس وكسر الشهوات.

70	المسألة الرابعة: الراي العام ومبدأ التوقعات.
81	المسألة السادسة: وسائل التحكم والسيطرة على النفس.
94	المسألة السابعة: الانصاف والعدل مع الرعية.
98	المسألة الثامنة: الانضباط والمساواة.
99	المسألة التاسعة: معايير تقييم العاملين في المنظومة الإدارية.
102	المسألة العاشرة: الرقابة والتحكيم والتقييم.
104	المسألة الحادية عشر: التحفيز.
107	المسألة الثانية عشر: تغليب المصالح العامة على المصالح الشخصية (الأرستقراطية).
115	المسألة الرابعة عشر: المركزية في القرار.
116	المسألة الخامسة عشر: ستر العيوب.
121	المسألة السادسة عشر: حفظ الأسرار.
123	المسألة السابعة عشر: تأثير العلاقات القريبة للمدراء واهتمامهم بالعاملين معهم.
127	المسألة الثامنة عشر: الإحسان والمرتب والمكافأة.
130	المسألة التاسعة عشر: المشورة.
143	المبحث الرابع سمات الشخصية الإدارية القيادية.
143	المسألة الأولى: الدراية.
146	المسألة الثانية: البصيرة.
149	المسألة الثالثة: المعرفة.
152	المسألة الرابعة: العدالة.
158	المسألة الخامسة: القدرة على الأداء.
160	المسألة السادسة: النزاهة.
165	المبحث الخامس تقاطعات عنصر النزاهة.
165	المسألة الأولى: حب الأنا والاحتكار والاستحواذ وحالة أم الاعتداد؟ بالرأي:
166	المسألة الثانية: الرغبة في الشهرة والعجب بالنفس.
168	المسألة الثالثة: ضيق الأفق والتحجر.

169	المسألة الرابعة: الغدر وعدم الوفاء.
171	المسألة الخامسة: الأخلاق السيئة.
172	المسألة السادسة: الحقد.
174	المسألة السابعة: الغلظة والشدة في التعامل.
176	المسألة الثامنة: أزمة الثقة.
176	المسألة التاسعة: طرق تعزيز الثقة.
179	المسألة العاشرة: اللجاج في الرأي.
181	المبحث السادس المعايير الخلقية للشخصية الادارية القيادية في عهد الإمام (عليه السلام) لمالك الأشر (رضى عنه الله).
181	توطئة:
182	المسألة الأولى: التقوى.
182	المسألة الثانية: علاقة الإنسان مع خالقه.
184	المسألة الثالثة: طرق توثيق العلاقة مع الله.
191	المسألة الرابعة: الانتفاع من سنن الماضين.
195	الفصل الثاني مفهوم نظام الحكم ومعانيه.
199	المبحث الأول مفهوم نظام الحكم.
199	المسألة الأولى: مفهوم نظام الحكم في اللغة والاصطلاح.
202	المسألة الثانية: مفهوم نظام الحكم في القرآن الكريم والروايات الشريفة.
211	المبحث الثاني ضرورة وجود الحاكم ووظائفه الرئيسية في الدولة.
211	المسألة الأولى: ضرورة الحكم ووجود الحاكم.
213	المسألة الثانية: العلاقة بين الحاكم والأمة.
216	المسألة الثالثة: واجبات الحاكم إزاء الأمة.
221	المبحث الثالث مبادئ العلاقة في إدارة الواجبات.
221	المسألة الأولى: الحقوق المتبادلة.
224	المسألة الثانية: التسامح واللين.
225	المسألة الثالثة: المساواة بين الناس في الحقوق.

229	المبحث الرابع مفهوم الحكم في عهد الإمام (عليه السلام) إلى مالك (رضى الله عنه)
229	المسألة الأولى: عدم تشبه الحاكم بالله في جبروته لأن الحكم أمانة وتكليف إلهي.
232	المسألة الثانية: موقع الرحمة في الحكم.
234	المسألة الثالثة: الرؤية الفكرية في تقييم الآخرين.
237	المسألة الرابعة: مبدأ العفو والصفح في التعامل مع الناس.
240	المسألة الخامسة: عوامل نجاح الحاكم في المنظومة القيادية.
247	المسألة السادسة: الكفاءة والالتزام بالمسؤولية.
249	المسألة السابعة: محاربة الله سبحانه وتعالى.
252	المسألة الثامنة: التنزه عن الصفات السلبية ونبذ سياسة ردود الأفعال.
254	المسألة التاسعة: المسؤولية والاستبداد.
256	المسألة العاشرة: معالجة أمراض السلطة.
258	المسألة الحادية عشر: إنصاف الحاكم وظلمه.
261	المسألة الثانية عشر: ظلم العباد وحلول العقوبة الالهية.
265	المسألة الثالثة عشر: غض النظر والتغافل.
267	المسألة الرابعة عشر: الاستعانة بأصحاب التجربة والخبرة.
274	المسألة الخامسة عشر: معيار نجاح الولاية.
277	المسألة السادسة عشر: صفات المقررين من الحاكم.
284	المسألة السابعة عشر: ثقة الحاكم بالامة.
285	المسألة الثامنة عشر: وسائل تحقيق حسن ظن الحاكم بالرعية.
291	المسألة التاسعة عشر: المعيار في حسن الظن وسوء الظن:
295	الفصل الثالث: الأهداف العامة للحكم قوله (عليه السلام):
297	توطئة
299	المبحث الأول السياسة المالية توفير الإيرادات المالية
304	المسألة الأولى: الخمس والزكاة.
308	المسألة الثانية: الجزية.

313	المسألة الثالثة: الركاز والمعادن.
313	المسألة الرابعة: الفيء.
317	المسألة الخامسة: الغنائم.
319	المسألة السادسة: أموال الخراج والمقاسمة.
320	المسألة السابعة: سياسة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في الخراج.
332	المسألة الثامنة: سياسة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيت مال المسلمين ومصارفه.
343	المبحث الثاني السياسة الحربية المتمثلة بالجهاد توفير الأمن والدفاع.
343	المسألة الأولى: مفهوم الجهاد لغة وشرعاً.
344	المسألة الثانية: أهمية الجهاد في الإسلام.
346	المسألة الثالثة: أقسام الجهاد.
354	المسألة الرابعة: الأدلة في فضيلة الجهاد.
375	المبحث الثالث التنمية البشرية والإصلاح الاجتماعي.
375	المسألة الأولى: معاني الإصلاح اصطلاحاً.
376	المسألة الثانية: الإصلاح في الكتاب العزيز والروايات المطهرة.
380	المسألة الثالثة: مبادئ الإصلاح.
386	المسألة الرابعة: تقسيمات الإصلاح.
401	المبحث الرابع التنمية الاقتصادية.
401	المسألة الأولى: عناصر التنمية الاقتصادية.
414	المسألة الثانية: الآداب والقيم الأخلاقية للنشاط الاقتصادي.
421	الخاتمة:
451	المحتويات
459	تعريف مركز

الإدارة ونظام الحكم في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشر رحمه الله

المؤلف: الربيعي، سجاد عبد الحليم. - مؤلف. العنوان: الإدارة ونظام الحكم في عهد الامام علي (عليه السلام) لمالك الاشر (رضوان الله عليه): دراسة تحليلية. بيان المسؤولية: تأليف الشيخ سجاد عبد الحليم الربيعي. بيانات الطبعة: الطبعة الاولى. بيانات النشر: كربلاء العراق: العتبة الحسينية المقدسة، مؤسسة علوم نهج البلاغة، 2018 / 1439 للهجرة. الوصف المادي: 429 صفحة؛ 24 سم. سلسلة النشر: سلسلة بحوث في العهد العلوي، الدراسات الإدارية؛ (1). تبصرة ببيوغرافية: يتضمن هوامش، لائحة المصادر الصفحات (411-429). موضوع شخصي: الشريف الرضي، محمد بن الحسين، 359 - 406 للهجرة - نهج البلاغة. - عهد مالك الاشر - شرح. موضوع شخصي: علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام الاول، 23 قبل الهجرة - 40 للهجرة - احاديث. موضوع شخصي: علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام الاول، 23 قبل الهجرة - 40 للهجرة - رسائل. موضوع شخصي: علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام الاول، 23 قبل الهجرة - 40 للهجرة سياسته وحكومته. موضوع شخصي: مالك بن الحارث الاشر النخعي، توفي 39 للهجرة - نقد و تفسير. مصطلح موضوعي: نظام الحكم في الاسلام. مصطلح موضوعي: النظام الاداري في الاسلام. مؤلف اضافي: الحسني، نبيل قدروري، 1965، مقدم. اسم هيئة اضافي: العتبة الحسينية المقدسة. مؤسسة علوم نهج البلاغة - جهة مصدرة عنوان اضافي: نهج البلاغة. عنوان اضافي: عهد مالك الاشر.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية

ص: 1

ISBN 978-9933-582-36-4 I7899335823641 رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ببغداد 374 لسنة 2018 مصدر الفهرسة:

IQ - KaPLI ara IQ-KaPLI rda رقم الاستدعاء: 2018 A4 R83.BP38/02 المؤلف: الربيعي، سجاد عبد الحليم. - مؤلف. العنوان: الإدارة ونظام الحكم في عهد الامام علي (عليه السلام) لمالك الاشر (رضوان الله عليه): دراسة تحليلية. بيان المسؤولية: تأليف الشيخ سجاد عبد الحليم الربيعي. بيانات الطبعة: الطبعة الاولى. بيانات النشر: كربلاء العراق: العتبة الحسينية المقدسة، مؤسسة علوم نهج البلاغة، 2018 / 1439 للهجرة. الوصف المادي: 429 صفحة؛ 24 سم. سلسلة النشر: سلسلة بحوث في العهد العلوي، الدراسات الإدارية؛ (1). تبصرة ببيوغرافية: يتضمن هوامش، لائحة المصادر الصفحات (411-429). موضوع شخصي: الشريف الرضي، محمد بن الحسين، 359 - 406 للهجرة - نهج البلاغة. - عهد مالك الاشر - شرح. موضوع شخصي: علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام الاول، 23 قبل الهجرة - 40 للهجرة - احاديث. موضوع شخصي: علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام الاول، 23 قبل الهجرة - 40 للهجرة - رسائل. موضوع شخصي: علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام الاول، 23 قبل الهجرة - 40 للهجرة سياسته وحكومته. موضوع شخصي: مالك بن الحارث الاشر النخعي، توفي 39 للهجرة - نقد و تفسير. مصطلح موضوعي: نظام الحكم في الاسلام. مصطلح موضوعي: النظام الاداري في الاسلام. مؤلف اضافي: الحسني، نبيل قدروري، 1965، مقدم. اسم هيئة اضافي: العتبة الحسينية المقدسة. مؤسسة علوم نهج البلاغة - جهة مصدرة عنوان اضافي: نهج البلاغة. عنوان اضافي: عهد مالك الاشر.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية

ص: 2

سلسلة دراسات في عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر رحمه الله (37) وحدة دراسات العلوم الإدارية

الإدارة ونظام الحكم في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر رضى الله عنه تأليف الشيخ سجاد الربيعي اصدار مؤسسة علوم نهج
البلاغة في العتبة الحسينية المقدسة

ص: 3

جميع الحقوق محفوظة العتبة الحسينية المقدسة الطبعة الأولى 1438 هـ - 2017 م العراق - كربلاء المقدسة - مجاور مقام علي الأكبر
(عليه السلام) مؤسسة علوم نهج البلاغة الموقع الإلكتروني: www.inahj.org الإيميل: Inahj.org@gmail.com

تنويه: إن الأفكار والآراء المذكورة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر العتبة الحسينية المقدسة

ص: 4

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما أنعم وله الشكر بما ألهم والثناء بما قدم من عموم نعمٍ ابتدأها وسبوغ آلاء أسداها والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين محمد وآله الطاهرين.

أما بعد:

فإن من أبرز الحقائق التي ارتبطت بالعترة النبوية هي حقيقة الملازمة بين النص القرآني والنص النبوي ونصوص الأئمة المعصومين (عليهم السلام أجمعين).

وإن خير ما يُرجع إليه في المصاديق لحدِيث الثقلين «كتاب الله وعترتي أهل بيتي» هو صلاحية النص القرآني لكل الأزمنة متلازماً مع صلاحية النصوص الشريفة للعترة النبوية لكل الأزمنة.

وما كتاب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) لمالك الأشر (عليه الرحمة والرضوان) إلا أنموذجاً واحداً من بين المئات التي زخرت بها المكتبة الإسلامية والتي اكتنزت في متونها الكثير من الحقول المعرفية مظهرة بذلك احتياج الإنسان إلى نصوص الثقلين في كل الأزمنة.

ص: 5

من هنا:

ارتأت مؤسسة علوم نهج البلاغة أن تخصص حقلاً معرفياً ضمن نتاجها المعرفي التخصصي في حياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وفكره، متخذة من عهده الشريف إلى مالك الأشتر (رحمه الله) مادة خصبة للعلوم الإنسانية التي هي أشرف العلوم ومدار بناء الإنسان وإصلاح متعلقاته الحياتية وذلك ضمن سلسلة بحثية علمية والموسومة ب(سلسلة دراسات في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رحمه الله)، التي ستصدر بإذن الله تباعاً، حرصاً منها على إثراء المكتبة الإسلامية والمكتبة الإنسانية بتلك الدراسات العلمية والتي تهدف إلى بيان أثر هذه النصوص في بناء الإنسان والمجتمع والدولة متلازمة مع هدف القرآن الكريم في إقامة نظام الحياة الآمنة والمفعمة بالخير والعطاء والعيش بحرية وكرامة.

والبحت الموسوم ب «الإدارة ونظام الحكم في عهد الإمام علي (عليه السلام) المالك الأشتر (رضوان الله عليه)» يقدم فيه الباحث دراسة تحليلية في معالم العهد الشريف وهو يعد نافذة تطل على مفاهيم الإدارة ونظام الحكم، وقد سعى الباحث الى استقاء حلوله لكثير من المشاكل المرتبطة بنظام الحكم وادارة البلاد والمجتمع من فكر الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام).

فجزى الله الباحث خير الجزاء فقد بذل جهده وعلى الله أجره والحمد لله رب العالمين..

السيد نبيل الحسني الكربلائي رئيس مؤسسة علوم نهج البلاغة

ص: 6

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله المصطفى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى اصحابه المنتجبين الميامين.

تؤلف قضايا إدارة نظام الحكم بمختلف أشكالها وأنواعها الحجر الأساس في النظرية الإسلامية بل الحجر الأساس في كل ما جاءت به الملل السماوية والشرائع الإلهية على الإطلاق، فقد اختزل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام جميع القوانين الإلهية والشرائع السماوية في مسيرته وحياته الشريفة التي جسد فيها الأهداف الساوية في جوانبها وحقيقتها من خلال رسالة العهد الناصع للبشرية جمعاء.

وتحتوي وثيقة العهد التي ضمنها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لمالك الاشر رضوان الله عليه واليه على مصر من الوثائق الإدارية المهمة في النظام الإسلامي وتعد من الأصول المعتمدة والأساسية التي ازدهرت بها كتب التراث الإسلامي حيث احتوت هذه الوثيقة في مضمونها أسساً ومبادئ ونظاماً إدارياً

متكاملاً في جوانبه وقد استندت هذه الوثيقة إلى الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة والسيرة العلوية الشريفة. وقد عكست الصورة الحقيقية للنظام والحكم الإسلامي الحقيقي عبر إنشاء علاقة بين الحاكم والمحكوم أو بين الراعي والرعية وكيفية منح المناصب الإدارية والقيادية وتوزيعها وتقديم المصالح العامة على المصالح الشخصية، وليست هذه الوثيقة تتسم بالطابع الديني فحسب بل تعدت الى النظم العلمية في الإدارة ونظام الحكم.

فجاء الكتاب بعنوانه (الإدارة ونظام الحكم في عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر رضوان الله عليه) لبحث جانباً من الجوانب المهمة في الرسالة السماوية والمنصب الإلهي المتمثل في فكر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في تطبيق آليات النظام الإداري عبر إعطاء البشرية أنموذجاً اسمي في المجتمع الإداري وقيادة الأمة ويهدف الكتاب في مضمونه الى تحديد المعالم الأساسية للنظام الإداري في النظرية الإسلامية من خلال إبراز الفكر الإداري والقيادي للإمام أمير المؤمنين عليه السلام في رسالة العهد التي خطها لواليه على مصر الصحابي الجليل مالك الأشتر رضوان الله عليه.

وجاءت فكرة طرح هذا الموضوع من خلال التتبع للدراسات الواقعية في مضمون رسالة العهد للإمام أمير المؤمنين عليه السلام بأن هناك ضعفاً وخلاً كبيرين في الدراسات الواقعية في مضمون رسالة العهد.

يرى الباحث أنه يمكن عن طريق الدراسات التحليلية لمقاطع العهد من التوصل إلى معالجة المشاكل الإدارية التي تستهدف مؤسسات الدولة أولاً ومواجهة التحديات الإدارية الصعبة وتحويلها إلى فرص عمل في المسارات الصحيحة من خلال إنشاء منظومة إدارية متكاملة.

1- أهداف البحث:

الهدف من الدراسة هو تحديد المعالم الأساسية للنظام الإداري في النظرية الإسلامية، من خلال إبراز الفكر الإداري والقيادي للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في رسالة العهد التي خطها لواليه على مصر الصحابي الجليل مالك الأشتر (رضوان الله عليه).

2- مشكلة البحث:

هناك ضعف و خلل كبيرين في الدراسات الواقعة في مضمون رسالة العهد للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، يرى الباحث أنه يمكن عن طريق الدراسات الموضوعية لمقاطع العهد من التوصل إلى معالجة المشاكل الإدارية التي تستهدف مؤسسات الدولة أولاً، ومواجهة التحديات الإدارية الصعبة وتحويلها إلى فرص عمل في المسارات الصحيحة، من خلال إنشاء منظومة إدارية متكاملة.

3- مناهج البحث:

هناك طرق وأساليب عديدة يستخدمها الباحثون في دراساتهم للوصول إلى الهدف المنشود من الدراسة، وكذلك في الحصول على أدق النتائج لهذه الدراسة وقد استخدم الباحث المنهج العلمي الوصفي التحليلي، وهو أحد المناهج العلمية النظرية ويستخدم في أغلب الأبحاث العلمية ويعتمد الرجوع إلى الكتب والمراجع والمصادر و كل ما يتعلق بموضوع الدراسة، ويستفاد منه في تحديد المفاهيم التي يعتمدها الباحث في دراسته.

بغية الوصول إلى أهداف البحث والتحقق من مشكلة البحث، فقد تمّ تقسيم البحث إلى ثلاثة فصول فضلاً عن المقدمة والتمهيد والاستنتاجات والتوصيات والخاتمة.

الفصل الأول: مفهوم الإدارة ومعانيها: وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الإدارة في اللغة والاصطلاح والقرآن والسنة المطهرة.

المبحث الثاني: مبادئ الإدارة في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الاشر (رضوان الله عليه) وفيه عشرون مسألة.

المبحث الثالث: سمات الشخصية الإدارية القيادية.

المبحث الرابع: المعايير الخلقية للشخصية الإدارية القيادية في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الاشر (رضوان الله عليه)

الفصل الثاني: مفهوم نظام الحكم ومعانيه، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم نظام الحكم في اللغة والاصطلاح والقرآن الكريم والسنة المطهرة.

المبحث الثاني: ضرورة وجود الحاكم ووظائفه الرئيسية في الدولة.

المبحث الثالث: مفهوم الحكم في عهد الامام علي (عليه السلام) لمالك الاشر (رضوان الله عليه).

الفصل الثالث: الأهداف العامة للحكم.

وقد فصلنا البحث فيه إلى أربعة مباحث، لنقف عندها من خلال التفصيل الآتي:

المبحث الاول: (السياسة المالية توفير الإيرادات المالية).

قوله عليه السلام: (جِبَايَةَ خَرَاجِهَا).

المبحث الثاني: (السياسة الحربية المتمثلة بالجهاد). (توفير الأمن والدفاع).

قوله عليه السلام: (وَجِهَادَ عَدُوِّهَا).

المبحث الثالث: (التنمية البشرية). الإصلاح الاجتماعي.

قوله عليه السلام: (وَاسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا).

المبحث الرابع: (التنمية الاقتصادية)

قوله عليه السلام: (وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا).

تمهيد:

إطالة على شخصية مالك الاشر (رضوان الله عليه).

لابد لنا قبل الخوض في تفاصيل العهد من ان نقف عند مالك الاشر الذي خصه أمير المؤمنين (عليه السلام) بهذا العهد الذي اختزل فيه نظرية إدارة نظام الحكم في مهمة أوفدها لحكم مصر.

من هو مالك الأشر؟ خصوصياته؟ كيف جسد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) هذه النظرية في تطبيقاتها العملية حينما أوفده في هذه المهمة؟

إن الوقوف عند شخصية مالك الاشر سيشير إلى طبيعة العلاقة في المنظومة القيادية بين القائد والقيادات الوسطية فضلاً عن ان الوقوف عند خصوصيات مالك ورؤيته إزاء علي (عليه السلام) ورؤية علي (عليه السلام) إزاءه، يشير إلى الخصائص والمميزات والمواصفات الذاتية والموضوعية التي يجب ان تتوافر في من يتصدى للمواقع القيادية.

ص: 11

ولد مالك الاشر (رضوان الله عليه) في اليمن قبل البعثة النبوية الشريفة بمدّة وجيزة من قبيلة (نخع) - حسبما ذكر السيد محسن الأمين في كتابه أعيان الشيعة - وهي من القبائل العربية الاصيلية، ثم انتقل إلى العراق واقام في الكوفة وقد عاصر رسول الله: (صلى الله عليه وآله وسلم) ولكنه لم يره ولم يسمع حديثه ومن ثم لم يصنف من الصحابة، غير أن مالكا ذُكر عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال فيه: «إنه المؤمن حقاً»⁽¹⁾.

وهذه شهادة كبيرة من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بحق مالك الاشر حينما وصفه بالمؤمن حقاً اي انه يتميز بالمرتبة العليا من الايمان والتقوى والورع.

وهذا يكشف لنا أن مالكا (رضوان الله عليه) لم يكن شخصاً نكرة ومجهولاً في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالرغم من شبابه وفتوته، وكذلك فيما جاء في الرواية من أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لجمع من الصحابة، وكان فيهم أبو ذر الغفاري:

«ليموتن أحدكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين»

فما كان من أمر أبي ذر (رضوان الله عليه) إلا أن توفي في صحراء الرّيدّة، فجاءت قافلة من بين أفرادها مالك الأشر وحجر بن عدي، فدفنوا جثمانه الطاهر بتكريم بالغ. ويروى أن مالك الأشر كفّنه وصلّى عليه ودفنه، يُعينه على ذلك جمع من الناس، وفي مثل تلك الحال من الأسي والحزن اللذين استوليا على مالك، وضع يده على تراب القبر وقال بلوعة:

ص: 12

(اللهم، فهذا أبوذر ناصر نبيك، الذي عَبَدَكَ عبادة العابدين، وجاهد المشركين في سبيلك، ولم يغيّر ديناً أو يبدّل سُنَّةً، وقد رأى منكراً فاعترض عليه بقلبه ولسانه، فَظَلِمَ وَنُفِيَ وَازْدُرِيَ حتى قضى غريباً في الصحاري. اللهم فاهلك من حَرَمَهُ ونَفَاه وأبعده عن حرم نبيك ودار هجرته (فرغ الحاضرون جميعاً أيديهم وأمنوا على دعائه)(1).

خطى مالك الأشتر منذ إسلامه على نهج السنّة النبوية والسيرة العلوية، رغم رحيل النبي محمد المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) وتولّي الأمر ثلاثة من أصحابه، فإنه لم يتخلّ يوماً عن أهل البيت (عليهم السلام) الورثة الحقيقيين للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فضلاً عن أنه كان من المدافعين عن حريمهم وحقّهم بضّ راوة. وقد أسهم في عزل بعض الولاة المُعيّنين من قبَل الخلفاء، عبر اعتراضه على سلوكياتهم، وقد هيأ الأرضية المناسبة لإنصاف المظلومين والاستجابة لشكاوى المسلمين. ومن جملة ذلك، اعتراضه على جرائم الوليد بن عقبة، مما أدى إلى تنحيته عن ولاية الكوفة.

وكذلك اشتكى مالك وبعض الصحابة والعظماء الآخرين من ظلم سعيد بن العاص، وهو والٍ آخر للكوفة، لكن عثماناً كان ميّالاً بشدة إلى قومه وعشيرته، ولذلك فقد بادر إلى نفي مالك وعدد من الأجراء مثل كميل بن زياد وصعصعة ابن صوحان و ثابت بن قيس إلى الشام، ثم لما لم يستطع معاوية بن أبي سفيان إسكات صوت مالك الصادح بالحقيقة، فقد أبعد هؤلاء الأكارم بأمر عثمان إلى حمص التي كان يحكمها عبد الرحمن بن خالد وفي نهاية المطاف أثمرت مساعي مالك الشجاعة في خلع سعيد بن العاص أيضاً بالقوة عن ولاية الكوفة(2).

ص: 13

1- شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج 15، ص 99؛ وينظر وسائل الشيعة، ج 2، ص 306؛ منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، حبيب الله الخوثي، ج 20، ص 163

2- ينظر: الأعلام من الصحابة والتابعين: الحاج حسين الشاكري، ج 3 ص 105

وقد ورد في خصاله في كتب التاريخ أنه (الكريم المغدق)، جاء في مجمع البحرين: الربيع المغدق ذو المطر الكثير والغيداق الرجل الكريم(1) أي أنه ذو كرم وسخاء وكان يعطي بكثرة مما كان يمتلكه للآخرين وهذه من الصفات المهمة التي ينبغي أن تتوفر في القيادة.

(الشجاع الفتاك) أي انه لم يكن شجاعاً فحسب، بل كان فائق الشجاعة وكان (رضوان الله عليه) حينما يبرز في الحروب يصل فيها ويوقع بالعدو أمدح الخسائر، والفتاك الفاتك الجريء والجمع الفتاك والفتك أن يأتي الرجل صاحبه وهو غار غافل حتى يشد عليه فيقتله(2).

(الخطيب القدير) والقدير ذو القدرة البالغة(3) أي كان خطيباً مفوهاً، يهيمن على سامعيه ويبعث فيهم روح الحماسة.

(الشاعر الصوال) المصاولة المواثبة يقال رب قول أشد من صول(4) أي كان شاعراً بليغاً ينظم الشعر متى أراد وفي شتى أبواب الشعر.

وهذا التعريف يكشف لنا عن تنوع في شخصية مالك الاشر (رضوان الله عليه)، ممكن أن يكون الشخص رجل حرب وقائداً عسكرياً محترفاً ويكون في مجال آخر أديباً وشاعراً ويكون في صورة أخرى رجلاً اجتماعياً وكرام النفس يحسن التواصل مع الناس فشخصية مالك الاشر شخصية متنوعة لجميع الخصال الحميدة، فهو رجل متميز ومتألق.

ص: 14

1- مجمع البحرين: الطريحي، ج 4 ص 218

2- الصحاح في اللغة: الجواهري، ج 2 ص 33

3- معجم الوسيط: للطبراني، مادة قدير، ج 2 ص 352

4- لسان العرب: ابن منظور، ج 11، ص 387

لقب بالأشتر: لأن احدى عينيه أصيبت في معركة اليرموك التي وقعت بين المسلمين والروم في السنة الثالثة عشرة للهجرة، وهو وسام شرف للتصدي لتحمل المسؤولية وللقتال بسالة دفاعاً عن الاسلام وعن الرسالة الاسلامية.

وكانت له ادوار مهمة في حروب الردة فقد دخلت مجاميع كبيرة في الاسلام بعد فتح مكة ولكن بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) و تخلف المهاجرين والانصار عن الامامة وتحول الخلافة النبوية إلى ملك عضوض نشطت حركات ادعاء النبوات الكاذبة التي كانت موجودة منذ حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) واستقطبت مجموعة من القبائل طمعا في السلطة، وأخذوا يشكلون خطراً على الإسلام في ارجاء الجزيرة العربية مما اضطر المسلمين ان يخوضوا معهم حروباً سميت بحروب الردة.

عندما نريد ان نقيّم شخصية مالك الاشتر (رضوان الله عليه) لابد من أن نعرف منزلته عند الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لأنه عارف بمنزلة الإمام عليه السلام في الموقف والنصرة.

فكان مالك (رضوان الله عليه) عارفاً بمنزلة أمير المؤمنين (عليه السلام) و مبينا لها للأخرين، وهذه خصوصية مهمة للمنظومة القيادية وهي ربط الناس بإمام زمانهم.

كان مالك من أولئك النفر الذين كانوا يكشفون للناس حقيقة الجرائم وأنواع الخيانة التي كانت تُرتكب من قبل عثمان وولاته، ما أدى إلى أن ينالوا جزاءهم، وبعد مقتل عثمان، راح مالك الأشتر يدعو الناس بخطبٍ استدلالية وتصريحات منطقية ومقنعة إلى مبايعة مولاه أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) ويهيئ الأرضية المناسبة لخلافة الإمام. ويُروى أن مالك الأشتر النخعي كان أول مسلم يصفح

يد الإمام عليّ (عليه السلام) في بيعته على الخلافة ويقول: (أيها الناس هذا وصي الأوصياء ووارث علم الأنبياء، العظيم البلاء الحسن العناء في أيام الشدة، شهد له كتاب الله بالإيمان، ورسوله بجنة الرضوان من كملت فيه الفضائل، ولم يشك في سابقته وعلمه وفضله الأواخر ولا الأوائل)(1).

وفي خطبة أخرى له كان يستعد فيها للقتال ويشحذ همم المقاتلين الذين يقفون ويدافعون عن المشروع الإلهي يقول فيها: (معنا ابن عم نبينا، وسيف من سيوف الله علي بن أبي طالب، صلى مع رسول الله، لم يسبقه إلى الصلاة ذكر حتى كان شيخا، لم تكن له صبوة ولا نبوة ولا هفوة ولا سقطعة. فقيه في دين الله تعالى، عالم بحدود الله، ذو رأي أصيل، وصبر جميل، وعفاف قديم، فاتقوا الله وعلّموا أنكم على الحق وأن القوم على الباطل، إنما تقاتلون معاوية وأنتم مع البدرين، قريب من مائة بدري، سوى من حولكم من أصحاب محمد، أكثر ما معكم رايات قد كانت مع رسول الله، ومع معاوية رايات قد كانت مع المشركين على رسول الله، فما يشك في قتال هؤلاء إلا ميت القلب، أنتم على إحدى الحسنين، إما الفتح وإما الشهادة، عصمنا الله وإياكم بما عصم به من أطاعه واتقاه، وألهمنا وإياكم طاعته وتقواه، وأستغفر الله لي ولكم)(2).

وهذه كلها سمات مهمة في القيادة، فالقائد يجب أن يكون عالما باتخاذ الموقف الصحيح وأين يكون الاقدام وأين يكون الاحجام وأين يرفع صوته وأين يخفضه وأين يخفض جناحه لأخرين ويتعامل معهم برفق. فالحزم والجهد والوقوف مع القيادة واستنفار الطاقات وشحذ الهمم هي من السمات التي يجب أن تكون في الأمة التي تسير خلف قائد تتوافر فيه المواصفات القيادية المطلوبة.

ص: 16

1- تاريخ يعقوبي: ج 2، ص 179، وينظر: معالم المدرستين السيد مرتضى العسكري: ج 2، ص 219

2- شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج 5، ص 190

هكذا كان مالك الاشر في تقييمه لعلي (عليه السلام) وفي حث الناس نحوه وفي دعوة الناس إليه وفي ربط الناس به.

كان علي (عليه السلام) يعرف معادن الرجال ويعرف من هو مالك فكان مالك رجل المهام الصعبة في معركة الجمل وفي ظروف حرجة حصل فيها عملية التشكيك والتردد والاختلاف داخل المنظومة القيادية يقا تل ببسالة وشجاعة قل نظيرها، وعندما انتهت المعركة هنا ارسل أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى مالك ليأتي ويتحمل هذه المسؤولية، أرسله الإمام (عليه السلام) إلى منطقة (الجزيرة) (1) ليكون واليا عليها.

و حينما كلفه بهذه المهمة ارسل معه كتابا إلى زياد بن نضير و شريح بن هاني يقول فيه (وقد أمرت عليكما وعلى من في حيز كما مالك بن الحارث الأشر فاسمعا له وأطيعا، واجعلاه درعا ومجنا، فإنه ممن لا يخاف وهنه ولا سقطته ولا بطؤه عما الاسراع إليه أحزم، ولا إسراعه إلى ما البطي عنه أمثل) (2).

وخاض مالك حرب صفين إلى جانب أمير المؤمنين (عليه السلام) و كان قائدا على ميمنة الجيش وكادت الحرب تنتهي بالنصر لولا الخدعة برفع المصاحف والدعوة إلى التحكيم التي رفضها أمير المؤمنين (عليه السلام) و مجموعة من المخلصين معه.

وبعد انتهاء حرب صفين جاء دور مصر التي كان عليها محمد بن أبي بكر (رضوان الله عليه) كان شابا يافعا وقد اختاره الإمام (عليه السلام) لمصر بوصفها لم تكن

ص: 17

1- مناطق الموصل وسنجار وما يطلق عليها اليوم شمال العراق، منطقة واقعة على حدود الشام. أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، ج9، ص41

2- نهج البلاغة: خطب الإمام علي (عليه السلام) ج3، ص14

محوراً للصدام والصراع في تلك المرحلة، فحينما أصبحت ساحة للمواجهة وبدأت الغارات تتوالى عليها، وجه قيادة مالك الأشرى إليها بوصفه رجل المهام الصعبة ليذهب ويقاوم في تلك المعركة الضروس فارساً له الإمام (عليه السلام) رسالة ذكر فيها تقييمها له حيث قال (سلام الله عليه):

«أما بعد فإنني قد وليت النعمان بن عجلان البحرى بلا ذم لك فأقبل غير ظنين وأخرج إليه من عمل ما وليت فقد أردت الشخصوى إلى ظلمة أهل الشام وبقية الأحزاب فأحببت أن تشهد معي لقاءهم فإنك ممن استظهر به على إقامة الدين ونصر الهدى جعلنا الله وإياك من الذين يعملون بالحق وبه يعدلون»⁽¹⁾.

ومن كتبه عليه السلام لمالك أنه قال وهو يومئذ بنصيبين:

«أما بعد: فإنك ممن استظهرته على إقامة الدين، وأقمع به نخوة الأئمة، وأشد الثغر المخوف، وكنت وليت محمد بن أبي بكر مصر فخرجت عليه بها خوارج وهو غلام حدث ليس بذى تجربة للحرب ولا بمجرب للأشياء، فأقدم على النظر في ذلك فيما ينبغي، واستخلف على عملك أهل الثقة والنصيحة من أصحابك. والسلام»⁽²⁾.

كان الإمام علي (عليه السلام) يعتبر مالك الأشرى جديراً بحكم مصر، فلذلك فقد دعاه إلى الكوفة وأعطاه عهده المعروف، وبعث به إلى هناك. فما كان من معاوية الذي كان يُدرك أنه لو دخل مالك الأشرى مصر فإنها ستتحول إلى قاعدة قوية وراسخة للخلافة العلوية، فدبر خطة لاغتياله، وهو ما تحقق له في نهاية المطاف.

ص: 18

1- تاريخ اليعقوبى: ج 2، ص 201

2- الغدير: الشيخ الأمينى: ج 11، ص 63؛ تاريخ الطبرى: محمد بن جرير الطبرى، ج 4، ص 71

فقد استشهد مالك الأشتر في أرض القلزم بمصر على يد نافع مولى عثمان بن عفان الذي سقاه شراباً مزيجاً من السم والعسل(1).

ذكر بعض المؤرخين أن مالك الأشتر استشهد في رجب عام 37هـ (657م)، ولكن يبدو أن الصواب هو الخامس والعشرون من ذي القعدة عام 38 للهجرة. ومن الأدلة المتوافرة يمكن تخمين عمره بأكثر من سبعين عاماً. أما فيما يتعلق بمحل دفن جثمانه الطاهر، فقد ذهب بعض المؤرخين إلى أنه دُفِنَ في القلزم ذاتها، ولكن كثيرين يعتقدون أيضاً أن جثمانه حُمِلَ من القلزم ودُفِنَ في المدينة المنورة، حيث يوجد قبره المعروف والمشهور الآن، وسبب ذلك هو أن مرافقيه لم يدفنوه في القلزم خشيةً من أن يأمر معاوية لشدة معاداته له بنش قبره وإهانة جثمانه الطاهر(2).

أدت وفاته إلى حزن الإمام (عليه السلام) حزناً بالغاً والبكاء عليه كثيراً، ثم ارتقائه المنبر دافع العين، وقوله:

«لله درّ مالك، لو كان من جبل لكان أعظم أركانه، ولو كان من حجر كان صلباً. أما والله ليهدن موتك عالماً، فعلى مثلك فلتبك البواكي»(3).

ثم قال:

«إنا لله وإنا إليه راجعون والحمد لله رب العالمين، اللهم إني أحسبه عندك، فإن موته من مصائب الدهر، فرحم الله مالكا، فقد وفي بعهده وقضى نحبه ولقي

ص: 19

-
- 1- ينظر: تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني: 13/10، معصوم دوم: 233/2، وورد في بعض المصادر أن شهادة مالك الأشتر كانت في سنة 39هـ راجع شرح نهج البلاغة: 317/6
 - 2- حياة مالك الأشتر: 176 177. ولكن الذي توصل إليه نجل المؤلف بأن استشهاده كان في سنة 39هـ، ودفن في مصر راجع ما ألفه في مالك الأشتر
 - 3- مستدرک الوسائل: ميرزا حسن النوري الطبرسي: ج 2، ص 47؛ الآمالي، الشيخ المفيد، ص 83

ربه، مع أنا قد وَطَّنا أنفسنا أن نصبر بعد مصابنا الرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فإنها من أعظم المصيبة»

ثم نزل (عليه السلام) من المنبر كسير الخاطر محزون القلب وتوجَّه إلى بيته. وفي هذه الأثناء، تشرَّف مشايخ قبيلة نَخَع (وهم أبناء عمومة مالك) بزيارة بيت الإمام لتعزيته، فوجدوه يتلهف ويتأسف عليه وهو يقول:

«لله دَرّ مالك، وما مالك لو كان من جبل لكان فنداً، ولو كان من حجر لكان صلداً. أما والله ليهدنّ موتك عالماً وليفرحنّ عالماً، على مثل مالك فلتبك البواكي وهل موجود كمالك»⁽¹⁾.

قال علقمة النخعي: (فما زال علي (عليه السلام) يتلهف ويتأسف حتى ظننا أنه المصاب به دوننا، وعرف ذلك في وجهه أياماً)⁽²⁾ قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في وصف مالك:

«ليت فيكم مثله إثنان، بل ليت فيكم مثله واحد يرى في عدوي مثل رأيه»⁽³⁾.

وقد عدّق المحدث القمي (رحمه الله) على هذه الرواية في الهامش قائلاً: (إن عمرو بن الحمق الخزاعي الذي كان من حواربي أمير المؤمنين (عليه السلام) ومشهوراً بالجلالة والفضل، بل قيل في حقه أنه كان من أمير المؤمنين بمنزلة سلمان من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: ليت أن في جندي مائة مثلك (لكنه قال في الأثر (رضوان الله عليه): ليت

ص: 20

1- الغارات: ابراهيم بن محمد الثقفي الكوفي، ج 1، ص 266

2- بحار الأنوار: ج 33، ص 556

3- بحار الأنوار: ج 33، ص 556، حديث 459، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج 6، ص 77؛ الإرشاد، الشيخ المفيد، ج 1، ص 269

فيكم مثله واحد يرى في عدوكم مايري، إذا لخفت على مؤونتكم ورجوت أن يستقيم لي بعض أودكم وقد نهيتكم عما أتيتم فعصيتموني
فكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن:

وهل أنا إلا من غزيرة إن غوت *** غويت وإن ترشد غزيرة أرشد(1) تحفة الأحاب: 427، بحار الأنوار: 33 / 454، سفينة البحار:
385/4(2)

فتأمل في ذلك ليدلك على مرتبة رفيعة وجلالة.

رثاء مالك الاشر (رضوان الله عليه):

ورثي جماعة من الشعراء مالكا كان منهم المثنى، يقول:

ألا ما لضوء الصباح أسود حالك *** وما للرواسي زعزعتها الدكادك

ومالهموم النفس شتى شئونها *** تظلّ تناجيتها النجوم الشوابك

على مالك فليبك ذو الليث معولا *** إذا ذكرت في الفيلقين المعارك

إذا ابتدر الخطي وانتدب الملا *** وكان غياث القوم نصر مواشك

إذا ابتدرت يوما قبائل مذحج *** ونودي بها أين المظفر مالك

فلهفي عليه حين تختلف القنا *** ويرعش للموت الرجال الصعالك

ولهفي عليه يوم دبّ له الردى *** وديف له سمّ من الموت حانك

فلو بارزوه يوم بيغون هلكه *** لكانوا بإذن الله ميت وهالك

ولو مارسوه مارسوا ليث غابة *** له كالتى لا ترقد الليل فاتك

فقل لابن هند لومنيت بمالك *** وفي كفه ماضي الضريبة باتك

لألفيت هندا تشتكي على الردى *** تنوح وتخبوها النساء العواتك(3)

ص: 21

-1

-2

3- نهج السعادة في مستدرک نهج البلاغة، الشيخ المحمودي، ج2، ص464

وما عساني ان اقول في رجل هزمت حياته أهل الشام وهزم موته أهل العراق لأسفهم عليه ولفقدهم إياه فكان ذلك المخلص الذي وقف مع علي (عليه السلام) وجاهد معه في سبيل الله.

السلام عليه يوم ولد ويوم استشهد مظلوما ويوم بيعت حيا.

ص: 22

المبحث الاول مفهوم الإدارة وفيه مسائل

المسألة الأولى: الإدارة لغة.

يقال (إدارة) (اسم) إدارة: (مصدر أدار)

أدار: (فعل) أدارَ يُدير، أدر، إدارةً، فهو مُدير، والمفعول مُدار أدار حول الشيء: دار (1)

وقيل: (دار الشيء يدور دورا و دورانا، واستدار وأدرته أنا ودورته، وأداره غيره ودوارا دار معه) (2).

والادارة المصدر القياسي من الفعل (أدار فالمدبرون يتولى الفض في الشيء ومن يتولى جهة معينة من البلاد) (3) (حيث يسيّر أمور أو إدارة شركة أو مدرسة أو مؤسسة ويشرف على أعمالها) (4).

ص: 25

1- المعجم الوسيط، ابراهيم مصطفى النجار، ج 1، ص 726، باب الدال

2- لسان العرب، ابن منظور، ج 4، ص 592، مادة دور

3- المنجد في اللغة: لويس معلوف، ص 18

4- الرائد: جبران، مسعود، ص 64

المسألة الثانية: الإدارة في الاصطلاح.

تعرف الإدارة اصطلاحاً بتعاريف متعددة أهمها:

بأنها (سياسة الدولة وريادة مجتمعتها في المعترك الإنساني بشيء من مناهجه ومناشطه من حيث ممارسة السلطات العامة التي تتولى حكم المجتمع وحمايته وتدير مواضعه والحفاظ على تقاليدته)(1).

أو (إنها تنظيم القوى البشرية والمادية لتحقيق الأهداف الحكومية، والإداريون: هم أولئك الذين يختصون بتوجيه وتنسيق ورقابة الآخرين)(2).

وهي (نسيج متمايز من المهارات والقدرات الشخصية تبلور في القدرة على تحليل المشاكل وابتكار الحلول لها والتي تتوافر في تشئة الافراد الموهوبين والمؤهلين طبيعياً لممارسة الاعمال الادارية والنجاح فيها)(3).

ولخص أحد الباحثين علم الإدارة (بأنه علم وفن وأنها علم يستمد من النظريات الفلسفية والفكرية وظيفية في مضمار إدارة المجتمع ومنظماته الانسانية المختلفة ومن يعتمد على صيغ ذلك التعامل مع البشر لأن الإنسان الفرد حصيلة متفاعلة مع المتغيرات الموروثة والتأثير في ذلك الفرد أو الجماعة أو المجتمع)(4).

ويرى الباحث أن الإدارة هي: نشاط وسلوكيات متبعة من قبل المدراء في توجيه وتخطيط وتنظيم وترشيد ورقابة الاداء والجهد المبذول من قبل الأفراد في المنظومة الإدارية.

ص: 26

1- لغة الإدارة العامة في صدر الإسلام: عبد السميع الهروي ص 26

2- مبادئ علم الإدارة العامة: سليمان الصحاوي، ص 15-16

3- اساسيات الادارة: د. علي السلمي، ص 3

4- الاتجاهات الفكرية عند الامام علي: رحيم محمد سالم، سلسلة اطاريح الدكتوراه، ص 8

فيتحصل من مفهوم الادارة ما يلي:

1- إن الإدارة مجموعة أوامر ونواهي يوجهها الإداري نفسه بعد ما تناط به مهام القيادة وتوافر الشروط.

2- أن الإدارة تعني وضع أهداف المؤسسة في ضوء دراسة معمقة لبيئتها الداخلية والخارجية ثم القيام بالوظائف اللولبية للإدارة التخطيط والتنظيم والتوجيه والرقابة، التي تؤدي إلى تحقيق تلك الأهداف.

المسألة الثالثة: مفهوم الإدارة في القرآن الكريم.

لقد بيّن القرآن الكريم بوضوح الخصائص المميزة للإدارة العامة في الإسلام من خلال الامور الآتية:

أولاً: الأعمال الصالحة.

ما ورد في سورة العصر قال تعالى:

«وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ»(1).

تشير الآيات المباركة في سورة العصر إلى مفهوم الإدارة في الاسلام من خلال ممارسة النشاطات المباحة من أجل الوصول إلى الاهداف المرجوة التي تتفق مع روح المصلحة العامة، التي تحكم طبيعة الإنسان في العمل من خلال تحديد مساره نحو الفساد والخسران أو اختيار العمل الصالح الذي يؤدي دوراً مهماً في إنقاذ حياة الإنسان، فيرسم لنا الشارع المقدس أنه لا يمكن التهاون مطلقاً في هذا الجانب المهم وهما الوسيلة والغاية أي أن يكونا مقبولين شرعاً من أجل أن يكون العمل صالحاً فلا إيمان بدون العمل الصالح وإبداء النصح والتحلي بالصبر.

ص: 27

ثانيا: العبادة والمعرفة.

قوله تعالى:

«وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ»(1).

إشارة إلى ان الإدارة في المنظومة الاسلامية تمثل العبادة المطلقة لله سبحانه وتعالى، ومن مصاديق مفهوم العبادة هو خدمة الناس وتحقيق أهدافهم وتطلعاتهم.

ثالثاً: الامانة والعهد.

ما ورد في قوله تعالى:

«وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ»(2)

الآية المباركة سلطت الضوء على عنصر مهم من عناصر الإدارة ما يسمى بالإدارة الرقابية، المتمثلة بحسن الشعور الذاتي في تحمل مسؤولية الأمانة والخوف من الله سبحانه وتعالى لأنه هو الرقيب والحسيب.

رابعاً: التدبير:

وهناك آيات اخرى اشارت إلى مفهوم الإدارة بمعنى التدبير في الامور.

منها قوله تعالى:

«ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ»(3)

ص: 28

1- الذاريات: 56

2- المؤمنون: 8

3- يونس: 3

وقوله تعالى:

«يُدَبِّرُ الْأُمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ»(1).

قال تعالى:

«أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ»(2)

خامساً: التقدير:

قال تعالى:

«وَاللَّهُ يَقْدِرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»(3).

قَدَّرَ اللهُ عَلَيْهِ الْمَصَائِبَ: حَكَمَ بِهَا عَلَيْهِ، قَدَرَهُ اللهُ عَلَى قِيَادَةِ أُمَّتِهِ: جَعَلَهُ قَادِرًا عَلَى قِيَادَتِهَا.

أَعْمَالُهُ لَا تَقْدَرُ بِثَمَنِ: تَفُوقُ كُلَّ ثَمَنِ(4).

فيتحصل: إن الإدارة في الفهم الاسلامي تمثل تدبير وتقدير الأمور والطاعة لله سبحانه وتعالى وتتجسد في أداء الأمانة وتعهده الأعمال الصالحة في خدمة المجتمع وفق منهج الرسالة السماوية وأهل البيت (عليهم السلام) بما يحقق الثواب في الدنيا والفوز بالآخرة.

ص: 29

1- السجدة: 5

2- نساء: 82

3- المزمّل: 20

4- تاج العروس: الزبيدي، ص 3373

المسألة الرابعة: مفهوم الإدارة في الروايات والأحاديث الشريفة.

يصطلح مفهوم الإدارة في الروايات الشريفة على أمور:

أولاً: التقنين والتدبير العقلي.

في معاني الاخبار في خبر أبي ذر قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

«لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكفِّ ولا حسب كحسن الخلق»⁽¹⁾.

والتدبير هنا بمعنى التفكير في عواقب الأمور وحسن التخطيط والإدارة الصحيحة.

وعن جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) قال:

«لا يصلح المرء إلا على ثلاث خصال؛ التفقه في الدين وحسن التقدير في المعيشة والصبر على النائة»⁽²⁾.

وفي أمالي الطوسي عن أيوب بن الحر قال (سمعت رجلاً يقول لأبي عبد الله عليه السلام بلغني أن الاقتصاد والتدبير في المعيشة نصف الكسب فقال أبو عبد الله عليه السلام:

«لا بل هو الكسب كله ومن الدين التدبير في المعيشة»⁽³⁾.

فحسن التدبير له تأثير كبير على رقي شخصية الإنسان من خلال مايمدّه من نفاذ بصيرة في شؤون الحياة، وأكد الامام (عليه السلام) على ان التدبير سبيل للرفي الاقتصادي حيث قال:

ص: 30

1- تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): للحراني ابن شعبه ص 263

2- تحف العقول: للحراني ص 263

3- الامالي: للطوسي، ج 2، ص 45؛ مستدرک سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي، ج 7، ص 507

«حسن التدبير ينمي قليل المال وسوء التدبير يفني كثيره»(1).

وعنه (عليه السلام) قال:

«كن سمحاً ولا تكن مبذراً وكن مقدراً ولا تكن مقتراً»(2).

«فدع الاسراف مقتصداً»(3).

«ألا وإن إعطاء المال في غير حقه تبذير وإسراف»(4).

ومن أمور حسن التدبير الاقتصاد في المعيشة، وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

«ما عال امرؤ في اقتصاد»(5).

وقال أيضاً:

«ما عال من اقتصد»(6).

ويؤكد الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) على وجوب إنصاف المؤمنين برؤية مستقبلية تديرية:

«وحفظ ما في يدك أحب إلي من طلب ما في يدي غيرك»(7).

ص: 31

1- عيون الحكم والمواعظ: للواسطي، ص228؛ ميزان الحكمة: الريشهري، ج2، ص1385

2- نهج البلاغة: حكمة 33

3- نهج البلاغة: رسالة 31

4- نهج البلاغة: خطبة 126

5- ميزان الحكمة: ريشهري ج3 ص557

6- نهج البلاغة حكمة 140

7- نهج البلاغة: رسالة 31

ثانياً: المعرفة والخبرة:

تعد المعرفة والخبرة من موارد التدبير لأن الإنسان صاحب العلم والخبرة يكون مدبراً، ولرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كلام عن التدبير عندما خاطب ابن مسعود قائلاً:

«يا ابن مسعود إذا عملت عملاً فاعمل بعلم وعقل وإياك أن تعمل عملاً بغير تدبير وعلم فإنه جل جلاله يقول: «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَصَتْ غَزَلُهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَأَتْ» (1)» (2).

ومن موارد المعرفة في المنهج الإداري عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول:

«المؤمنون هم الذين عرفوا ما أمامهم» (3).

ثالثاً: التخطيط والتنظيم وحسن الإدارة.

إشارة إلى تنظيم وإيجاد رؤية مستقبلية غير ضيقة منسجمة وفق الإرادة الإلهية في تقدير أمور الحياة ومعيشة الإنسان، فإن ذلك من علامات أهل الإيمان كما ورد في وصية الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام):

«أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله، ونظم أمركم» (4).

ويمكن أن نستفيد من هذه الوصية أموراً منها:

ص: 32

1- النحل: 92

2- بحار الانوار: للمجلسي ج 74 ص 110؛ وينظر مكارم الاخلاق للطبرسي ص 458؛ الوافي: للفيض الكاشاني، ص 222

3- بحار الانوار: للمجلسي ج 75، ص 25

4- نهج البلاغة: خطب الإمام علي عليه السلام، ج 3، ص 76

1- يؤكد الإمام (عليه السلام) بوصيته على التنظيم وضبط الامور وتحقيق الاهداف.

2- يعدُّ الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) التقوى سوراً حصيناً في المنظومة الإدارية.

3- يؤكد (عليه السلام) على حسن التدبير وعدم ضياع الجهود .

أقول: تشير هذه الأحاديث إلى حقيقة التدبير في الفهم الإسلامي من خلال ايجاد رؤية معمقة للدين الإسلامي واحكامه والذي يتم عبرها تكوين أيديولوجيا عملية منسجمة مع النظرية الاسلامية في الحفاظ على الاعتدال وعدم الاسراف والتبذير والمحافظة على الحقوق والذي يعتمد على التقوى.

ص: 33

المبحث الثاني مفهوم القيادة (ومعانيها) وارتباطها بالإدارة

المسألة الأولى: مفهوم القيادة لغة.

(قيادة: من قاد، قيادة: (اسم) مصدر قَادَ، القيادة: زعامة، القيادة: قدرة على معاملة الطبيعة البشرية أو على التأثير في السُّلوك البشري لتوجيه جماعة من النَّاس نحو هدف مشترك بطريقة تضمن بها طاعتهم وثقتهم واحترامهم وتعاونهم)⁽¹⁾.

والقيادة: اسم الفاعل منها قائد ويجمع على قادة والقود نقيض السوق فالقود من الامام والسوق من الخلف والقائد يطلق على أنف الخيل أي مقدمته⁽²⁾.

ويرى الباحث أن القيادة هي الزعامة لتوجيه الناس نحو الأهداف المعينة.

المسألة الثانية: مفهوم القيادة في الاصطلاح.

عندما نريد ان نتحدث عن مفهوم القيادة لا نعني بذلك الموقع القيادي المتمثل برئيس الدولة بل هناك أدوار للقيادة مترتبة وفق وجود الإنسان في المجتمع على الصعيد الفردي، إذ أن القيادة بمفهومها الواسع عرفت بتعاريف عديدة نكتفي ببعض منها:

ص: 35

1- المعجم الوسيط: ابراهيم محمد النجار، ج2، ص456

2- لسان العرب: ابن منظور: ج3، ص370، مادة قود؛ المصباح المنير، للفيومي، ج8، ص6

القيادة: (تشمل أي جهد لتشكيل سلوك الأفراد أو الجماعات في المؤسسات حيث تحصل المؤسسة من خلالها على مزايا أو تحقيق لأغراضها)(1)

أو أنها (عملية تحريك الناس نحو الهدف)(2).

أوهي قدرة الشخص على التأثير على الآخرين وتوجيه سلوكهم لتحقيق أهداف مشتركة.

فهي إذن مسؤولية إزاء المجموعة المقودة للوصول إلى الأهداف المرسومة.

ومن وجهة نظر الباحث: القيادة في الإسلام هي الزعامة وتولي أمور المسلمين العامة، كقيادة الجيوش والقضاء والسيطرة على الموارد الاقتصادية والبشرية وفق المعايير الصحيحة المنسجمة مع الرؤية الإسلامية والفهم الإسلامي مما يحقق الحياة الطيبة في بناء المجتمع ومؤسساته والالتزام بالقوانين الإلهية.

فيتحصل: من تعريف القيادة هي قدرة الشخص على إدارة الموارد البشرية وفقاً للمسارات والتخطيط الصحيح في انجاح المشروع والمهمة المناطة به حتى وإن كانت هذه المهمة على مستوى بسيط والهدف من ذلك هو تحقيق ما يتطلع إليه الآخرون ضمن المنظومة الاجتماعية في معالجة المشاكل وتحقيق الأهداف، قال الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة:

«لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ، وَيَسْتَمْتَعُ فِيهَا

ص: 36

1 - 30 وصية ووصية لتكون قائداً ناجحاً: د. أبو القاسم أبو بكر طنطاوي ص 12، نسخة الكترونية، موقع مكتبة صيد الفواد الالكتروني:

kenanaonline./users/Drk8 2cem/posts /291377

2- صناعة القائد: د. طارق السويدان، احمد بشرحيل، ص 40، (الطبعة الثانية) 1442هـ - 2003م (كتب التنمية البشرية)

الكافر، وَيُبَلِّغُ اللَّهُ فِيهَا الْأَجَلَ، وَيُجْمَعُ بِهِ الْفَىءُ، وَيُقَاتَلُ بِهِ»(1).

المسألة الثالثة: مفهوم القيادة في القرآن الكريم.

يعدّ مفهوم القيادة في القرآن الكريم من المفاهيم المشتقة التي تعطي الروح العامة للمعنى الذي يتحدث عنه القرآن ويعبر عنه في العديد من الآيات الشريفة في معاني مختلفة منها.

أولاً: القدوة والأسوة.

قوله تعالى:

«أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ»(2).

ومعنى (اقتده) هنا عند المفسرين من الاقتداء واتباع الأثر والأخذ بهديهم.

وأما الأسوة، أولها ما نسب إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

«لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ»(3).

وورد في ثانيها منوطاً بالقدوة والاسوة بالنبي إبراهيم (عليه السلام) وأتباعه:

«قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ»(4).

وهناك تأكيد في مورد ثالث في القرآن الكريم على القدوة والأسوة بشكل عام

ص: 37

1- نهج البلاغة: باب المختار من خطب أمير المؤمنين، خطبة 40؛ بحار الأنوار للعلامة المجلسي، ج33، ص358

2- الأنعام: 90

3- الأحزاب: 21

4- الممتحنة: 4

في قوله تعالى:

«لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» (1).

ثانياً: الحكم

ويأتي أيضا استخدام لفظ القيادة بمعنى الحكم، كما في قوله تعالى:

«وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ» (2).

ثالثاً: الخلافة

ويشير القرآن إلى لفظ القيادة بمعنى الخلافة: القيادة في تنفيذ الحكم، مثل قوله تعالى:

«يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ» (3).

رابعاً: الأمة

وقد استعمل القرآن الكريم أيضا مصطلح أمة مرة واحدة بمعنى القيادة:

«إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا» (4).

خامساً: الطاعة

وتمثل القيادة في جانب آخر معنى الطاعة والاتباع:

«وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» (5).

ص: 38

1- الممتحنة: 6

2- الجاثية: 16

3- ص: 26

4- النحل-120

5- الأنعام: 155

وهناك آيات اشارت إلى مفهوم القيادة تدلل على السمات الخلقية التي يمتاز بها القائد:

«فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ» (1).

سابعاً: الاصطفاء.

ويدل مصطلح القيادة في القرآن الكريم على معنى الاصطفاء:

«إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» (2).

فتحصل من الآيات التي استعرضناها في مفهوم القيادة في الاسلام أنها نقل الناس مما هم عليه إلى ما يجب أن يكونوا عليه، أي توجيه الناس إلى ما فيه مصالحهم وتحقيق طموحاتهم وتطلعاتهم في بناء المجتمع.

المسألة الرابعة: مفهوم القيادة في الروايات الشريفة.

ورد مفهوم القيادة في الأحاديث المروية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام في كثير من المواضع وبطرق مختلفة وبعبارات كلها تشير إليه في صورة صريحة أو ضمنية ومنها:

ص: 39

1- آل عمران: 159

2- آل عمران: 33 - 34

أولاً: الوالي أو الحاكم.

ما جاء عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): عن علي عن صالح بن السندي عن جعفر بن بشير عن حنان عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

«لا تصلح الإمامة إلا لرجل فيه ثلاث خصال - ورع يحجزه عن معاصي الله وحلم يملك به غضبه وحس الولاية على من يلي - حتى يكون لهم كالوالد»(1) وفي رواية أخرى: حتى يكون للرعية كالأب الرحيم»(2).

ثانياً: العدالة.

وفي رواية أخرى تبيّن أهمية القيادة الصالحة في أوساط الناس ما رواه أيضاً بسند صحيح عن محمد بن مسلم، قال سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول:

«... والله يا محمّد، من أصبح من هذه الأمة لا إمام له من الله - عزّ وجلّ ظاهر عادل أصبح ضالاً تائهاً. وإن مات على هذه الحالة مات ميتة كفر ونفاق واعلم يا محمد، أن أئمة الجور وأتباعهم لمعزولون عن دين الله، قد ضلّوا وأضلّوا»(3).

ثالثاً: الشجاعة والحلم والرفقة.

إنّ القيادة تمثل الشجاعة والسياسة والحلم ونحوها، ماله دخل في حسن قيادة الأمة؛ ما مرّ من نهج البلاغة:

ص: 40

1- الكافي: الكليني، ج1، ص407، الحديث 8؛ الوافي: الفيض الكاشاني، ج3، ص653

2- المصدر السابق

3- دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية: الشيخ المنتظري: ج1، ص195؛ الوافي: الفيض الكاشاني، ج2، ص119؛ الحدائق

الناظرة، المحقق البحراني، ج13، ص294

«أيُّها الناس، إنَّ أحقَّ الناس بهذا الأمر أفواهم عليه، وأعلمهم بأمر الله فيه. فإنَّ شغب شأغب استعتب، فإنَّ أبا قوتل»(1).

رابعاً: العلم والمعرفة.

وفي مضمون حسن القيادة ما في الاحتجاج عن أمير المؤمنين (عليه السلام):

«أنا أولى برسول الله...، وأفقهكم في الدين، وأعلمكم بعواقب الأمور، وأذربكم لساناً، وأثبتكم جناناً»(2).

وفي حديث آخر عن الرضا (عليه السلام):

«والإمام عالم لا يجهل، وراع لا ينكل... نامي العلم، كامل الحلم، مضطلع بالإمامة، عالم بالسياسة، مفروض الطاعة، قائم بأمر الله، ناصح لعباد الله، حافظ لدين الله»(3).

ومعنى كلمة (نكول) قال في المنجد: (نكل نكولا عن كذا أو من كذا: نكص وجبن. وفيه أيضاً: ضلّع ضلاعة: كان قوياً شديداً الأضلاع... اضطلع بحمله: نهض وقوى عليه»(4).

ص: 41

1- نهج البلاغة: 173

2- نهج البلاغة، الخطبة 173؛ بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج 28، ص 185؛ مرآة العقول في شرح أخبار الرسول، العلامة المجلسي، ج 26، ص 341؛ الاحتجاج: الطبرسي، ج 1، ص 46، باب ما جرى بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

3- أصول الكافي: ج 1، ص 202، كتاب الحجّة، باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته، ح 1؛ الوافي: الفيض الكاشاني، ج 3، ص 484؛

الامالي: الشيخ الصدوق، ص 778

4- المنجد في اللغة: علي بن الحسن الهنائي المشهور بكراع النحل، ص 838

خامساً: حسن الإدارة والسياسة.

وفي الغرر والدرر عن أمير المؤمنين (عليه السلام):

«من حسنت سياسته وجبت طاعته»⁽¹⁾.

وعن علي (عليه السلام):

«ان الله جعلني إماماً لخلقه ففرض علي التقدير في نفسي ومطعمي ومشربي وملبسي كضعفاء الناس كي يقتدي الفقير بفقري ولا يطغي الغني غناه»⁽²⁾.

سادساً: الابتعاد عن الدنيا.

وعن الصادق عليه السلام:

«إذا رأيتم العالم محباً للدنيا فاتهموه على دينكم، فإنّ كلّ محبّ بشيء يحوط ما أحبّ. وقال: اوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: لا تجعل بيني وبينك عالماً مفتوناً بالدنيا، فيصدّك عن طريق محبّتي. فإنّ أولئك قطع طريق عبادي المرئيين. إنّ ادني ما انا صانع بهم ان انزع حلاوة مناجاتي من قلوبهم»⁽³⁾.

من هنا نستطيع القول: ان الحاكم الاسلامي (القائد) له حق على الأمة فتصبح العلاقة بينه وبين الناس ليست مجرد علاقة توكيل وعقد اجتماعي بل هي علاقة طاعة وتسليم لأن وجوده يمثل الخلافة الإلهية والامتداد السماوي في الأرض.

ص: 42

1- غرر والدرر: ج5، ص211، ح8025

2- الكافي: ج1 ص410؛ ح1؛ حلية الأبرار، السيد هاشم البحراني، الجزء الثاني، ص215

3- بحار الانوار، ج7، ص11، ح2

المسألة الخامسة: العلاقة بين الإدارة والقيادة

من خلال ما توصلنا اليه من تعريفات سابقة في مفهوم الإدارة والقيادة نجد هناك تشابهاً بينهما في بعض الجوانب لكنهما يفتقران في بعض النواحي واشتراكهما في وحدة الاهداف مع العلم أن القيادة والإدارة ليسا مفهومين منفصلين عن بعضهما تماماً وقد حددت النظرية الاسلامية الاطار العام والاسس التي تقوم عليها العلاقة بين الإدارة والقيادة في اداء الواجبات والمسؤوليات ويمكن تلخيص الاسس التي تشكل الاطار العام لطبيعة هذه العلاقة بالنقاط الآتية:

- 1- تتركز الإدارة عموماً على العناصر المادية للمؤسسة من توجيه الافراد كل ضمن مجهوداتهم ومهاراتهم والاعتماد على الأشخاص في المستويات العليا وفق نظام التخطيط والتنظيم والرقابة في تحديد مسارات وسياسات المؤسسة.
- 2- (وعكس ذلك تماماً في القيادة إذ تركز بشكل كبير على العنصر البشري وتهتم به وبتنمية مهاراته وقدراته وتدريبه؛ لتحفيزه على أداء العمل وإنجاز الأهداف)(1).
- 3- تعدّ الإدارة جزءاً من القيادة، فالقيادة في المنظومة الاسلامية تشكل إدارة بلد بكل مكوناته وطاقاته بينما الإدارة تتضمن إدارة جزء معين من هذه المكونات (تركز على المعايير وحل المشكلات وإتقان الأداء، والاهتمام باللوائح والنظم واستعمال السلطة)(2) وهذا ما يسمى بالعلاقة المتبادلة بين الإدارة والقيادة والنسبة بينهما ليست نسبة العام بالخاص بل تظهر هذه النسبة في طبيعة كل منهما..

ص: 43

1- القيادة أساسيات ونظريات و مفاهيم. ماهر محمد صالح حسن، عمان (الأردن)، ص85

2- الإدارة المعاصرة: عادل ثابت، ص183

من هنا يتضح ان العلاقة بين الادارة والقيادة تشكل محورا اساسيا في نظام ادارة الحكم وعليه فإن الامام علياً (عليه السلام) (استطاع تشخيص العناصر القيادية الفاعلة وتحديد ملامحهم وسلوكياتهم ووظائفهم كما كان على قدر كبير من الدقة في تشخيص الشخصيات الادارية وفرزها عن الشخصيات القيادية)⁽¹⁾

فالدور القيادي يعدّ دوراً مستقلاً ينظم علاقة الأمة بالحكم وطبيعتها من خلال اتخاذ القرارات وتشخيص المصالح العليا للبلد.

ص: 44

1- ملامح القيادة الناجحة في ضوء منهجية الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام): محمد عبد الرضا هادي الساعدي: ص 46

المبحث الثالث مبادئ الإدارة والقيادة في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضي الله عنه)

من خلال هذا المبحث نتعرف على المبادئ الإدارية الأساسية في عهد الإمام (عليه السلام) لمالك الأشتر المتمثلة بالخصائص والعناصر والواجبات والمهام الملقة على عاتق المدير والتي يجب تحقيقها في المنظومة الإدارية.

تتركز مبادئ الإدارة في العهد على المسائل الآتية:

المسألة الأولى: الإدارة من موقع العبودية (مبدأ الاعتقاد)

قوله (عليه السلام):

«هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ الْأَشْتَرِ»⁽¹⁾.

تشير هذه العبارة إلى مفردة يتحدث بها الامام (عليه السلام) وهي نظريته في الإدارة والقيادة. وماذا تعني العبودية لله سبحانه وتعالى، وما هي مدخلة العبودية لله في موضوع الإدارة.

يريد الإمام (عليه السلام) أن يسلط الضوء على سلوكيات المدراء وانطباعاتهم وتصوراتهم وهم في موقع المسؤولية، هناك انطباعات وسلوكيات تدفع الإنسان نحو التسلط وحب الدنيا وحب الجاه. ماذا تكون خلفية من يحمل هذه السلوكيات والانطباعات فيمن يكون في موقع السلطة لاشك ولا ريب أنه حينما يصل إلى موقع المسؤولية سيتخذ مجموعة من الاجراءات القاسية والقرارات الظالمة ويسير نحو الانحراف في تضييع الاهداف وخدمة الناس، ويعتقد بأن من يعمل

ص: 45

تحت إمرته هو عبد ويتعامل معه تعامل المولى مع عبده، وليس تعامل مسؤول مع مرؤوسين يستحقون الاهتمام والرعاية كما هو في فكر الإمام (عليه السلام).

وهناك من ينظر إلى موقع المسؤولية على أنها محطة لهداية الناس وخدمتهم ومحطة يؤتمن فيها على مصالح الناس يضمن من خلالها حقوق الآخرين.

فالجانب السلوكي والمعتقد له أثر كبير في مسار أداء المدراء على كافة الأصعدة، ممكن أن يؤدي المدير دورا بارزا وسلوكا مغايرا لمعتقداته لكن على المستوى البعيد لا يستطيع المدير أن يخفي تأثير معتقداته.

الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) يقدم مفتاحا سحريا من مفاتيح النجاح والتفوق في الادارة المالك الأشتر (رضوان الله عليه) وهو العبودية لله تعالى والاعتقاد بالمبدأ.

وهذه القضية ليست قضية من القضايا الثانوية أو قضية لا صلة لها بموضوع الادارة والقيادة، العبودية لله استحضر العلاقة بين الإنسان وربه لها الاثر العميق في مجمل السلوك الاداري في كافة المراتب، هذا الاستحضار يجعل الإنسان المسؤول والقيادي يمارس علاقة الانسانية وفق النظرية الاسلامية وليست العلاقة السلطوية مع غيره من العاملين تحت إمرته.

ومن الجدير بالذكر أن الدور الإداري والقيادي يجب أن تتوافر فيه حالة الحزم والقوة وهذان الأمران يجب أن لا يتقاطعان مع علاقة الإنسان بربه وعلاقة المسؤول في سلسلة المراتب ومع من يعمل تحت أمرته.

من هنا يشير الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في عهده لمالك الأشتر (رضوان الله عليه) واصفا حالة التعامل والانسجام في النظام الاداري وفق الرؤية الاسلامية.

«فَأَعْطَاهُمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ
وَلَاكَ وَقَدْ اسْتَكْفَاكَ أَمْرُهُمْ وَابْتَلَاكَ بِهِمْ وَلَا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللَّهِ فَإِنَّهُ لَا يَدُ لَكَ بِنِقْمَتِهِ وَلَا غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ..... أَنْصِبِ اللَّهُ
وَأَنْصِبِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوَى مِنْ رَعِيَّتِكَ فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلِمُ وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ خَصَمَهُ دُونَ
عِبَادِهِ وَمَنْ خَاصَمَهُ اللَّهُ أَذْخَصَ حُجَّتَهُ وَكَانَ لِلَّهِ حَرْبًا حَتَّى يَنْزِعَ وَيَتُوبَ وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللَّهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةِ عَلَى
ظُلْمٍ، فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمُضْطَهَّدِينَ وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمَرْصَادِ (1).

فعلاقة الإنسان بربه والعبودية لله سبحانه وتعالى تختلف تماما، فهي ليست علاقة تجميد وإنما هي علاقة انطلاق وتكامل فإن استعمال
كلمة (عبدالله) تعني ان الإنسان في ذروة الكمال لا يمتلك سوى الرحمة والقدرة الإلهية التي يتصل بها ويتزود منها ويتحرك من خلالها
فيبقى الإنسان في هذا الطرف الوجودي والسعة الذاتية والقدرات الشخصية المحدودة، فينبغي للإنسان المتصدي الارتباط بالمبدأ متوكلا
عليه سبحانه وتعالى. قال (عليه السلام).

«وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلَى إِعْطَاءِ كُلِّ رَغْبَةٍ أَنْ يُؤَفِّقَنِي وَإِيَّاكَ لِمَا فِيهِ رِضَاؤُهُ مِنَ الْإِقَامَةِ عَلَى الْعُذْرِ الْوَاضِحِ إِلَيْهِ وَإِلَى خَلْقِهِ
مَعَ حُسْنِ الثَّنَاءِ فِي الْعِبَادِ وَجَمِيلِ الْأَثْرِ فِي الْبِلَادِ وَتَمَامِ النُّعْمَةِ وَتَضَعِيفِ الْكِرَامَةِ وَأَنْ يَخْتِمَ لِي وَلَكَ بِالسَّعَادَةِ وَالشَّهَادَةِ إِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ
وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا وَالسَّلَامُ».

ص: 47

نلاحظ أن الإمام (عليه السلام) في بداية كلامه وختامه كان يذكر الله تعالى ومرضاته والتأكيد على القضايا الخاصة، من خلال وضع الصور الظاهرية في الاطار العام للأهداف المرسومة من خلال الفكر الابداعي للمسؤول صاحب الشعور والادراك العميق للعبودية لله سبحانه وتعالى، من حيث صبره على القضايا الموقته ولا يضيع نفسه من خلال هواه ولا يفقد توازنه وإن صار زعيماً على الدنيا وما فيها فإنه يقف ليقول كلمة الفصل والارتباط لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

فيتحصل من ذلك: ان الرؤية الاسلامية التي يحملها المسؤول (العبودية لله والايمان بالمبدأ) هما الركنان الاساسيان في تحقيق الاهداف الادارية في مسارات صحيحة.

المسألة الثانية: وحدة الأوامر وسلسلة المراتب.

قوله (عليه السلام):

«وَأَعْلَمُ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لَا يَصِدُّ لُحٌّ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ وَلَا غِنَى بِبَعْضٍهَا عَنْ بَعْضٍ فَمِنْهَا جُنُودُ اللَّهِ مِنْهَا كُتَّابُ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ وَمِنْهَا قُضَاةُ الْعَدْلِ وَمِنْهَا عُمَّالُ الْأَنْصَافِ وَالرَّفْقِ وَمِنْهَا أَهْلُ الْجَزَايَةِ وَالْخَرَاجِ مِنْ أَهْلِ الذَّمِّ وَمُسَلِّمَةِ النَّاسِ وَمِنْهَا التُّجَّارُ وَأَهْلُ الصَّنَاعَاتِ وَمِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْمَسْكِينَةِ وَكُلُّ قَدْ سَمَى اللَّهُ سَهْمَهُ وَوَضَعَ عَلَى حَدِّهِ وَفَرِيضَتِهِ فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ (صلى الله عليه وآله) عَهْدًا مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظًا فَالْجُنُودُ بِإِذْنِ اللَّهِ حُصُونُ الرَّعِيَّةِ وَزَيْنُ الْوَلَاةِ وَعِزُّ الدِّينِ وَسُبُلُ الْأَمْنِ وَلَيْسَ تَقْوَمُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِهِمْ ثُمَّ لَا قِيَامَ لِلْجُنُودِ إِلَّا بِمَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْخَرَاجِ الَّذِي يَقْوُونَ بِهِ عَلَى جِهَادِ عَدُوِّهِمْ وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيمَا يُصَلِّحُهُمْ وَيَكُونُ مِنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِمْ ثُمَّ لَا قِيَامَ لِهَدْيِ الصَّنَفَيْنِ إِلَّا بِالصَّنَفِ الثَّلَاثِ مِنَ الْقُضَاةِ وَالْعُمَّالِ وَالْكَتَّابِ لِمَا يُحْكِمُونَ مِنَ الْمَعَاقِدِ وَيَجْمَعُونَ مِنَ الْمَنَافِعِ وَيُؤْتَمِنُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ الْأُمُورِ وَعَوَامِّهَا

ص: 48

وَلَا قِوَامَ لَهُمْ جَمِيعاً إِلَّا بِالتَّجَارِ وَذَوِي الصَّنَاعَاتِ فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَاغِبِهِمْ وَيُؤَيِّمُونَهُ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرَفِّقِ بِأَيْدِيهِمْ مَا لَا يَبْلُغُهُ رَفْقُ غَيْرِهِمْ ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْمَسْكِنَةِ الَّذِينَ يَحِقُّ رِفْدُهُمْ وَمَعُونَتُهُمْ وَفِي اللَّهِ لِكُلِّ سَعَةٍ وَلِكُلِّ عَلَى الْوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُهُ

وَلَيْسَ يَخْرُجُ الْوَالِي مِنْ حَقِيقَةِ مَا أَلْزَمَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِالْأَهْتِمَامِ وَالْإِسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ وَتَوْطِينِ نَفْسِهِ عَلَى لُزُومِ الْحَقِّ وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ فِيمَا خَفَّ عَلَيْهِ أَوْ ثَقَلَ»(1).

يستعرض الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المقطع من العهد الشريف كل النشاطات والأفعال ذات السياق الواحد التي تخضع لإدارة المدير الذي يكون مشرفاً على كل الممارسات المطلوبة من قبل المرؤوسين في مبدأ توحيد الأوامر وسلسلة المراتب حتى لا يكون هناك خلل في العملية الاشرافية والرقابية التي يتولى أمرها المدراء في المنظومة الادارية.

ومقصوده (عليه السلام) من قوله «واعلم أن للرعية طبقات» ليس اثبات الطبقات بهذا المعنى بل بيان اختلاف الرعية في ما تتصدى له من شؤون الحياة البشرية، حيث أن الإنسان مدني الطبع يحتاج إلى حوائج كثيرة في معاشه من المأكل والملبس والمسكن ولا يقدر فرد واحد بل افراد على إدارة كل هذه الامور فلا بد وان تنقسم الرعية بحسب مشاغله إلى طبقات وتتصدى كل طبقة لشأن من الشؤون وشغلا من المشاغل ثم يتبادل حاصل أعمالهم بعضهم مع بعض حتى يتم أمر معيشتهم ويكمل حوائج حياتهم(2).

ص: 49

1- نهج البلاغة: 53

2- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: للعلامة المحقق ميرزا حبيب الله الخوئي: ج20، ص175

كل واحد من هذه المستويات يمتلك صلاحية لما دونه من سلطة، وهذا يعد تنظيماً للحياة البشرية في جميع جوانبها المختلفة على أساس تسلسل المراتب فسلطة المراتب عند الإمام (عليه السلام) تبدأ من المسؤول وتنتهي عند الأمام ثم الله تعالى فوق الإمام وعلى الجميع.

ثم أن الإمام (عليه السلام) في هذا المقطع يقسم الرعية على سبع طبقات كل طبقة تعمل وفق نظام تسلسل المراتب ومن هذه الطبقات:

1- الجنود المحافظون على الحدود والثغور المدافعون عند هجوم الأعداء.

2- كتّاب العامة المتصدرون لكتابة العقود.

3- قضاة العدل ورؤساء المحاكم.

4- عمال الأمور الحسبية المحافظون على الأناصاف والرفق بين الناس.

5- أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس.

6- التجار وأهل الصناعات والحرف الكثيرة التي عليها مدار حياة البشر.

7- الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة، والتعبير عن هذه الطبقة السفلى باعتبار أنها لا تقدم عملاً نافعاً في المجتمع تتبادل به مع أعمال الطبقات الأخرى.

فسلسلة المراتب هي نوع من بسط النفوذ والرؤية السلطوية، ومن الظواهر التي نشاهدها كل يوم في حياتنا الاجتماعية ينبغي للمدير ضمن الصلاحيات الممنوحة له في التسلسل الوظيفي أن يكون مرناً لكي يستشعر النتائج الإيجابية في التسلسل الرتبي لما دونه، فالرؤية الإسلامية في الإدارة لها أبعاد واسعة في العمل ولم تكن نوعاً من الطبقة والتميز بين الأفراد وإنما هي حالة تنظيمية للعمل وإدارة شؤون الناس.

ص: 50

يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في رسالة بعثها إلى الأشعث بن قيس عامله على أذربيجان:

«وإن عملك ليس لك بطعمة لكنه أمانة في عنقك والمال مال الله وأنت من خزاني عليه حتى تسلمه إليّ إن شاء الله، وعلى ألا أكون شرّ ولا تك»

أنت موظف، والوظيفة أمانة في عنقك الله والمسلمين، وليست مزرعة لك ومتجرا.

«وأنت مسترعي لمن فوقك».

إن عليك لحسبيا ورقيبا، وهو الخليفة، يحصي عليك جميع أعمالك، ويأخذك بها إن خنت وخالفت.

«ليس لك أن تفتت في رعية».

أي تستبد وتستغل الرعية التي أنت لها خادم وأجير(1).

يعد الإمام (عليه السلام) الوظيفة التي انيطت بالشخص ليست هي غنيمة وإنما هي أمانة وأداء الأمانة على أحسن وجه من الأمور الشرعية الواجبة في الشريعة المقدسة، فالمنصب عند أمير المؤمنين (عليه السلام) إنما هو أمانة يؤتمن عليها في أي موقع من مواقع المسؤولية «وأنت مسترعي لمن فوقك» ويجب أن يحفظها لمن فوّه حتى يتحقق الهدف المنشود لخدمة الناس من خلال المنظومة الادارية.

لقد أعطى الإمام (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضوان الله عليه) رسالة ينقلها إلى أهل مصر اضافةً إلى العهد وحمّله فيها ادارة مصر وحدد له واجباته الادارية، والطريقة التي ينبغي لأهل مصر التعامل بها مع الوالي الجديد.

ص: 51

1- في ظلال نهج البلاغة: محمد جواد مغنية ج3، ص389؛ مستدرک نهج البلاغة: الشيخ هادي كاشف الغطاء، ص128

«أما بعد، فقد بعثت إليكم عبداً من عباد الله لا ينام أيام الخوف، ولا ينكل عن الأعداء ساعات الروع. أشدّ على الكفار من حريق النار. وهو مالك بن الحارث، أخو مذحج، فاسمعوا له وأطيعوا أمره. فيما طابق الحقّ، فإنّه سيف من سيوف الله، لا كليل الطّبة، ولا نابي الضريبة. فإن أمركم أن تنفروا فانفروا، وإن أمركم أن تقيموا فأقيموا، فإنه لا يتقدم ولا يحجم ولا يؤخر ولا يقدم إلاّ عن أمري، وقد آثرتكم به على نفسي، لنصيحتته لكم وشدة شكيمة على عدوّكم»(1).

أول خطوة قام بها الإمام هو تعريف مالك بأنه (عبد الله) يريد أن يستحضر الإمام في نفوس أهل مصر أنه لم يرسل إليهم شخصاً عنيفاً متكبراً (دكتاتوري) وسلطاناً يتأمر عليهم، بل هو عبد من عباد الله عز وجل بكل ما تتسع له العبودية من معان.

ثم يبدأ الامام في بيان أوصافه لأهل مصر «لا ينام أيام الخوف» أي لا يتنصل من تحمل المسؤولية أيام الشدة، (ولا ينكل عن الأعداء ساعات الروع) يريد الامام (عليه السلام) أن يقول لأهل مصر ان هذا الرجل لا يجبن ولا يفر من المواجهة (أشدّ على الكفار من حريق النار) من شدة بأسه وقوة شكيمة.

ثم يقول لهم بأن هذا الرجل لا يتساهل مع الانحرافات والاعوجاج الذي يصيب المجتمع ويأمرهم بطاعته بما كان مطابقاً للحق وهذا يدل على ان للطاعة حدوداً معينة ليس هناك أمر مطلق فاذا كان المسؤول في المنظومة الادارية مطابقاً

ص: 52

1- دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية: الشيخ المنتظري ج 1، ص 326؛ وانظر نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، ج 3، ص 63، الكتاب 38؛ بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج 33، ص 595

للحق تجب طاعته والا فلا يجب اذا كان منحرفا وغير مطابقا للحق، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

«لا طاعة لمخلوق في معصية الله تعالى»(1).

(قد قيل لحكيم: ما بال انقراض دولة آل ساسان؟ قال: لأنهم استعملوا أصغر العمال على أعظم الأعمال فلم يخرجوا من عهدتها، واستعملوا أعظم العمال على أصغر الأعمال فلم يعتنوا عليها، فعاد وفاقهم إلى الشتات ونظامهم إلى البنات. وإذا اعتبرت القوة في العمال فكيف بنفس الأئمة المفوض إليهم إدارة الأمة)(2).

فيتحصل: ان سلسلة المراتب هي عملية توزيع الصلاحيات والعمل الجماعي، الذي هو سمة من سمات المنظومة الادارية في الاسلام فإن العمل المشترك الجماعي يمثل القاعدة المثلى للإدارة الصحيحة الناجحة التي تستنفر الطاقات والامكانيات البشرية والمادية في خدمة الادارة الصالحة التي تعتمد على توزيع الصلاحيات من المسؤول الأعلى لمن هو دونه في سلسلة المراتب.

المسألة الثالثة: تزكية النفس وكسر الشهوات.

قوله (عليه السلام):

«وَأَمْرُهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ وَيَزَعَهَا عِنْدَ الْجَمَحَاتِ فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ اللَّهُ... وَإِيَّاكَ وَالْأَعْجَابَ بِنَفْسِكَ، وَالثَّقَّةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا، وَحُبَّ الْأَطْرَاءِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَوْثُقِ فُرْصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ»(3).

ص: 53

1- الشرح الكبير: عبد الرحمن بن قدامه، ج3، ص169؛ سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج2، ص476

2- دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية: الشيخ المنتظري، ج11، ص327

3- نهج البلاغة: 53

جمع به: وهو جموح قال اذا عزمت على أمر جمحت به كالذي صد عنه ثم لم ينسب الجموح من الرجال الذي يركب هواه فلا يمكن رده، قال الشاعر:

خلعت عذارى جامحاً لا يردني ... عن البيض امثال الدمى زجر زاجرٍ

وجمع إليه: أي اسرع وقوله تعالى:

«لَوْ يَجِدُونَ مَلَجًا أَوْ مَغَارًا أَوْ مُدْخَلَ لَوْلَا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ» (1)، أي يسرعون (2).

الجمحات: منازعة النفس إلى الشهوات ومآربها ونزعها بكفها وعدم تمكنها من الاسترسال في الشهوات وأن يكون أميراً عليها ومسيطرًا وقامعاً لها من التهور والانهماك (3)، والجاح معناه الحركة السريعة الشديدة التي لا يتأتى لأي شيء أن يصدّها كحركة الخيول المسرعة الجامحة التي لا تطاوع أصحابها، ولذلك سمي الجواد الذي لا يطاوع صاحبه جموحاً أو جامحاً (4).

الاطراء: مصدر أطرى، معتلاً، وهو مجاوزة الحد في المدح والمبالغة فيه، يقال: أطرى فلانٌ فلاناً، إذا مدحه بما ليس فيه وفيه قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):

«لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ وَلَكِنْ قَوْلُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ مَدَّحُوهُ بِمَا لَيْسَ فِيهِ فَقَالُوا: هُوَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَإِنَّ ابْنَ اللَّهِ وَمَا أَشْبَهَهُ مِنْ شِرْكِهِمْ وَكُفْرِهِمْ» (5).

ص: 54

1- معجم المعاني: للسيوطي: مادة جمع

2- تهذيب اللغة: للأزهري، ج 4، ص 417؛ لسان العرب: ابن منظور، ج 2، ص 426؛ معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج 1، ص 423؛ مجمع البحرين، للطريحي، ج 1، ص 374

3- شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ج 17 ص 23

4- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ج 6، ص 87

5- لسان العرب: ابن منظور، ج 15، ص 6

والفرق بين الإطراء والمدح: (أنّ الإطراء هو المدح في الوجه، ومنه قولهم: الإطراء يورث الغفلة، يريدون بذلك المدح في الوجه، والمدح يكون مواجهة وغير مواجهة)(1) منه قوله (عليه السلام) في ذم الاطراء:

«الصق بأهل الخير والورع ورضّهم على أن لا يطروك فإن كثرة الاطراء مدن من الغرة، والرضا بذلك يوجب من الله المقت»(2).

أقول: يأمر الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) مالك الاشر (رضوان الله عليه) أن يكسر نفسه من الشهوات والمغريات والطموحات والميول الشخصية ويطلب الامام عليه السلام منه أن يمسك نفسه عند الجموح والتردد، فالنفس بطبعها أمارة وتبعث نحو السوء وتمرد وتنزع للوصول إلى مآربها وشهواتها وتغري صاحبها وتحمله إلى المهالك الا ما رحم الله.

ويؤيد هذا المعنى ما ورد عن مولانا الامام زين العابدين (عليه السلام) بخصوص النفس الأمارة حيث يرسم الامام زين العابدين (عليه السلام) في المناجاة الثانية من المناجاة الخمسة عشر المعرفة النفس الامارة بكل وضوح ويشكو إلى الله تعالى منها بهذه الكلمات (بوصفه قدوة لعموم الناس ويقول)(3):

«إلهي إليك أشكو نفسا بالسوء أمارة، وإلى الخطيئة مبادرة، وبمعاصيك مولعة، ولسخطك متعرضة، تسلك بي مسالك المهالك، وتجعلني عندك أهون هالك، كثيرة العلل طويلة الأمل، إن مسها الشر تجزع، وإن مسها الخير تمنع، ميالة إلى اللعب واللهو، مملوءة بالغفلة والسهو، تسرع بي إلى الحوبة وتسوفني بالتوبة»(4).

ص: 55

1- معجم الفروق اللغوية: العسكري، ج 1، ص 56

2- عيون الحكم والمواعظ: علي بن محمد الليثي الواسطي ص 81

3- نفحات الولاية شرح نهج البلاغة: ناصر مكارم الشيرازي: ج 1 ص 294

4- الصحيفة السجادية، للإمام زين العابدين (عليه السلام) مناجاة الشاكين ليوم السبت، ص 403

فالنفس الأمارة بالسوء تعتبر في الحقيقة أهم وسائل الشيطان وأدواته في إغواء الانسان، فلو أن الإنسان تخلص من شراكها و مصاندها فإنه يتخلص كذلك من شر الشيطان وتسولاته.(1)

ومن هنا أوصى الاولياء وعلماء الاخلاق أن يراقب الإنسان هذه النفس مراقبة دقيقة لئلا يتورط في شراكها وينخدع بخدعها يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في كلام ورد في غرر الحكم:

«إن هذه النفس لأمارة بالسوء، فمن أهملها جمحت به إلى المآثم»(2).

وعنه (عليه السلام):

«إن نفسك لخدوع، إن تثق بها يقتادك الشيطان إلى ارتكاب المحارم»(3).

وعنه (عليه السلام):

«كن أوثق ما تكون بنفسك، أحذر ما تكون من خداعها»(4)

هذه العبارات العميقة والمؤثرة تعدّ درسا كبيرا من دروس القيادة والإدارة، عند أهل البيت عليهم السلام والإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المقطع يشير إلى نقطة مهمة، يقول إن من أخطر المخاطر على الإنسان هو التصدي لإدارة أمور الناس من دون وجود قدرة على التحكم بالنفس.

ص: 56

1- نفحات الولاية شرح نهج البلاغة: ناصر مكارم الشيرازي: ج 10 ص 295

2- غرر الحكم: 2106، 3491، 3489، 3490، 7170. وينظر ميزان الحكمة: محمد الري شهري الجزء: 4 ص 3325

3- غرر الحكم: 2106، 3491، 3489، 3490، 7170

4- غرر الحكم: 2106، 3491، 3489، 3490، 7170

يريد الإمام (عليه السلام) ان يقول للناس ان موقع الإدارة والحكم هو مزيد من السلطة والنفوذ والامر والنهي للمسؤول، فضع هذه السلطة في موضعها.

فيمكن للإنسان من خلال السلطة أن يمكن هواه وشهواته وميوله وأن يفقد توازنه ومشاعره متأثراً في سلوكه وعلاقة مع الآخرين فيسعى لتحقيق طموحاته الشخصية متعدداً للأطر الشرعية، من توظيف السلطة والنفوذ لقضاياها الخاصة.

الإمام (عليه السلام) يعبر عن الموقع الإداري بأنه السلطة والنفوذ ومحطة أساسية لانطلاق الشهوات، فيكون ضعيفاً أمام المغريات والملذات والشهوات، وهناك من يستطيع أن يميز بين المحطتين، محطة الانطلاق إلى الخدمة وتقديم المصلحة العامة في تحقيق الأهداف والسعي لقضاء حوائج الناس، ومحطة يعبر عنها حكام الجور (فرصة لإشباع الرغبات والشهوات النفسية والتمتع بالملذات)(1)، يقول الإمام (عليه السلام) في أحد حكمه في تأييد مانحن فيه:

«من ملك استأثر»(2).

الاستئثار لغة (استأثر فلان بالشيء استبده به)(3)، يعني الاستبداد فيقال هذا رجل مستبد برأيه، وهذا مدير مستبد، وهذا رب أسرة مستبد، معناه كل من يصل إلى موقع المسؤولية ولم يكن محكماً لنفسه يصاب بالاستئثار فتحول إلى ملكة راسخة في النفس الإنسانية، فاذا استطاع تحكيم النفس والسيطرة عليها فيتحول الاستئثار إلى تواضع ومحبة وخدمة للناس، ونجد الصورة مغايرة فيما لو افلت عنان النفس

ص: 57

1- اخلاقيات الامام علي أمير المؤمنين (عليه السلام): السيد هادي المدرسي: ص 334

2- نهج البلاغة: حكمة 160

3- مجمع البحرين، الطريحي: ج 3، ص 146، (استأثر)

من يده فيكون انسانا مستبدا، يعطل مصالح العباد والبلاد ويشفي غليله بظلم مرفوسيه من خلال تركيز الانانية بالنفس واستغلال الموقع الذي هو فيه، يقول (عليه السلام):

«ثُمَّ إِنَّ لِلْوَالِي حَاصَّةً وَبِطَانَةً فِيهِمْ اسْتِثْنَاءٌ وَتَطَاوُلٌ وَقِلَّةٌ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ فَاحْسِبْ مَا دَرَّةٌ أَوْلَيْكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ الْأَحْوَالِ»(1).

نلاحظ كيف يشير الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى مخاطر الاستبداد، بقوله «من استبد برأيه هلك» و«من شاور الرجال شاركهم في عقولهم»(2).

أي من أراد عقلا- أكبر فليشاور الرجال لأن في مشورتهم مشاركة في عقولهم ينبغي للإنسان أن يستشير الآخرين ويسمع لهم «الحكمة ضالة المؤمن يأخذها أينما وجدها»(3).

وقال صلوات الله عليه: «انظر الى ما قال ولا تنظر الى من قال»(4)

يجب علينا أن نسمع الآخرين ونصغي اليهم ولا نعتد بآرائنا مهما كنا نرى الحق في شيء ما، ويشير (عليه السلام) إلى هذا المعنى بقوله: «من نال استطال»(5).

أي من بلغ الوصول إلى طموحاته وصار مسؤولا استعلى على الآخرين صار متكبرا يرى نفسه متميزا عن الآخرين.

انظر إلى دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) في مكارم الأخلاق:

ص: 58

1- نهج البلاغة: 53

2- نهج البلاغة: خطب الإمام علي عليه السلام، ج4، ص41

3- نهج البلاغة: حكمة 80

4- روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، محمد تقي المجلسي (الأول)، ج13، ص167

5- نهج البلاغة: خطب الإمام علي عليه السلام، ج4، ص49

«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَلَا تَرْفَعْنِي فِي النَّاسِ دَرَجَةً إِلَّا حَطَّطْتَنِي عِنْدَ نَفْسِي مِثْلَهَا...»(1).

المعنى: يا الهي كلما اصبح موقعي امام الناس اكبر ومسؤوليتي اعظم فاجعل شعوري بالتواضع والذل امامك اكبر وهذه التربية الاخلاقية في الرؤية الاسلامية في القيادة والادارة، يعبر عنها بالتهذيب والمجاهدات قال (ذروة الغايات لا ينالها إلا ذو التهذيب والمجاهدات الذين يقاومون أهواءهم كما يقاومون اعداءهم، ويعتبرون جهاد النفس هو الجهاد الاكبر)(2).

قال الامام أمير المؤمنين (عليه السلام):

«من نصب نفسه للناس إماما، فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه»(3).

(فلا بد من اتهام النفس ومخالفتها والإدبار عنها لكي نصلحها)(4)

فيتحصل: أن الإدارة في الرؤية الاسلامية وعهد الإمام (عليه السلام) يجب ان لا تكون خاضعة لتأثيرات النفس وجموحاتها، لابد ان يكون هناك تحكيم وسيطرة وتطبيع على ذلك في اداء الواجبات الادارية المتمثلة بالإشراف والتنظيم والرقابة والتخطيط واستثمار الطاقات و تحقيق الاهداف وخدمة الناس من اجل طرح ادارة ناجحة لها تأثيراتها في نمو الفكر البشري.

ص: 59

1- الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين، دعاء مكارم الأخلاق، ص 110

2- عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، حكمة 130

3- شرح نهج البلاغة 18:220 وينظر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: مركز الرسالة

4- اخلاقيات الإمام علي أمير المؤمنين: السيد هادي المدرسي، ص 335

المسألة الرابعة: الراي العام ومبدأ التوقعات.

قوله (عليه السلام):

«ثُمَّ اَعْلَمَ يَا مَالِكُ اَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ اِلَى بِلَادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دَوْلٌ قَبْلَكَ مِنْ عَدْلِ وَجَوْرِ وَ اَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ اُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ اُمُورِ اُمُورِ الْوُلَاةِ قَبْلَكَ، وَ يَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ، وَ اِنَّمَا يَسْتَدِلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يَجْرِي اللَّهُ لَهُمْ عَلَى اَلْسِنِ عِبَادِهِ فَلْيَكُنْ اَحَبَّ الذَّخَائِرِ اِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ»(1).

هذا المقطع من العهد على إيجازه يحمل معانٍ مهمة كثيرة في المنظومة الادارية، من هذه المعاني أن الأمام يستحضر في ذهن الأشر (رضوان الله عليه) الأبعاد التاريخية لمصر والحكومات التي حكمت بلاد مصر وطبيعة نظام الحكم فيها من الظلم والعدل والجور ونظر الناس إلى الوالي ونظر الوالي اليهم والـاجراءات التي يتخذها بعدما كان ينظر إليها من بعيد وهي تحت سلطة الحكومات العادلة والحكومات الظالمة (لا بد من الفحص عن هذه الدول والفحص عن ماهي عادلة أو جائرة(2).

المقصود من هذه الدول هم العمال الاسلاميين بعد فتح مصر وهل يصح التعبير عنها بأنها دول ولو باعتبار شمول السلطة الاسلامية(3)، وهذه هي سنن الحياة وهذه هي القواعد الاجتماعية التي تتحكم بمجرى التاريخ ففي كل أمة وفي كل شعب هناك الخير وهناك الشر وهناك الصلاح وهناك الفساد وهذه المتناقضات تعيشها الشعوب والامم، يا مالك إني أوفدك إلى بلد جرت عليه كل هذه الاحداث الطيبة وغير الطيبة.

ص: 60

1- نهج البلاغة: 53

2- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: للخوئي: ج20، ص169

3- المصدر نفسه: ص169

يريد الإمام (عليه السلام) أن يقول ان ذاكرة التاريخ ذاكرة قوية فالناس لا تنسى ما جرى عليها وعلى الامم الاخرى لأن الناس يعايشون الحكومات و تجاربهم ويحفظون كل ما جرى لأن الذاكرة التاريخية اقوى من الطغاة و الظالمين، فلا تنسى الناس ما جرى عليها من ظلم و جور واضطهاد وعدل، كل شيء محفوظ في ذاكرة الناس ويتحدثون به في أوساط المجتمع حتى اصبح بعض الاشخاص فيهم بمثابة تاريخ مكتوب ويرجع اليهم كمصدر أساس عند الحاجة في تدوين الاحداث التاريخية، اذا كل من ينظر إلى الخط العام للتاريخ الانساني اليوم يجد ان الحقائق واضحة وتزهر كالنجوم ومحفوظة في ذاكرة الشعوب والامم، التي هي اكبر من ان تخضع للمحاولات اليائسة في طمسها و تزوير حقيقتها. هذا يدل على ان المواقف والسلوكيات والقرارات لا تضيع وإن كان البعض يستطيع أن يغطي عليها لفترة قصيرة وتنكشف.

فمنهج الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) هو تشييط الذاكرة فيذكر الناس دائما بما مضى، وهو المنهج المطابق للقرآن الكريم عندما يتحدث عن الامم الماضية وسبب هلاكها، فعلينا دائما ان نتمتع بزخم تاريخي و حضاري وان ننتقل ونبدأ من حيث انتهى الآخرون.

يقول الإمام أمير المؤمنين في خطبة له تأييدا لما نحن فيه:

«أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ألبسكم الرياش وأسبغ عليكم المعاش فلو أن أحداً يجد إلى البقاء سُلماً أو لدفع الموت سبيلاً لكان ذلك سُلماً ليمان بن داود عليه السلام الذي سخر له ملك الجن والإنس مع النبوة وعظيم الزلفة فلما استوفى طعمته واستكمل مدته رمته قسيئاً الفناء ببئال الموت وأصبحت الديار منه خالية والمسكين معطلة ورثها قوم آخرون وإن لكم في القرون

السَّالِقَةَ لَعِبْرَةً أَيْنَ الْعَمَالِقَةُ وَأَبْنَاءَ الْعَمَالِقَةِ أَيْنَ الْفَرَاعِنَةُ وَأَبْنَاءُ الْفَرَاعِنَةِ أَيْنَ أَصْحَابُ مَدَائِنِ الرَّسِّ الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيَّ وَأَطْفَاءُ سَنَنِ الْمُرْسَلِينَ وَأَحْيَاءُ سَنَنِ الْجَبَّارِينَ أَيْنَ الَّذِينَ سَارُوا بِالْجُبُوشِ وَهَزَمُوا الْأُلُوفَ وَعَسَّكَرُوا الْعَسَاكِرَ وَمَدَّنُوا الْمَدَائِنَ مِنْهَا فَدَلَّ لَيْسَ لِلْحِكْمَةِ جُنَّتُهَا وَأَخَذَهَا بِجَمِيعِ أَدْبِهَا مِنَ الْإِقْبَالِ عَلَيْهَا وَالْمَعْرِفَةِ بِهَا وَالنَّمْرِغِ لَهَا فَهِيَ عِنْدَ نَفْسِهِ ضَالَّتْهُ الَّتِي يَطْلُبُهَا وَحَاجَّتُهُ الَّتِي يَسْأَلُ عَنْهَا، فَهُوَ مُعْتَرِبٌ إِذَا اغْتَرَبَ الْإِسْلَامُ، وَضَرَبَ بَعْسِيبِ ذَنْبِهِ وَالصَّقَ الْأَرْضَ بِجِرَانِهِ بَعِيَّةً مِنْ بَقَايَا حُجَّتِهِ، خَلِيفَةً مِنْ خَلَائِفِ أَنْبِيَائِهِ»(1).

الإمام (عليه السلام) يستعرض في هذا المقطع من الخطبة المراحل التاريخية المهمة التي مرت على الامم وعاش الناس أحداثها في ظلال حكوماتها.

فالذي يتصدى للحكم والإدارة وفي أي موقع من مواقع المسؤولية عليه أن يستثمرها في خدمة الناس من خلال المحبة والشفقة والمودة والكلمة الرقيقة والموقف الطيب والشيمة والنخوة والعون والنصرة اليهم وتحقيق تطلعاتهم وأن يستحضر سنن من قبله في حساباته وسلوكه وتعامله وان يكون انسانا واقعيا (وان تتوقع للناس ما كنت تتوقع لنفسك ان تقبل من الناس ما كنت تقبله من نفسك حينما لم تكن في موقع المسؤولية) فعلى الإنسان أن يكون حذراً في سلوكياته وانطباعاته في تحقيق العدالة والانصاف.

يقول الإمام (عليه السلام) لابنه الحسن (عليه السلام) في وصية طويلة أوصاه بها:

«أي بني تفهم وصيتي واجعل نفسك ميزانا فيما بينك وبين غيرك، فاحبب لغيرك ما تحب لنفسك، وأكره له ما تكره لنفسك، ولا تظلم كما لا تحب أن تُظلم، وأحسن

ص: 62

كما تحب أن يحسن إليك. واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك، وارض من الناس لك ماترضى به لهم منك، ولا تقل بما لا تعلم، بل لا تقل كل ما تعلم، ولا تقل مالا تحب أن يقال لك. واعلم أن الاعجاب ضد الصواب وآفة الأبواب، فإذا أنت هديت لقصدك فكن أخشع ما تكون لربك»(1).

تجسد لنا هذه الامور التسعة القواعد الاساسية الإدارة فيمن يتولى شؤون الناس في تحديد العلاقة القائمة بين المسؤول والناس لأن غاية ما تطمع اليه الناس هو تحقيق اهدافها وتطلعاتها.

نحن بحاجة ماسة إلى تعزيز هذه المفاهيم وترسيخها بشكل اكبر ليكون البناء الاجتماعي سليما في مجتمعنا في دائرة المسؤولين واصحاب المناصب، ونستطيع بناء دولة على اسس صحيحة وفق منهج الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في تنظيم وتكيف القانون نحو السلوك العادل.

خامساً: معايير نجاح المسؤول في المنظومة الإدارية.

ثم ينتقل الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في عهده المالك الاشتهر (رضوان الله عليه) إلى استعراض المعايير الاساسية في نجاح المنظومة الإدارية في تحقيق الاهداف لمن يتصدى لإدارة الامور.

أولاً: الأعمال الصالحة.

يقول (عليه السلام):

«فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الدَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ»(2)

ص: 63

1- تحف العقول عن آل الرسول (ص): ابن شعبة الحراني، ص 74

2- نهج البلاغة: خطب الإمام علي عليه السلام، ج3، ص 83، رسالة 53

وقال عز وجل:

«فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا» (1).

وقال تعالى:

«إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ» (2).

العمل الصالح يرفع الكلام الطيب ويعمل على ترسيخ العقائد السليمة في واقع الإنسان وقلبه، ونقرأ أيضاً في قوله تعالى:

«وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ» (3).

هنا يذكر الإمام (عليه السلام) أن واحدة من هذه المعايير التي يستدل بها على صلاح المسؤول والمتصدي هو تقييم الناس له من خلال الحديث عنه وبيان اعماله الصالحة.

لذا نلاحظ الإمام (عليه السلام) يؤكد في هذا المقطع من العهد الشريف على العمل الصالح الذي يعد من الذخائر النفيسة للإنسان المتصدي وغيره ونتيجة هذا العمل يتحقق الاحترام والتقدير والمحبة في قلوب الناس التي تحظى بتأييد من الله سبحانه وتعالى ومن خلال حسن ظن الناس وتقييمها يكون قادرا على النفوذ إلى قلوب الناس والسيطرة على عواطفهم من دون حاجة إلى اظهار حالات التصنع والتظاهر بأمر معين، ومن دون الحاجة إلى المكر والخداع أو التخويف

ص: 64

1- الكهف: 110

2- فاطر: 10

3- سورة العصر

والترهيب واستخدام الاساليب المغرية وتضييع اموال بيت المال لأجل استمالة قلوب الآخرين وضمانة السمعة الجيدة. فمعيار الرأي العام في تقييم المسؤول هو العمل الصالح الذي يقوم به المتصدي فالحديث عنه بخير واحترام ونعته بصفاته الواقعية يعد من العطايا الالهية لا يحتاج اليها استخدام الطرق الملتوية، بل يكفي ان يكون هذا المسؤول واضحاً مع الناس في أدائه وسلوكياته وانطباعاته يسمع ويتشاور معهم ويحترم آراءهم في الخطأ والصواب، وكل عمل صالح يقدمه للناس ويقربه إلى الله سبحانه وتعالى يندفع اليه بالاتجاه الصحيح.

ثانياً: الشح بالنفس والبخل عليها.

قوله (عليه السلام):

«وَشَحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا يَجِلُّ لَكَ فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الْإِنصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ» (1).

ثم ينتقل الإمام (عليه السلام) في وصيته إلى مالك الاشر (رضوان الله عليه) إلى كيفية التعامل مع آراء الناس بقوله:

«وَشَحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا يَجِلُّ لَكَ فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الْإِنصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ»

تتضمن هذه العبارة من العهد الشريف مضامين عالية في الادب القيادي والإداري في المنظومة الاسلامية فهي تخاطب المسؤول الذي يتحمل المسؤولية إزاء الآخرين بأن يسيطر على قواه النفسية وان يكبح جماح نزواته ورغباته ومشاعره أنانية والذي يؤكد عليه الإمام (عليه السلام) هو أن يستطيع الإنسان عند فوران

ص: 65

الشهوة وثورة الغريزة أن يضبطها ويجعلها تحت إرادته وبالعكس ذلك إذا سيطر هوى النفس على فكر الإنسان وعقله وقواه وملكاته الأخرى فإنه سيقود صاحبه إلى وادي الهلكة والخسران(1)، ويؤكد هذا المعنى الامام الصادق (عليه السلام) بقوله:

«احذروا أهواءكم كما تحذرون أعداءكم، فليس شيء أعدى للرجال من اتباع أهوائهم وحصائد ألسنتهم»(2).

وفي غرر الحكم عن الامام أمير المؤمنين (عليه السلام):

«أملكوا أنفسكم بدوام جهادها»(3)

الشح: (البخل والحرص، شح يشح، ورجلٌ شحاح بمعنى شحيح)(4).

المعنى ابخل بنفسك عما لا يحل لك فلا تفعله والمراد به المحرمات، ولأجل هذا قال (عليه السلام) فإن الشح بالنفس الإنصاف فيها فيما أحبته النفس أو كرهته(5) لا يعني سوى أن يتصرف الإنسان كالبخيل الذي لا يجد في نفسه رغبة في انفاق الدرهم والدينار من أمواله على الآخرين، فمثل هذا الإنسان يقف في مقابل المحرمات كالبخيل فلا يعطي من نفسه شيئاً يؤدي به إلى خسارته دينه وإيمانه ويبعده عن طريق الإنصاف والصلاح سواء في الأمور التي يجد في نفسه ميلاً إليها

ص: 66

-
- 1- نفحات الولاية شرح نهج البلاغة: ناصر مكارم الشيرازي: ج 10 ص 302
 - 2- اصول الكافي، ج 2، باب اتباع الهوى، حديث 1؛ وينظر الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الجزء 21، ص 267
 - 3- عيون الحكم والمواعظ: علي بن محمد الليثي الواسطي ص 89
 - 4- المحيط في اللغة، صاحب بن عباد، ج 1، ص 154؛ مجمع البحرين، للطريحي، ج 2، ص 275
 - 5- مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة: سيد محمد تقي التقوي ج 15، ص 420

أم في الامور التي لا يشتهيها(1)، فليس الحرص على النفس إيفاءها كل ما تحب بل من الحرص عليها أن تحمل على ما تكره إن كان ذلك في الحق ضرب محبوب يعقب هلاكاً و مكروه محمد عاقبة(2).

يريد الإمام (عليه السلام) من المسؤول أن يكون بخيلاً- مع نفسه، وأن يكون شديداً عليها في مالا يحل له في القضايا التي لا يسمح له كمسؤول أن يمارسها او يقوم بها فيتعامل بشح وبخل و اقتصاد شديد و مراقبة وحزم كبير مع نفسه وهذا يتحقق بعدم السماح لها بأن تنطلق لتحب كما تريد وتكره كما تريد:

«فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا»(3).

لعل النفس تحب اشياءً تضربها وهي لا تعلم ولعلها تكره أشياء تنفعها وهي ايضا لا تعلم؛ إذن هذه النفس تميل نحو أمور و تحجم عن أمور وهي من الممكن أن تحجم عن الحق وتميل إلى الباطل فمن حق النفس على صاحبها انصافها.

ثالثاً: التحكم بالنفس والسيطرة عليها.

إن السيطرة على النفس إحدى عوامل نجاح المسؤول في مهمته المناطة به باعتباره ضمن دائرة السلطة والنفوذ والرغبات والامكانيات والامتيازات التي تمنح بعناوين متعددة، هذه يمكن أن توقع الإنسان في المهالك و تحكيم الانا وعدم السيطرة عليه.

يعبر الإمام (عليه السلام) عن ذلك بقوله «فَأْمَلِكْ هَوَاكَ» إشارة إلى أن

ص: 67

1- نفحات الولاية شرح نهج البلاغة: ناصر مكارم الشيرازي: ج 10 ص 302

2- صفوة شروح نهج البلاغة: اركان التميمي: ص 689

3- النساء: 19

الإنسان أو المسؤول في أطار مسؤولية لابد ان يكون مسلطا على كل ما يملكه من قوى نفسانية و تحكيم العقل في سلوكياته وانطباعاته، يشير الإمام (عليه السلام) إلى هذا المعنى في رسالة بعثها إلى الأسود بن قطبة(1) الذي كان قائدا للجيش في منطقة حلوان(2) الواقعة غرب ايران التي تسمى اليوم بمدينة سربل زهاب على ما يذكره المؤرخون(3).

«أما بعد فإن الوالي إذا اختلف هواه منعه ذلك كثيرا من العدل فليكن أمر الناس عندك في الحق سواء فإنه ليس في الجور عوض من العدل فاجتنب ما تنكر أمثاله وابتذل نفسك فيما افترض الله عليك راجيا ثوابه ومتخوفا عقابه، واعلم أن الدنيا دار بلية لم يفرغ صاحبها قط فيها ساعة إلا كانت فرغته عليه حسرة يوم القيامة وأنه لن يغنيك عن الحق شيء أبدا، ومن الحق عليك حفظ نفسك والاحتساب على الرعية بجهدك فإن الذي يصل إليك من ذلك أفضل من الذي يصل بك والسلام»(4)

المعنى: ان الوالي إذا اختلف هواه وانساق وراء رغباته ونزواته وميولاته فيكون الحاكم هنا الهوى والشهوات تكون سلوكياته وانطباعاته في مسؤولياته موافقة لحكم الهوى فلا ينتصر عدلا لأحد، فيما لو كان الخصمان عنده سواء بل كان هواه وميله إلى أحدهما أكثر ظلماً وجوراً.

هذا الامر يؤكد عليه الإمام (عليه السلام) ويعده من ظواهر التمييز بين

ص: 68

-
- 1- الاسود بن زيد بن قطبة الانصاري: يقال انه ممن شهد بدرًا. ينظر: اسد الغابة في معرفة الصحابة، الابن الاثير، ص 48؛ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، ج 1، ص 29
 - 2- حلوان وهي خمسة طساسيج، ويقال لها بستان خسرو شاه فيروز
 - 3- معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج 2، ص 167
 - 4- نهج البلاغة: خطب الإمام علي عليه السلام، ج 3، ص 116، رسالة 59؛ وينظر: بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج 33، ص 511

الناس وإضاعة الحقوق و منشأ لظلم الآخرين، فيطلب الإمام (عليه السلام) لكل من يتصدى لإدارة ورعاية الناس أن يصرف وقته ويبدل جهوده في ما فرضه الله سبحانه وتعالى عليه والسير في السياقات والمسارات الصحيحة راجيا بذلك ثوابه والخوف من عقابه، ويؤكد هذا المعنى أيضا كلام الامام (عليه السلام) في معنى الفتن والبدع الذي يعد منشؤهما طغيان الهوى على العقل، يقول عليه السلام:

«إِنَّمَا بَدَأَ وَفُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ وَ أَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللَّهِ وَ يَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالًا عَلَى غَيْرِ دِينِ اللَّهِ فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخْفَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ لَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لُبْسِ الْبَاطِلِ لِنَقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَارِضِينَ وَ لَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِعْفٌ وَ مِنْ هَذَا ضِعْفٌ فَيَمْرَجَانِ! فَهَذَا لِكِ السَّيْطَانِ عَلَى أَوْلِيَائِهِ وَ يَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنَى» (1).

كل ذلك يعرب عن أن إطار البدعة المحرمة، هو الإحداث في الدين وأساس الفتن والبدع أمران:

1- اتباع الهواء النفس والاحكام الموضوعة المخالفة لكتاب الله والسنة النبوية الشريفة.

2- تحريف القوانين لصالح الأطماع الشخصية وغياب العدل وتضييع الوظائف والاقبال على البدع (2).

ولا يخفى ان الثاني ايضا يرجع إلى الأول اعني متابعة الهوى، فإن البدعة في الدين منشؤها متابعة الهوى، وعلى أي تقدير لا خلاف عقلا في أن منشأ الانحرافات العقلية والشرعية انما هو متابعة الهوى من حب الدنيا وحب المقام والرئاسة وامثالها مما يرجع بالآخرة إلى حب الدنيا كما قال (صلى الله عليه وآله وسلم):

ص: 69

1- نهج البلاغة، خطبة 50

2- نفحات الولاية شرح نهج البلاغة: ناصر مكارم الشيرازي: ج2 ص357

يقول (عليه السلام) إن المذاهب الباطلة والآراء الفاسدة التي يفتتن الناس بها أصلها اتباع الأهواء وابتداع الأحكام التي يخالف فيها الكتاب وتحمل العصبية والهوى على تولى أقوام قالوا بها على غير وثيقة من الدين، و مستند وقوع هذه الشبهات امتزاج الحق بالباطل من قبل بعض الساسة بالشكل الذي يصعب تمييزه على الناس وأدني ذلك هو خداع الرأي العام ببعض العناوين كحقوق الإنسان والرفق بالحيوان ويوم العامل وأطباء بلا حدود ومنظمة العفو الدولية.. الخ، فالحكومات الاستكبارية تتشدق بالديمقراطية وضرورة الرجوع إلى آراء الشعب فاذا تم ذلك وجرت الامور خلافا لمصالحها اللامشروعة عمدت إلى الانقلاب أو إثارة الفتن وإظهار البدع(2).

هكذا يربي الامام (عليه السلام) المسؤول في المنظومة الإدارية والقيادية على الاخلاق الحسنة والحميدة في كيفية التعامل في ظرف مثل هذا، من هذا المنطلق اصبحت مناهج حكومة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) يحتفل بها في المحافل الدولية والمؤتمرات العلمية بالرغم من قصر مدة خلافته (سلام الله عليه) التي استغرقت اربع سنوات ونيفاً وتبقى كلماته (عليه السلام) تترع اسماع العالم عندما اوصى ولديه الحسن والحسين (عليهما السلام):

«والله في القرآن لا يسبقنكم إلى العمل به غيركم».

فيتحصل: ان كل هذه المفاهيم تدل إلى حقيقة عاقبة الإنسان الحسنة والسيئة، فالكل محكوم بزمن معين يسمى الأجل:

ص: 70

1- الوافي، الفيض الكاشاني، ج5، ص889

2- نفحات الولاية شرح نهج البلاغة: ناصر مكارم الشيرازي: ج2 ص 360-361

«وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ» (1)

«قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ» (2)

فيجب على الإنسان أن يكون حذرا لما بعد الموت عندما يقف للحساب تعطينا هذه المعاني درسا في كيفية إدارة شؤون الناس واحترامهم وتحقيق طموحاتهم، وهذه لا تتحقق الا اذا كان المسؤول يبحث عن الثواب ويخشى العقاب الالهي.

المسألة السادسة: وسائل التحكم والسيطرة على النفس.

أولاً: التقوى.

قوله (عليه السلام):

«أَمْرُهُ بِتَقْوَى اللَّهِ وَإِثَارِ طَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ وَسُدِّ نَبِيهِ الَّذِي لَا يَسْعُدُ أَحَدٌ إِلَّا بِاتِّبَاعِهَا وَلَا يَشْقَى إِلَّا مَعَ جُحُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا وَأَنْ يَنْصُرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِيَدِهِ وَقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ» (3)

(وقيت الشيء أقيته إذا صنته وسترته عن الأذى وهذا اللفظ خبر أريد به الأمر أي ليق أحدكم وجهه النار بالطاعة والصدقة «فُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا»، والتقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف هذا تحقيقه وصار التقوى في تعاريف الشرع حفظ النفس عما يؤثم وذلك بترك المحظور ويتم ذلك بترك بعض المباحات

ص: 71

1- الأعراف: 34

2- يونس: 49

3- نهج البلاغة: 53

لما روي: الحلال بين والحرام بين و من رتع حول الحمى فحقيق أن يقع فيه(1).

والتقوى اصطلاحاً: (عبارة عن الاجتناب عن محارم الله تعالى والقيام بما اوجبه عليهم من التكاليف الشرعية والتمتقي هو الذي يتقي بصالح عمله عذاب الله وهو مأخوذ من اتقاء المكروه بما يجعله حاجزاً بينه وبينه كما يقال: اتقى السهم بالترس أي جعله حاجزاً بينه وبين السهم)(2)

والتقوى بعد الايمان التورع عن محارم الله واتقاء الذنوب التي تحتم السخط الالهي وعذاب النار وهي الشرك بالله وسائر الكبائر الموبقة التي اوعدها الله عليها النار، فيكون المراد بالسيئات التي وعد الله سبحانه تكفيرها الصغائر من الذنوب وينطبق على قوله سبحانه:

«إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا»(3)

«...وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا»(4)

«وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ»(5).

فيظهر من الآيات الشريفة ان التقوى هي الورع عن محارم الله أي المعاصي الكبيرة(6).

ص: 72

1- لسان العرب: ابن منظور، ج10، ص401؛ المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص530، مادة وفي

2- المخصص: ابن سيده، ج3، ص169

3- النساء: 31

4- الطلاق: 5

5- المائدة: 65

6- الميزان في تفسير القرآن: العلامة الطبطبائي: ج19: ص317

والمحصل من تعاريف (التقوى) لغة واصطلاحاً هو انها السور الذي يسوّر الإنسان به نفسه من الوقوع في الحرام والرذيلة والمعصية، أو هي حق الله على العباد، فهو الذي خلقنا و منحنا كل شيء و تنعم علينا بنعم كبيرة وفي مقابل ذلك أراد منا ان نلتزم ونتقي بتحسين انفسنا والمحافظة على الاطر والموازين الشرعية التي ارادها الله وقدرها للبشر.

ويشير الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى هذا المعنى بقوله:

«أوصيكم عباد الله بتقوى الله فإنها حق الله عليكم، والموجبة على الله حقكم، وأن تستعينوا بالله وتستعينوا بها على الله، فإن التقوى في اليوم الحرز والجنة، وفي غد الطريق إلى الجنة؛ مسلكها واضح، وسالكها رابح، ومستودعها حافظ، لم تبرح عارضة نفسها على الأمم الماضين والغابرين لحاجتهم إليها غدا إذا أعاد الله ما أبدى، وأخذ ما أعطى، وسأل ما أسدى»⁽¹⁾.

والتقوى تؤدي إلى عزة الإنسان لأنه يتصل بالعزيم المطلق، يقول الامام علي (عليه السلام): ((التقوى تجل. والفجور يذل))⁽²⁾، فالذلة في الفجور والعزة الانسانية في التقوى، وقال أمير المؤمنين (عليه السلام):

«لا عزة أعز من التقوى»⁽³⁾.

فمن اراد العزة والكرامة فليتصف بالتقوى، وقد أولى أمير المؤمنين (عليه السلام) اهتماماً كبيراً لمسألة التقوى في إحدى خطبه:

ص: 73

1- نهج البلاغة: خطب الإمام علي (عليه السلام) ج2، ص124

2- عيون الحكم والمواعظ: 34

3- نهج البلاغة: الحكمة 371

«فإن تقوى الله مفتاح سداد، وذخيرة معاد وعتق من كل ملكة ونجاة من كل هلكة بها ينجح الطالب، وينجو الهارب، وتنال الرغائب»(1).

وعنه (عليه السلام) في الحث عليها:

«فإن تقوى الله دواء قلوبكم وبصر عمى أفئدتكم وشفاء مرض أجسادكم، وصلاح فساد صدوركم، وظهور دنس أنفسكم، وجلاء عشى أبصاركم وأمن فرع جأشكم، وضياء سواد ظلمتكم»(2).

ولذلك نجد أن أمير المؤمنين (عليه السلام) حينما يتحدث عن المنظومة القيادية وعن النجاح في الدور القيادي يقف عند خصيصة التقوى ويعتبرها مفتاح التسديد والنجاح وذخيرة يوم الآخر الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون.

فيتحصل: من معنى الحديثين الشريفين أنه ينبغي وضع الرجل المناسب في المكان المناسب من ذوي الإيمان والتقوى والاختصاص والكفاءات والامكانيات العلمية والتخلي عن الاطر الشخصية والمحسوبة على مستوى جميع مرافق الدولة.

فثقافة اختيار الأصلح والاكفا لإدارة امور الناس، يجب ان تكون هي الحاكمة على الثقافة الخاطئة التي يسعى الجميع في ظلها إلى ان يكونوا في الصدارة وهذا معناه تجاوز على الثقافة الاسلامية في ادارة المنظومة الإدارية.

يقول الإمام (عليه السلام) في عهده لمالك الاشر (رضوان الله عليه) في كيفية وضع الرجل المناسب في المكان المناسب وفق الرؤية الاسلامية:

ص: 74

1- نهج البلاغة خطبة: 230

2- نهج البلاغة خطبة: 198 وينظر تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم: السيد حيدر الآملي الجزء:

1 ص 273

«قَوْلٌ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَ حَتَمًا فِي نَفْسِكَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلَا مَمْرِكَ، وَأَنْقَاهُمْ جَبِيًّا وَأَفْضَلَ لَهُمْ حِلْمًا مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ وَيَسْتَرِيحُ إِلَى الْعَذْرِ وَيَرَأْفُ بِالضَّعْفَاءِ وَيَنْبُو عَلَى الْأَقْوِيَاءِ وَمِمَّنْ لَا يُثِيرُهُ الْعُنْفُ وَلَا يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ» (1).

(عن محمد بن قولويه، عن أحمد بن محمد بن الحسين بن سعيد، عن معمر ابن خلاد قال: قال أبو الحسن عليه السلام موسى بن جعفر:

«ما ذئبان ضاربان في غنم قد غاب عنها رعاؤها بأضر في دين المسلم من حب الرئاسة» (2).

وعن الامام الصادق (عليه السلام):

«ملعون من ترأس، ملعون من همم بها، ملعون من حدث بها نفسه» (3).

بيان: (من ترأس) أي ادعى الرياسة بغير حق، فإن التفضل، غالباً يكون للتكلف. وفيه: عن محمد بن مسلم، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: أتراني لا أعرف خياركم من شراركم؟ بلى، والله وإن شراركم من أحب أن يوطأ عقبه، إنه لا بد من كذاب أو عاجز الرأي. (4)

بيان: قيل: أي من كذاب يطلب الرياسة ومن عاجز الرأي يتبعه.

وعن الرضا (عليه السلام):

«من طلب الرياسة لنفسه هلك، فإن الرياسة لا تصلح إلا لأهلها» (5).

ص: 75

1- نهج البلاغة: 53

2- رسائل الشهيد الثاني (ط.ج): الشهيد الثاني الجزء: 2 ص 1003. ينظر الكافي ج 2 ص 297 ح 1

3- الوافي: الفيض الكاشاني الجزء: 5 ص 844: ينظر الوسائل باب 5 من أبواب جهاد النفس ح 6/

4- مستدرک سفينة البحار: الشيخ علي النازي الشاه رودي الجزء: ص 12

5- فقه الرضا: علي بن بابويه القمي ص 384 وينظر الكافي 2: 225 / 2

فيتحصل: ان أولى الخطوات الاساسية واهمها في عمل الإداري هي التقوى ومن يريد ان يفتح على الله تبارك وتعالى لابد ان يكون من اهل التقوى.

ثانياً: العقل.

من الامور المهمة التي تساعد المسؤول والمتصدي للقيادة والإدارة هو التعقل والتدبير والنظر في الامور وضرورة وضع كل امر موضعه بلا استبطاء أو عجلة وعدم الانجرار وراء الرغبات والاهواء.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) واصفا ثمرات العقل وهو وضع الامور في مواضعها، قوله (عليه السلام):

«وَأَيُّكَ وَالْعَجَلَةَ بِالْأُمُورِ قَبْلَ أَوَانِهَا أَوْ التَّسْقُطَ فِيهَا عِنْدَ إِمْكَانِهَا أَوْ اللَّجَاجَةَ فِيهَا إِذَا تَنَكَّرَتْ أَوْ الْوَهْنَ عَنْهَا إِذَا اسْتَوْضَحَتْ فَضَعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْضِعَهُ وَأَوْقِعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْقِعَهُ»(1).

العقل لغة: نقيض الجهل،، يقال عقل يعقل عقلا، إذا عرف ما كان يجهره قبل، أو انزجر عما كان يفعله. وجمعه عقول. ورجل عاقل وقوم عقلاء وعاقلون، ورجل عقول، إذا كان حسن الفهم وافر العقل(2).

العقل هو السور المانع والحصن، والعقل من العقال أي عقال من الجهل هذه هي فائدة العقل للإنسان الذي يستعمل عقله دائما في اتخاذ قراراته الصائبة ويسور مواقفه واقواله وسلوكياته خشية الوقوع في الجهل، فقد ورد التأكيد عليه

ص: 76

1- نهج البلاغة، خطب الإمام علي (عليه السلام)، ج3، ص109، رسالة 53

2- معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، ج4، ص56، (عقل)

في الكثير من النصوص الشرعية، منها ما ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله في وصف العقل:

«إن العقل عقال من الجهل، والنفس مثل أخبث الدواب فإن لم تعقل حارت، فالعقل عقال من الجهل، وإن الله خلق العقل فقال له: أقبل، فأقبل وقال له: أدبر فأدبر، فقال الله تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أعظم منك ولا أطوع منك، بك أبدأ وبك أعيد، لك الثواب وعليك العقاب»⁽¹⁾. فقد شبه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) النفس والهوى (بأخبث الدواب) أي الدابة التي لم تعقل، تهرب وتتيه كذلك النفس اذا لم تعقل فإنها تكون في تيه، وورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام):

«العقل يوجب الحذر»⁽²⁾ - «الجهل يوجب الغرر»⁽³⁾.

وعنه (عليه السلام) في وصيته لمالك الاشر (رضوان الله عليه) قال:

«وَلَا تَدْفَعَنَّ صَدِّ لِحَا دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوَّكَ وَلِلَّهِ فِيهِ رِضًا فَإِنَّ فِي الصُّلْحِ دَعَاً لِحُجُودِكَ وَرَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ وَأَمْنًا لِبِلَادِكَ وَلَكِنَّ الْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ عَدُوِّكَ بَعْدَ صُلْحِهِ فَإِنَّ الْعَدُوَّ رُبَّمَا قَارَبَ لِيَتَغَفَّلَ فَيُحْذَبُ بِالْحَزْمِ وَآتَهُمْ فِي ذَلِكَ حُسْنَ الظَّنِّ»⁽⁴⁾.

فالإنسان حينما يستعمل عقله يكون حذراً في أقواله وأفعاله، وعنه (عليه السلام):

«العقل أقوى أساس»⁽⁵⁾.

ص: 77

1- تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليه وآله)، ابن شعبة الحراني، ص 15

2- عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، ص 24

3- المصدر نفسه: ص 24

4- نهج البلاغة: 53

5- عيون الحكم والمواعظ: علي بن محمد الليثي الواسطي ص 35

أقوى أساس يمكن أن يعتمد عليه الإنسان في تفجير طاقاته وفق الرؤية الإسلامية الصحيحة، فيكون تفكيره منسجماً مع الفطرة والمنطق، وفي رواية أخرى عنه (عليه السلام):

«للحازم من عقله عن كل دنية زاجر»(1).

الحزم: الحزم: (ضبط الإنسان أمره والأخذ فيه بالثقة. حزم، بالضم، يحزم حزماً وحزماً وحزومة، وليست الحزومة بثبت. ورجل حازم وحزيم من قوم حزمة وحزماء وحزم وأحزام وحزام: وهو العاقل المميز ذو الحنكة)(2).

الحزم هو تعبير ينبأ عن صدق وشعور الشخص إزاء آرائه واحتياجاته، وينم عن احترام الذات الإيجابي وعن رؤية الذات بصورة أفضل. ويرتبط مفهوم الحزم بخاصيتين هامتين في الإنسان هما: العقل والتفكير، الإرادة والاختيار.

الحزم هو ثمرة العقل فالإنسان الذي يحتاط في قراراته يعمل ضمن اطار العقل في تدبير الأمور وله الارادة في اختيار تنفيذ القرارات المنسجمة وفق العقل والحكمة فيكون محصناً لنفسه ويجد فيها مناعة من الوقوع في الخطأ والانحراف.

وورد عن الامام الحسن المجتبي (عليه السلام) قوله:

«اعلموا أن العقل حرز والحلم زينة»(3).

الحرز: هو الحفظ أي ان العقل يحفظ الانسان، فالمواقف الايجابية والعقلانية

ص: 78

1- المصدر نفسه ص 403

2- لسان العرب: ابن منظور: ج 12، ص 131. (مادة حزم)

3- إرشاد القلوب: الحسن بن محمد الديلمي، ج 1، ص 199. وينظر: العقل والجهل في الكتاب والسنة: محمد الري شهري، ص 63

التي تصدر من الإنسان دلالة على ان هذا الإنسان متحفظ و متحرز بعقله ثم ينسب الامام (عليه السلام) العقل إلى العفاف: يقول:

«إن أصل العقل العفاف، وثمرته البراءة من الآثام»(1).

العفة في اللسان والعين والاذن وفي جميع الجوارح، فأصل العقل هو العفة ومن يتصرف على اساس العقل لا يمكن ان يقع في الحرام والمعصية فيجد نفسه أكبر من أن ينساق وراء المواقف المشبوهة والدينئة التي لا تحفظ كرامة الإنسان وسموه ورفعته، وعنه (عليه السلام) - في الحكم المنسوبة إليه -:

«لا ترضَينَّ قول أحد حتى ترضى فعله، ولا ترض فعله حتى ترضى عقله، ولا ترض عقله حتى ترضى حياءه، فإن الإنسان مطبوع على كرم ولؤم، فإن قوي الحياء عنده قوي الكرم، وإذا ضعف الحياء قوي اللؤم»(2).

وعنه (عليه السلام):

«لا يعد العاقل عاقلاً حتى يستكمل ثلاثاً: إعطاء الحق من نفسه على حال الرضا والغضب، وأن يرضى للناس ما يرضى لنفسه، واستعمال الحلم عند العثرة»(3).

وعنه (عليه السلام):

«إنما العقل التحذر من الآثم والنظر في العواقب والأخذ بالحزم»(4).

ص: 79

1- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج 75، ص 7، وينظر: العقل والجهل في الكتاب والسنة، محمد الريشهري، ص 104

2- العقل والجهل في الكتاب والسنة، محمد الريشهري، ص 104

3- إرشاد القلوب: الحسن بن محمد الديلمي، ج 1، ص 74

4- عيون الحكم والمواعظ: علي بن محمد الليثي الواسطي ص 178

يريد الإمام (عليه السلام) أن يبين أهمية العقل فالعقل هو التجنب والحذر من الوقوع في الآثام والمعاصي والرذيلة والنظر في عواقب الامور المستقبلية فالإنسان حينما يستخدم عقله تكون نظرتة بسيطة إلى الامور والعقل هو الحزم والاحتياط في المواقف والعقل هو مجانبة التبذير وحسن التدبير، فمن العقل ان يحسن الإنسان تدييره في أموره.

فيتحصل: ان استحضار العقل في السلوك والاداء والمواقف يترك آثارا في مساحات الحياة، فالعقل يرفض كل ما ينفر منه العقل كظلم الاخرين والعمل بالباطل، فينبغي للمسؤول والمتصدي ان يشح بنفسه ويقمع هواه بعقله ويمنع نفسه من الوقوع في المنزلقات كالشبهات والمواقف السيئة.

ثالثا: عدم مداهنة النفس.

قوله (عليه السلام):

(فَلْيَكُنْ صِدْقُكَ لَهُمْ وَمِيْلَتُكَ مَعَهُمْ وَلْيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ، وَأَشَدَّ نَاهُهُمْ عِنْدَكَ أَطْلُبُهُمْ لِمَعَايِبِ النَّاسِ) (وَمَهْمَا كَانَ فِي كُتَابِكَ مِنْ عَيْبٍ فَتَعَايَيْتَ عَنْهُ الزُّمْتَهُ) (1).

إن أخطر شيء على المتصدي للمسؤولية الإدارية هو حينما يعتبر المسؤول نفسه في حالة استثناء عن الآخرين، وهذا ما يسمى بالاستثناءات، أي كل ما هو ممنوع على الرعية جائز على الوالي ويعدّ هذا تجاوزاً على المحظورات والقوانين في إدارة الدولة، حيث يشير الإمام (عليه السلام) في هذا المقطع محذرا الولاة وداعيمهم إلى الالتزام بالمواثيق المطلوبة وعدم الانجرار مع الاهواء والرغبات النفسية بالمداهنة مع الاخرين، يريد الامام (عليه السلام) ان يقول لا تبرر المواقف والاطعاء لأجل مصلحتك الشخصية فتضيع حقوق الرعية بالظلم والعدوان عليها من أجل مراعاة مشاعر الاخرين يقول عليه السلام):

ص: 80

«وَمَهْمَا كَانَ فِي كُتَابِكَ مِنْ عَيْبٍ فَتَعَايَيْتَ عَنْهُ أَلْزَمْتَهُ».

ألزمته أي حاسبه بحق وعدل من دون تملق وتزلف، المداهنة: مُدَاهَنَةٌ: (اسم) مصدر ذَاهَنَ (الْمَلَايِنَةُ، الْمَدَارَاةُ)(1)، والمداهنة هي التغطية على الحقيقة، مداهنة ودهانة، اظهر خلاف ما اضممر، وفلاناً خدعه وغشه وداراه ولا يته، كما في الدهن الذي يستعمله الإنسان فيستر به البشرة ويغطيها(2).

المداهنة: هي ترك الحق من أجل الدنيا، حيث يتوسل بالتملق والتزلف والمصانعة في التأثير على الآخرين، أي يجامل الآخرين على حساب الحق ولا يخبرهم به لحساب مصلحته الشخصية، فهو يرى الانحراف والخطأ والباطل في رعيته أو أصدقائه فيثني على هذا الخطأ ويمتدحه إلى حد التملق: والذي يظهر من معنى الكلام أن المداهنة تقترب كثيرا من النفاق فيما يقول وهو يعلم أنه ليس بصادق في قوله و المرجح المسألة هو الكذب وجماع النفاق هو الكذب، وربما كانت كفرا إذا كانت المداهنة الصاحب الكفر كما في قوله تعالى:

«وَدُّوا لَوْ تَدَّهِنُ فَيُدَّهِنُونَ»(3).

قال صاحب تفسير الامثل في ذيل هذه الآية إشارة إلى الجهود التي بذلها المشركون في إقناع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بمصالحتهم والإعراض عن آلهتهم وضلالهم فيقول: (ودّوا لو تدّهن فيدهنون). إنّ من أمانيتهم ورغبتهم أن تلين وتنعطف باتّجاههم، وتغضّ الطرف عن تكليفك الرسالي من أجلهم(4).

ص: 81

1- تاج العروس، الزبيدي، ج18، ص210

2- المعجم الوسيط، النجار، ج1، ص625

3- القلم: 9

4- تفسير الامثل: ناصر مكارم الشيرازي في ذيل الآية المباركة: ج28، ص297

ثم قال إن من جملة الخصائص التي يتميز بها تجار السياسة، والاشخاص والمجاميع غير الرسالية، أنهم يتلونون ويتصرفون بالشكل الذي يتماشى مع مصالحهم، فلا ضوابط ولا ثوابت تحكمهم، بل هم على استعداد دائم للتنازل عن كثير من الشعارات المدعاة من جانبهم مقابل تحقيق بعض المكاسب أو الحصول على بعض الامتيازات(1).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم محذرا من التملق (ليس من اخلاق المؤمن التملق)(2)، إذ فيه تضييع للمبادئ والمثل من أجل الدنيا.

وقد وقف أمير المؤمنين (عليه السلام) من هذه الظاهرة موقفا متشددا فلقد شجبها ومنع التعامل بها لأنها من الاساليب الملتوية في السلوك وهي تعبر عن عدم استقامة الشخصية وخواء الضمير وهي من الظواهر التي لا تليق بأخلاقية المؤمن بتاتا لكونها تتجه نحو المخلوق وتهجر الخالق.

وفي وصيته (عليه السلام)، لكميل بن زياد (رضوان الله عليه) قال:

«يا كميل لست والله متملقا حتى أطاع ولا ممنيا حتى لا أعصي، ولا مانلا لطعام الاعراب حتى انحل إمرة المؤمنين وادعى بها»(3).

فقد تطرق (عليه السلام) عبر هذه الوصية إلى مجمل عناصر المداينة وهي: التملق واطلاق الوعود وشراء الذمم من خلال بذل الموائد، منزها نفسه عن ممارستها بغية الحصول على السلطة أو البقاء والمحافظة عليها(4).

ص: 82

1- المصدر نفسه: ص 297

2- جامع بيان العلم وفضله: ابن عبد البر، الجزء 1، ص 131: وينظر ملامح القيادة الناجحة في ضوء منهجية الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) مقارنات دراسية في سيكولوجية السلوك التنظيمي المعاصر: محمد عبد الرضا هادي الساعدي: ص 226

3- تحف العقول عن آل الرسول (ص): ابن شعبة الحراني ص 175

4- ملامح القيادة الناجحة: محمد عبد الرضا هادي الساعدي: ص 227: مصدر سابق

ومن وصاياه (عليه السلام) لابنه الحسن (عليه السلام) محذرا اياه من هذه الحالة والخصيصة الذميمة:

«وأكرم نفسك عن كل دنية وإن ساقتك إلى الرغائب فإنك لن تعترض بما تبذل من نفسك عوضا. ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا وما خير خير لا ينال إلا بشرّ، ويسر لا ينال إلا بعسر، وإياك أن توجف أي تسرع بك مطايا الطمع فتوردك مناهل الهلكة وإن استطعت أن لا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل فإنك مدرك قسمك وأخذ سهمك وأن اليسير من الله سبحانه أكرم وأعظم (أعظم وأكرم) من الكثير من خلقه وإن كان كلّ منه»(1).

وقال عليه السلام:

«المنية ولا الدنية. والتقلل ولا التوسل. ومن لم يعط قاعدا لم يعط قائما. والدهر يومان يوم لك ويوم عليك، فإذا كان لك فلا تبطر، وإذا كان عليك فاصبر»(2).

يقول أمير المؤمنين (عليه السلام):

«ولا ترخصوا لأنفسكم فتدهنوا ولا تدهنوا في الحق فتخسروا»(3).

أو قوله (عليه السلام):

«ولا ترخصوا لأنفسكم فتذهب بكم الرخص فيها مذاهب الظلمة، ولا تدهنوا فيهم بكم الإدهان على المصيبة»(4).

ص: 83

1- روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه: محمد تقي المجلسي (الأول الجزء: 13 ص 86

2- نهج البلاغة: خطب الإمام علي (ع) الجزء: 4 ص 94

3- الحجّة في وجوب صلاة الجمعة: محمد مقيم الزيدي ص 63

4- نهج البلاغة: خطبة 83

يطلب الامام (عليه السلام) من الناس ألا يتساهلوا مع أنفسهم بطلب الرخصة لعمل الحرام، ويخلقوا لها المعاذير، انجروا للدين ولا تجرروا به اتباعا لشهواتكم، وان فعلوا ذلك ذهبت بهم الرخص مذاهب الظلمة حتى يظلموا الناس ويكونوا من الظالمين من حيث لا يشعرون فمن لا يكون عادلا فهو ظالم.

إذا في منهج أمير المؤمنين (عليه السلام) في القيادة والإدارة عدم المداهنة وإظهار خلاف الواقع وخلاف ما يعتقدون، وعلّة التحذير من المداهنة هي أنها تفتح الباب أمام الإنسان للهجوم على المعصية، فبمجرد أن يبدأ بالمداهنة حتى ينزلق في طريق المعاصي والابتعاد عن السياقات الصحيحة.

المسألة السابعة: الانصاف والعدل مع الرعية.

قوله (عليه السلام):

«أَنْصِفِ اللَّهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوَى مِنْ رَعِيَّتِكَ.... وَإِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ الْوَلَاةِ اسْتِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي الْبِلَادِ وَظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ.... ثُمَّ اعْرِفْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا أَبْلَى وَلَا تَضْمَنَّ بِلَاءَ امْرِئٍ إِلَى غَيْرِهِ وَلَا تُقْصِرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بِلَائِهِ وَلَا يَدْعُونَكَ شَرَفُ امْرِئٍ إِلَى أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بِلَائِهِ مَا كَانَ صَغِيرًا وَلَا ضَعْفُ امْرِئٍ إِلَى أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بِلَائِهِ مَا كَانَ عَظِيمًا»(1).

هذا المقطع من العهد الشريف يشير إلى مبدأ آخر من مبادئ الإدارة في المنظومة الإسلامية يسمى (الانصاف) حيث يشرف على مجموعة من السلوكيات والأفعال والأقوال العادلة، والذي يؤدي تطبيقه إلى زيادة روح الوفاء والولاء والإيثار والتضحية لدى الأفراد العاملين مما يحفزهم إلى تقديم الأفضل.

ص: 84

الانصاف: أن تعطي من نفسك النصف أي تعطي لنفسك ما تستحق من الحق كما تأخذه وانتصفت منه، اخذت حقي كاملاً حتى صرت وهو على النصف سواء(1) يؤكد الإسلام على أن يحب المرء لأخيه ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لها. ولعل أروع تعبير عنه ما رواه صاحب البحار عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال:

«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»(2).

جاء أعرابي إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال يا رسول الله علمني عملاً ادخل به الجنة فقال:

«ما أحببت أن يأتيه الناس إليك فأتته إليهم وما كرهت أن يأتيه الناس إليك فلا تأت إليهم»(3).

والنكته المهمة في هذا المقطع من العهد ان الامام (عليه السلام) يشير إلى ان على الإنسان أن ينصف نفسه قبل أن ينصف الآخرين فعندما يسيئ للآخرين وهذا معناه أنه قدم إساءة إلى نفسه قبل الإساءة إلى الآخرين أو حينما يجعل نفسه ميزاناً وفق الاطر والاتجاهات الصحيحة تراه ينتصر لنفسه قبل أن ينتصر للآخرين.

ص: 85

1- العين، الفراهيدي، ج2، ص 440 كنز العمال: للمتقي الهندي ج9 ص335

2- بحار الأنوار: ج69 ص257 ب114 ضمن ح20، وينظر فقه العولمة: السيد محمد الحسيني الشيرازي ص126

3- وسائل الشيعة (آل البيت): الحر العاملي الجزء: 15 ص287

فالملاحظة المهمة التي نستحصلها من هذه النكتة أن الإنسان من خلال النظرية الإسلامية والعهد الشريف لا يستطيع العيش بمعزل عن الآخرين فإحسانه للآخرين هو إحسانه إلى نفسه أولاً وبالذات وإساءته إلى الآخرين هو إساءته إلى نفسه قبل أن يكون مسيئاً للآخرين ثانياً وبالعرض.

ثم يعد الامام (عليه السلام) الانصاف بمثابة العدل:

«من كثر إنصافه تشاهدت النفوس بتعديله»⁽¹⁾.

وعنه (عليه السلام): «أعدل الناس من أنصف من ظلمه»⁽²⁾.

وقال (عليه السلام) أيضاً:

«الإنصاف من النفس كالعدل في الإمرة»⁽³⁾.

والإمام الباقر (عليه السلام) يقول:

«لا عدل كالإنصاف»⁽⁴⁾.

ويقول الإمام الصادق (عليه السلام):

«ليس من الإنصاف مطالبة الإخوان بالإنصاف»⁽⁵⁾.

يقول (عليه السلام) مخاطباً عماله على الخراج في رسالة طويلة.

ص: 86

1- غرر الحكم: 8394، 8408

2- المصدر نفسه: 1410، 3186

3- المصدر نفسه: 1951، 3803

4- بحار الانوار: 1/165/78

5- المصدر نفسه: 165/78؛ غرر الحكم: 3441؛ نهج البلاغة: الحكمة 231؛ أمالي الطوسي: 537/280

«مِنْ عَبِيدِ اللَّهِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَصْحَابِ الْخِرَاجِ: ... فَأَنْصِبْهُمُ الْخِرَاجَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَاصْبِرُوا لِحَوَائِجِهِمْ، فَإِنَّكُمْ خَزَانُ الرَّعِيَةِ، وَوُكَلَاءُ الْأُمَّةِ، وَسَفَرَاءُ الْأَيْمَةِ. وَلَا تُحْشِمُوا أَحَدًا عَنْ حَاجَتِهِ، وَلَا تَحْبِسُوهُ عَنْ طَلِبَتِهِ...»(1).

يوصي الامام (عليه السلام) عماله على الخراج برعاية العدل والانصاف والمحبة للناس عند اخذ الخراج منهم، ويشير أيضا هنا إلى ثلاث مناصب لعمال الخراج ويترتب عليها ثلاث مسؤوليات في المنظومة الإدارية.

1- أنهم (خَزَانُ الرَّعِيَةِ): باعتبار هذه الاموال التي في أيدي الدولة والتي أخذت من الشعب هي أموال الشعب والحاكم والمسؤول هو مؤتمن عليها فيجب ان تصرف بعدل وانصاف على الشعب نفسه.

2- أنهم (وُكَلَاءُ الْأُمَّةِ) يصف الامام (عليه السلام) المسؤولين بأنهم وكلاء لهذه الامة أي انهم ممثلون عن الناس الذين وجب الحق عليهم في أخذ الحقوق منهم بشكل كامل.

3- أنهم (سَفَرَاءُ الْأَيْمَةِ). أي أنهم يمثلون الحاكم والمسؤول الاول في الدولة، وينبغي لهم أن يتخلقوا بأخلاق أئمتهم ويسلكوا مع الناس مسلك أئمتهم وأي تصرف ينعكس على الامام سواء كان حسنا أو سيئا فانطلاقا من هذه السفارة أن يكونوا حريصين على تحقيق الانصاف في تعاملهم مع الناس.

فيتحصل: إن الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) عندما يطلب من الوالي أن يكون منصفًا، هذا معناه أن تقيمه من قبل الآخرين مرهون بعدم تعاطيه المطلق مع رغباته النفسية فيما يحب ويكره، هذا هو منهج أمير المؤمنين (عليه السلام)

ص: 87

وعدالته، فلقد كان منصفاً في تعامله مع الناس فيعطينا درساً في كيفية تعامل المسؤول إدارياً أن يكون منصفاً وعادلاً مع الناس لكي يحقق الاهداف المطلوبة في المنظومة الإدارية.

المسألة الثامنة: الانضباط والمساواة.

قوله (عليه السلام): «وَلَا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةِ سَوَاءٍ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَرْهِيماً لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ فِي الْإِحْسَانِ وَتَدْرِيباً لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ وَالزَّمُّ كُلُّهُ مِنْهُمْ مَا أَلَزَمَ نَفْسَهُ... فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ فَتَكَلَّلْ وَعَاقِبْ فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ» (1).

يوصي الامام (عليه السلام) في هذا المقطع من العهد بعدة وصايا تعد أصلاً من الاصول مهمة للإدارة الجيدة المنسجمة مع الرؤية الاسلامية القائمة على اساس العدل، والعدل هو وضع الشيء في موضعه، فيتعامل مع المحسن بما ينسجم مع إحسانه، ويتعامل مع المسيء بما ينسجم مع إساءته وبناء على هذا المبدأ فإن الادارة الصحيحة المنسجمة مع الاسلام هي الإدارة التي تفرق في نظرتها بين العامل الخادم والعامل الخائن، فتكافئ الخادم وتعاقب الخائن أولاً، وثانياً أن يكون المعيار في تشجيع الافراد هو ما يقومون به من أعمال وما يترتب عليها من نتائج، فلو غيب عنصر الترغيب والترهيب في النظام وتمتع المحسن بذات الحقوق والامتيازات التي يحظى بها المسيء.

فإن الفرد الأول سيشعر بعد مدة بعدم وجود التقييم الصحيح لأعماله الحسنة من ثمّ عدم جدوى السعي وبذل الجهد في هذا المجال، الامر الذي يؤدي إلى أن

ص: 88

يدب الضعف والوهن في أجهزة الدولة ثم انهيارها وزوالها، ولهذا يوصي الامام (عليه السلام) عامله بضرورة التفريق بين الفئتين (1).

فالمسؤول الناجح هو من يميز بين الأفراد في التعامل بين المحسن والمسيء في مدى الالتزام بالضوابط الإدارية وإطاعة الأوامر وتنفيذها وجعل سلوكهم مطابقاً لها، بما ينسجم مع الإحسان والإساءة، ومن هنا تظهر أهمية العدالة في التعامل مع من هو تحت إدارته وقيادته.

المسألة التاسعة: معايير تقييم العاملين في المنظومة الإدارية.

من هنا ينبغي لنا الإشارة إلى المعايير والأدوات الرئيسية لتقييم وتمييز وفرز العاملين في المنظومة الإدارية في الفهم الاسلامي:

أولاً: المعايير الأخلاقية.

من العوامل والادوات الاخلاقية التي من خلالها يتم تقييم وتمييز العاملين هو عامل التقوى والنزاهة وعامل الحياء والصدق، والورع والإيثار الانتصار لله سبحانه وتعالى الإنسان الذي يمتلك هذه الادوات، يخاف الله ويتقيد بالضوابط الشرعية، وغيره اعني بذلك الإنسان غير الملتزم الذي لا- يمتلك من هذه الادوات أي شيء، ينظر إلى العمل على انه فرصة للتلاعب والاستحواذ على المناصب فينبغي للمسؤول ان يميز من خلال تقييمه بين كلا النوعين، لكي يبقى العمل بيد أمينه لا تمتد إلى الحرام.

ص: 89

يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في عهده لمالك الأشتر (رضوان الله عليه) ضرورة التوخي والعمل بهذه الأدوات في المنظومة الإدارية.

«أَمْرُهُ بِتَقْوَى اللَّهِ وَإِثَارِ طَاعَتِهِ» يسלט الضوء على عامل التقوى والايثار ثم يشدد على حسن اختيار أصحاب الاخلاق والسمعة الحسنة والتجربة والحياء واصحاب معرفة فيما تقول اليه الامور (فإنهم أكرم أخلاقاً... وَتَوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجْرِبَةِ وَالْحَيَاءِ مِنْ أَهْلِ الْبَيِّنَاتِ الصَّالِحَةِ وَالْقَدَمِ فِي الْإِسْلَامِ الْمُتَقَدِّمَةِ فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلَاقًا وَأَصْحَحُ أَعْرَاضًا وَأَقْلُّ فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَاقًا وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ.... واصحاب سمعة حسنة في المجتمع (إِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرَى اللَّهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسِنِ عِبَادِهِ).

ثم يؤكد الإمام (عليه السلام) على التمييز بين الاشخاص الذين يمتلكون حالة الورع والصدق والانتصار للحق والصبر عليه وبين من لا يمتلكها

(وَأَنْ يَنْصُرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِقَلْبِهِ وَيَدِهِ وَلِسَانِهِ.... وَالصَّقُّ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصَّدْقِ.... لُزُومِ الْحَقِّ، وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ)

ثم أن الامام (عليه السلام) يطلب من المسؤولين أن تكون لديهم رقابة إدارية تستطيع التمييز بين العاملين وتقييمهم في مورد النزاهة والقدرة وعدم الوشاية والتحلي بالأخلاق الفاضلة (وَأَنَّكَ مَا هُمْ جَبِيلاً وَأَفْضَلَ لَهُمْ حِلْمًا مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ وَيَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُدْرِ وَيَرَأْفُ بِالضَّعْفَاءِ وَيُنْبُو عَلَى الْأَقْوِيَاءِ وَمِمَّنْ لَا يُبِيرُهُ الْعُنْفُ وَلَا يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ... وان يكون قادرا على الإعانة ومواساة الآخرين. مَنْ وَسَّاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ وَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مَنْ جِدَّتْهُ بِمَا يَسَّ عُهُمُ وَيَسَعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ حَتَّى يَكُونَ هَمُّهُمْ هَمًّا وَاحِدًا فِي جِهَادِ الْعُدُوِّ فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ.... وعدم الوشاية والنميمة.. وَلْيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ وَأَشْنَأَهُمْ عِنْدَكَ أَطْلَبُهُمْ لِمَعَانِبِ النَّاسِ(1).

ص: 90

يؤكد الامام (عليه السلام) على عامل التفضيل بين الافراد في المنظومة الإدارية وفي مساحات العمل اليومي للعاملين، إذ يقول (عليه السلام):

«أَفْضَلُ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ مِمَّنْ لَا تَضِيْقُ بِهِ الْأُمُورُ وَلَا تُمَحِّكُهُ الْخُصُومُ وَلَا يَتِمَادَى فِي الزَّلَّةِ وَلَا يَحْصَرُ مِنَ الْفَيْءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ وَلَا تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ وَلَا يَكْتَفِي بِأَدْنَى فَهْمٍ دُونَ أَفْصَاهُ وَأَوْقَفَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ وَأَخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ وَأَقْلَبَهُمْ تَبَرُّمًا بِمُرَاجَعَةِ الْخُصْمِ وَأَصْبَرَ لَهُمْ عَلَى تَكْشُفِ الْأُمُورِ وَأَصْرَمَهُمْ عِنْدَ اتِّضَاحِ الْحُكْمِ مِمَّنْ لَا يَزِدُّهُ إِطْرَاءٌ وَلَا يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ» (1).

ثالثاً: معيار الكفاءة والأمانة والعلم والابداع والتواضع وحب الصالحين وبغض الظالمين.

يشير الامام (عليه السلام) إلى أدوات وعوامل أخرى لتقييم الافراد العاملين في المنظومة الإدارية والتأكيد عليها، يقول (عليه السلام):

«ثُمَّ انْظُرْ فِي حَالِ كُتَابِكَ فَوَلِّ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ وَأَخْصِصْ رَسَائِلَكَ الَّتِي تَدْخُلُ فِيهَا مَكَارِدُكَ وَأَسْرَارُكَ بِأَجْمَعِهِمْ لَوْجُوهِ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ الْكِرَامَةُ فَيَجْتَرِي بِهَا عَلَيْكَ فِي خِلَافِ لَكَ بِحَصْرَةِ مَلَا وَلَا تَقْصُرُ بِهِ الْغَفْلَةُ عَنْ إِيْرَادِ مُكَاتَّبَاتِ عَمَّا لِكَ عَلَيْكَ وَإِصْدَارِ جَوَابَاتِهَا عَلَى الصَّوَابِ عَنْكَ فَيَمَّا يَأْخُذُ لَكَ وَيُعْطِي مِنْكَ وَلَا يَصْدُغُ عَفْوَ عَقْدًا اعْتَقَدَهُ لَكَ وَلَا يَعْجِزُ عَنْ إِطْلَاقِ مَا عَقَدَ عَلَيْكَ وَلَا يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفْسِهِ فِي الْأُمُورِ فَإِنَّ..... الْجَاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ يَكُونُ بِقَدْرِ غَيْرِهِ أَجْهَلُ ثُمَّ لَا يَكُنْ اخْتِيَارُكَ إِيَاهُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ وَأَسْتِنَامَتِكَ وَحُسْنِ الظَّنِّ..... وَلَكِنْ اخْتَبِرْهُمْ بِمَا وُلُّوا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ فَاعْمِدْ، لِأَحْسَنِهِمْ

كَانَ فِي الْعَامَّةِ أَثْرًا، وَأَعْرَفَهُمْ بِالْأَمَانَةِ وَجْهًا، فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى نَصِيحَتِكَ لِلَّهِ وَلِمَنْ وُلِّيتَ أَمْرَهُ»(1).

رابعاً: معيار المعرفة والاختيار وتوزيع الأعمال.

يوصي الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) مالكا (رضوان الله عليه) بعدم الاعتماد على المعرفة الشخصية في أثناء تقييم العاملين في المنظومة الإدارية، واعتمادها كعنصر أساسي في العمل، قوله (عليه السلام):

«ثُمَّ لَا يَكُنْ اخْتِيَارُكَ إِيَّاهُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ وَاسْتِتَامَتِكَ وَحُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ، فَإِنَّ الرَّجَالَ يَتَعَرَّضُونَ لِفِرَاسَاتِ الْوُلَاةِ بِتَصَنُّعِهِمْ وَحُسْنِ خِدْمَتِهِمْ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالْأَمَانَةِ شَيْءٌ. وَلَكِنْ اخْتَبِرْهُمْ بِمَا وُلُّوا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ، فَاعْمِدْ لِأَحْسَنِهِمْ كَانَ فِي الْعَامَّةِ أَثْرًا، وَأَعْرَفَهُمْ بِالْأَمَانَةِ وَجْهًا، فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى نَصِيحَتِكَ لِلَّهِ وَلِمَنْ وُلِّيتَ أَمْرَهُ...».

ثم يستعرض (عليه السلام) طريقة تقييم توزيع الاعمال، فيقول:

«وَأَجْعَلْ لِرَأْسِ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِكَ رَأْسًا مِنْهُمْ لَا يَفْهَرُهُ كَبِيرُهَا وَلَا يَسْتَشْتُّ عَلَيْهِ كَثِيرُهَا وَمَهْمَا كَانَ فِي كِتَابِكَ مِنْ عَيْبٍ فَتَغَابَيْتَ عَنْهُ أَلْزَمْتَهُ»(2).

المسألة العاشرة: الرقابة والتحكيم والتقويم.

قوله (عليه السلام): «ثُمَّ تَقَدَّرَ أَعْمَالُهُمْ وَأَبْعَثَ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ..... وَتَقَدَّرَ أُمُورُهُمْ بِحَصْرِ رَتِّكَ وَفِي حَوَاشِي بِلَادِكَ وَأَعْلَمَ مَعَ ذَلِكَ أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضَيْقًا فَاحِشًا وَشَحًّا قَبِيحًا وَاحْتِكَارًا لِلْمَنَافِعِ وَتَحَكُّمًا فِي

ص: 92

1- المصدر نفسه ص12

2- المصدر السابق نفسه ص12

الْبِيَعَاتِ وَذَلِكَ بَابٌ مَصْدَرٌ لِلْعَامَّةِ وَعَيْبٌ عَلَى الْوُلَاةِ.... وَتَفَقَّدَ أُمُورَ مَنْ لَا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ الْعُيُونُ وَتَحْقِرُهُ الرَّجَالُ فَفَرَّغَ
لِأَلْبَانِكَ ثِقَّتَكَ مِنْ أَهْلِ الْحَشْدِيَّةِ وَالتَّوَّاصِعِ فَلْيَزِفْغِ إِلَيْكَ أُمُورُهُمْ.... ثُمَّ أَكْثَرَ تَعَاهُدَ قَضَائِهِ..... وَتَفَقَّدَ أَمْرَ الْخَرَاجِ بِمَا يُصَدِّ لِحْ أَهْلَهُ، فَإِنَّ فِي
صَلَاحِهِ وَصَلَاحِهِمْ صَلَاحًا لِمَنْ سِوَاهُمْ وَلَا صَلَاحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلَّا بِهِمْ»(1).

توضيح: الرقابة لغة: رقب في أسماء الله تعالى: الرقيب: هو الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء، وفي الحديث: ارقبوا محمدا في أهل بيته، أي
احفظوه فيهم، ورقبت الإنسان، رقبه ورقباناً، وهو أن ينظره الرقيب والحارص والحافظ والأمين(2).

أما في الاصطلاح فتعني عملية التحقق من مدى انجاز الأهداف المرجوة، والكشف عن الصعوبات في تحقيق هذه الأهداف، والعمل على
إزالتها في اقصر وقت ممكن(3).

التقويم: حكم العقل والنظرة العميقة على الأشياء من خلال تقدير و تحكيم نتائج الأمور وتفحصها.

يتناول الامام (عليه السلام) في هذه المقاطع من العهد الشريف عناصر ثلاث أساسية في المنظومة الإدارية، ينبغي توفرها في كل من
يتصدى للمسؤولية الإدارية،

ص: 93

1- المصدر نفسه ص12

2- لسان العرب، ابن منظور ج1، ص424، المحيط في اللغة، ابن عباد، ج1، ص475

3- الرقابة على السلع والأسعار في الفقه الإسلامي: ظاهر فريدة حسين طه رسالة ماجستير (نابلس، جامعة النجاح، 2011م)، ص3

يتم من خلالها اكتشاف مواطن الاختلاف في نتائج العمل، ويجب الاستفادة من هذه النتائج لغرض تحسين أساليب الإدارة بشكل أفضل والاشراف على برامج وخطط العمل و تشخيص موارد الانحراف في أثناء ضهورها والعمل على إيجاد الطرق الكفيلة لإصلاحها.

المسألة الحادية عشر: التحفيز.

قوله (عليه السلام): «وَأَلْزِمَ الْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ وَكُنْ فِي ذَلِكَ صَابِرًا مُحْتَسِبًا وَقِعًا ذَلِكَ مِنْ قَرَابَتِكَ وَخَاصَّتِكَ حَيْثُ وَقَعَ..... فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ أَوْ نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ»(1).

يتناول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المقطع من العهد الشريف المالك الاشر (رضوان الله عليه) عنصرا آخر من عناصر مبادئ الادارة في المنظومة الإدارية، وهو عنصر التحفيز.

والتحفيز لغة: حفزه حفزاً، دفعه من خلفه بالسوق أو غيره يقال حفزت القوس السهم والليل يحفز النهار ويقال حفزه الى الأمر حثه عليه وحفز عليهم الخيل والركاب ارسلوها وفلاناً بالرمح طعنه وهو حافز وهي حافزة(2).

التحفيز: هو العملية التي تسمح بدفع الأفراد وتحريكهم من خلال دوافع معينة نحو سلوك معين أو بذل مجهودات معينة قصد تحقيق هدف(3).

ويتضح أن التحفيز يدل على تلك العوامل الخارجية التي تدفع الفرد إلى الحركة والقيام بعمل ما.

ص: 94

1- نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، ج3، ص96. رسالة 53

2- المعجم الوسيط، النجار، ج1، ص384. مادة حفز

3- اسرار القيادة عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): جميل كمال: ص69

ومن الآيات القرآنية التي تستخدم اسلوب التحفيز ما ورد في قوله تعالى:

«وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ»(1).

«فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيُنَبِّئُكُمْ بِغَنَاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا»(2).

ومن كلام له (عليه السلام) في التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة واستنهاض النفوس وتذكيرها بما ستؤول إليه.

«أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارٌ مَّجَازٍ، وَالْآخِرَةُ دَارٌ قَرَارٍ، فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ، وَلَا تَهْتِكُوا أَسَدَ تَارِكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ، وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ، فَفِيهَا اخْتَبِرْتُمْ، وَلِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ. إِنَّ الْمَرْءَ إِذَا هَلَكَ قَالَ النَّاسُ: مَا تَرَكَ؟ وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: مَا قَدَّمَ؟ لِلَّهِ آبَاؤُكُمْ! فَقَدِّمُوا بَعْضًا يَكُنْ لَكُمْ، وَلَا تَخَلِّفُوا كَلًّا فَيَكُونَ عَلَيْكُمْ»(3).

يشير الإمام (عليه السلام) في بداية الخطبة إلى مسألة مهمة بشأن حقيقة الدنيا والآخرة (أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارٌ مَّجَازٍ، وَالْآخِرَةُ دَارٌ قَرَارٍ، فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ)، يعدّ الامام (عليه السلام) مصدر شقاء الإنسان هو الغفلة عن الآخرة والركون إلى الدنيا واعتبارها دار مقر، فينهمك بجمع المال والثروة وينصرف ذهنه عن الآخرة التي هي دار السعادة .

ص: 95

1- الأعراف: 96

2- نوح: 10-11-12

3- نهج البلاغة: خطب الإمام علي عليه السلام، ج2، ص 183، خطبة 203: وينظر أمالي الصدوق: مجلس 23

ويعبر الإمام (عليه السلام) عن هذه الحقيقة بعدة تعابير، منها انه (عليه السلام) يعد الدنيا قنطرة (إنما الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها). (1) وكذلك (متجر اولياء الله). (2).

(فإنه من زرع يحصد، ومن لم يزرع فهو محتاج فليتكفر في أمر الآخرة فإن الدنيا مزرعة الآخرة) (3)، وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) في بعض خطبه: ((أيها الناس! إن الدنيا دار فناء والآخرة دار بقاء، فخذوا من ممركم لمقرمكم، ولا تهتكوا أستاركم عند من لا يخفى عليه أسراركم، وأخرجوا من الدنيا قلوبكم من قبل تخرج منها أبدانكم) (4).

(تجهزوا رحمكم الله فقد نودي فيكم بالرحيل. وأقلوا العرجة على الدنيا، وانقلبوا بصالح ما بحضرتكم من الزاد فإن أمامكم عقبة كؤودا، و منازل مخوفة مهولة لا بد من الورود عليها والوقوف عندها) (5).

ويستمر الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في التحفيز والتشويق إلى الآخرة، فقد ورد في الحديث عنه (عليه السلام): في الموثق كالصحيح، عن عبد الله بن مسكان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير - المؤمنين عليه السلام: ما من عبد إلا وعليه أربعون جنة حتى يعمل أربعين كبيرة فإذا عمل أربعين كبيرة انكشفت عنه الجنن فيوحى الله إليهم أن استروا عبيدي بأجنتكم فتستره الملائكة

ص: 96

1- الخصال: الشيخ الصدوق: ص 65

2- مفردات نهج البلاغة: السيد علي أكبر القرشي، ج 2، ص 1126، حكمة 131

3- روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه: محمد تقي المجلسي (الأول) ج 3 ص 12

4- موسوعة الإمام العسكري (عليه السلام): مؤسسة ولي العصر (عجل الله تعالى فرجه) للدراسات الإسلامية، ج 4، ص 303؛ نهج

البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، ج 2، ص 184

5- نهج البلاغة: خطب الإمام علي (عليه السلام) ج 2، ص 183

بأجنتها قال: فما يدل شيئاً من القبيح إلا قارفه حتى يقدح (أو يمتدح) إلى الناس بفعله القبيح فيقول الملائكة: يارب هذا عبدك ما يدع نهيها إلا ركبه وأنا لنستحيي مما يصنع فيوحي الله عز وجل إليهم أن ارفعوا أجنتكم عنه، فإذا فعل ذلك أخذ في بغضنا أهل البيت فعند ذلك ينتهك ستره في السماء وستره في الأرض فيقول الملائكة: يارب هذا عبدك قد بقي مهتوك الستر فيوحي الله عز وجل إليهم لو كانت لله فيه حاجة ما أمركم أن ترفعوا أجنتكم عنه(1).

إذا على المسؤول الإداري في المنظومة الإدارية ان يهتم بعنصر التحفيز من اجل تحقيق الاهداف والارتقاء بالمستوى الروحي للأفراد فيكون عنصراً هادفاً ومقتدرًا في البناء وتطوير الذات.

المسألة الثانية عشر: تغليب المصالح العامة على المصالح الشخصية (الأرستقراطية).

قوله (عليه السلام) «وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُ طُهَا فِي الْحَقِّ وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الْخَاصَّةِ وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ... وَإِيَّاكَ وَالْإِسْتِثْنَاءَ بِمَا النَّاسُ فِيهِ أَسْوَةٌ وَالتَّغَايِبِ عَمَّا تُعْنَى بِهِ مِمَّا قَدْ وَضَحَ لِلْعُيُونِ فَإِنَّهُ مَاخُودٌ مِنْكَ لِغَيْرِكَ وَعَمَّا قَلِيلٍ تَتَكَشَّفُ عَنْكَ أُغْطِيَةُ الْأُمُورِ وَيُنْتَصَفُ مِنْكَ لِلْمَظْلُومِ»(2).

يتحدث الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المقطع من العهد الشريف، عن محورية العلاقة بين الأمة والقائد في المنظومة الإدارية.

ص: 97

- 1- روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه: محمد تقي المجلسي (الأول) ج9، ص266: وينظر أصول الكافي، باب الكبائر، خبر 9 من كتاب الايمان والكفر وزاد ورواه ابن فضال عن ابن مسكان، الوافي الفيض الكاشاني، ج5، ص112
- 2- نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، ج3، ص86

يجب ان لا يكون الهدف هو ارضاء السلطة الحاكمة وما يسمى بالطبقة الارستقراطية اصحاب المصالح الخاصة بل ينبغي ان يكون الهدف هو خدمة الناس وما تريده الامة الأرستقراطية طبقة اجتماعية عالية كانت تشمل قادة الحكم في الدولة او الامة يدعي اعضاؤها انهم أرفع منزلة من غيرهم من الناس في المجتمع بسبب صلاتهم الأسرية ومكانتهم الاجتماعية و ثرواتهم وقدراتهم(1).

ينقسم المجتمع وفق النظرية الأرستقراطية إلى طبقتين من الناس:

1. طبقة الأقلية.

2. طبقة الأكثرية.

الطبقة الأولى (الأقلية):

هذه الطبقة العالية من الناس والتي تشكل بمفردها قادة الحكم في الامة ممن يدعون المكانة والنبيل والقدرة والثراء والمكانة الاجتماعية البارزة في المجتمع، أصحاب البذخ والترف الذين يثقلون كاهل الحاكم كل يوم من خلال الضغوط التي يتعرض لها الوالي أو الحاكم.

الطبقة الثانية (الأكثرية):

هذه الطبقة التي تشكل العدد الأكبر في المجتمع، أي عامة الناس غالبا ما يتمتعون بالإمكانيات القليلة. ويكتفون بالمقدار المتواضع من المأكل والملبس والمشرب ومن البديهي أن تكون حركة الحاكم على ضوء هذا التقسيم لصالح عامة الناس، مما يحقق ضمان مصالحهم وتحقيق أهدافهم وتطلعاتهم.

ص: 98

تحدث الإمام (عليه السلام) عن هاتين الطبقتين من الناس في عهده لمالك (رضوان الله عليه) بقوله (وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَةِ أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَوْوَنَةً فِي الرَّحَاءِ وَأَقْلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلَاءِ وَأَكْرَهَ لِلْإِنصَافِ وَأَسْأَلَ بِالْإِلْحَافِ وَأَقْلَّ شُكْرًا عِنْدَ الْإِعْطَاءِ وَأَبْطَأَ عُدْرًا عِنْدَ الْمَنَعِ وَأَضْعَفَ صَبْرًا عِنْدَ مُلِمَّاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ)(1).

المسألة الثالثة عشر: معايير نجاح المنظومة الادارية.

قال الإمام علي عليه السلام: (وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ، وَأَعْمَمُهَا فِي الْعَدْلِ، وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَةِ)(2).

يشير الامام (عليه السلام) من خلال هذا المقطع إلى معايير ثلاث ناجحة في المنظومة الادارية.

أولاً: حالة الاعتدال والوسطية.

ليس المراد من مراعاة الحق والعدل هو قيام المدينة الفاضلة في عالم الازهان وهذا ما يؤدي بدوره إلى تحجيم القرارات العملية والدفع بالحاكم إلى المثالية، ولذلك يحث الإمام (عليه السلام) الحاكم بقوله (أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ) إلى الأخذ بنظر الاعتبار الواقع والامكانيات المتاحة في المجتمع وعليه فهو يوصي الوالي والحاكم بمراعاة كل ما من شأنه التقرب من الحق، وعدم التهرب من المسؤولية بذريعة تعذر إقامة الحق بكل ما لهذه الكلمة من معنى(3).

ص: 99

1- نهج البلاغه، خطب الإمام علي عليه السلام، ج3، ص86، رسالة 53

2- المصدر نفسه ص86

3- الدولة الاسلامية شرح لعهد الامام علي (عليه السلام) إلى مالك الاشر النخعي: محمد الفاضل اللنكراني: ص86

إن المهم هو تحقيق رضا الغالبية الساحقة من الناس لا-الأقلية من أصحاب الثروة من الانتهازيين الذين يعيشون في بلاط الحاكم أو السلطان، ويقول الإمام (عليه السلام):

«فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يَجْحِفُ بِرِضَى الْخَاصَّةِ وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يَغْتَفِّرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ»(1).

يجب مراعاة العدل في تمشية الامور وإن كان يوجب سخط الخاصة من أرباب النفوذ وأصحاب المقامات السامية، لأن غضب عامة الرعية وعدم رضاهم عن وضعهم يوجب الثورة والبلوى، ولا يقدر الخاصة مهما كانوا مخلصين للحكومة وجادين في نصرته المقاومة مقابل سيول الثائرين وأهل البلوى، كما حدث في زمان عثمان، حيث إن سوء سياسته وعدم تأديته الحقوق العامة صار سببا لنقمة عامة الجيش الاسلامي، فانهزوا من مصر والكوفة واجتمعوا في المدينة وحصروا عثمان ولم يقدر خاصته كمروان بن الحكم وسائر رجال بني أمية مع كمال نفوذهم ودهائهم أن يصدوا سيل الثائرين والمهاجمين حتى قتل عثمان في داره وألقي بجسده إلى البقيع وتبعه ما تبعه من الحوادث الهامة(2).

إذن ينبغي على المسؤول في المنظومة الإدارية الناجحة أن يتخذ أسلوب الوسطية في مجمل أدائه من خلال تقدير ظروف وقدرات الناس المسؤول عنهم، فعندما يريد أن يصدر أوامره لابد أن تكون هذه الأوامر منسجمة مع الحالة الوسطية وخالية من حالة الإفراط والمبالغة. وهذا هو منهج الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في ترسيخ أسس الاعتدال والوسطية في قلوب وأذهان الناس.

ص: 100

1- نفحات الولاية شرح نهج البلاغة: ناصر مكارم الشيرازي: ج10: ص320

2- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ميرزا حبيب الله الخوئي: ج20: ص164

ثانياً: العدالة والمساواة.

يطلب الإمام (عليه السلام) في وصيته لمالك (رضوان الله عليه) التعامل بالعدل مع الجميع، فلا يكفي أن يكون عادلاً مع البعض وغير عادلٍ مع البعض الآخر أي عدم استثناء أحد في خصوص العدالة.

يعدّ العدل من الخصائص الإسلامية والقيم الإنسانية العليا في المنظومة الإدارية المتمثلة بالإدارة المثلى للرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين (عليه السلام) بحكم القرآن الكريم «وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ» (1).

وسئل الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) (أيما أفضل العدل أو الجود) فقال عليه السلام:

«العدل يضع الأمور مواضعها، والجود يخرجها من جهتها. والعدل سائس عام، والجود عارض خاص. فالعدل أشرفهما وأفضلهما» (2).

وعنه (عليه السلام):

«من كمال السعادة السعي في صلاح الجمهور» (3).

فاذا أردنا أن نبني مجتمعاً صالحاً وفق النظرية الإسلامية و منهج علي (عليه السلام) علينا ان نشعر الجميع بحقوق المواطنة الصالحة ومن هذه الحقوق العدل.

ص: 101

1- الشورى: 15

2- نهج البلاغة: خطب الإمام علي (عليه السلام) ج4 ص 102 حكمة 437

3- عيون الحكم والمواعظ: علي بن محمد الليثي الواسطي، ص 469: حكمة 30

ثالثاً: رضا الناس.

يشير الإمام (عليه السلام) إلى مسألة أخرى في تغليب المصالح العامة على المصالح الخاصة في المنظومة الإدارية وهو رضا الناس، ولا يتحدث الإمام (عليه السلام) عن رضا الناس بأجمعهم، لأن رضاهم غاية لا تدرك، ولا تيسر لكل احد، فحتى الانبياء والاصفياء لم يستطيعوا أن يحققوا رضا عامة الناس، لكن يعتبر الامام (عليه السلام) إرادة الأمة لها السبق على إرادة الحكومة، مما يدعو الآن تكون المالكية الشرعية للدولة هو الشعب (الأمة) وتكون الحكومة في خدمة الشعب وملبية المطالبه و محقيقه لطموحاته، من خلال معالجة مشاكله وأزماته.

وتأييدا لذلك في خصوص ما نحن فيه ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيان كيفية معالجة آراء الناس و تحقيق رضاهم قال (عليه السلام) في مورد رفضه البيعة:

«دَعُونِي وَالتَّمَسُّوا غَيْرِي فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْرًا لَهُ وَجْهٌ وَآلَوَانٌ لَا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ وَلَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ وَإِنَّ الْإِفْقَاقَ قَدْ أَغَامَتْ وَالْمُحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ. وَأَعْلَمُوا أَنِّي إِنِ اجْتَبَيْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ وَ لَمْ أَصْغِ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ وَعَثَبِ الْعَاتِبِ وَإِنْ تَرَكْتُمُونِي فَأَنَا كَأَحَدِكُمْ وَلَعَلِّي أَسَّ مَعَكُمْ وَأَطَوْعُكُمْ لِمَنْ وَلِيْتُمُوهُ أَمْرُكُمْ وَأَنَا لَكُمْ وَزِيرًا خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيرًا» (1).

سلط الامام (عليه السلام) الضوء على حقيقة البيعة وأحقيتها وما جرى من ظلم في اغتصاب الخلافة، يريد الامام (عليه السلام) أن يبين للناس أنهم على دين ملوكهم .

ص: 102

فعندما يتحدث (عليه السلام) ويقول دَعُونِي وَالتَّمَسُّوا غَيْرِي فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْرًا لَهُ وَجُوهٌ وَ أَلْوَانٌ لَا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ وَ لَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ» فإنه يشير إلى الناس بأنكم التمستم غيري بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقلتم بخلافة أبي بكر، ثم خلافة عمر، ثم خلافة عثمان مع علمكم بأني احق بها فأنا لا ارتضي الخلافة بهذه الشروط وفي حقها قال: دعوني و التمسوا غيري. وأما الخلافة الإلهية التي وردت من خلال النصوص الشرعية الكثيرة فهي غنية عن البيعة، غير خاضعة لإقبال الناس وإدبارهم. وليست الناس أمامها سواء، بل تختص بمن خصه سبحانه بها، وليس لمن خصه، فالخلافة التي ينحلها الناس عن طريق البيعة، فالإمام وغيره أمامها سواء، لا تؤدي إلى النجاح في المهمة الشرعية ثم إن الإمام (عليه السلام) لم يترك هذا الكلام بدون تعليل وبيان العلل التي دعت به إلى الرفض قال (عليه السلام):

«فَأِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْرًا لَهُ وَجُوهٌ وَ أَلْوَانٌ لَا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ وَ لَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ»

يقول (عليه السلام) للناس نحن في ميدان ومعتك في اختلافات والتباسات وبدع حادثة تخلفت من جراء غضب الخلافة من قبل الخلفاء الماضين، وقد سرتهم بسيرتهم وتابعتهم طرقهم وسلوكياتهم في الحكم في توزيع الأموال التي كانت خلاف السنة النبوية، فلا يستطيعون بهذه الصورة أن تنسجموا مع الرؤية الحقة.

يريد الإمام (عليه السلام) أن يقول للناس إن تحقيق العدالة أمر صعب في حد نفسها واجرائها فمن لم يذق طعمها أصعب وأشكل، فإن قلب المنافق بمعزل عن القيام بالحق وعقله بعيد عن إدراك الحقائق والفضائل الإنسانية(1)

ثم يبدأ في بيان الصفات المترتبة على هذه البيعة بهذا الشكل.

ص: 103

الصفة الاولى: «وَلَا تُثَبِّتْ عَلَيْهِ الْعُقُولُ».

هنا يتحدث الإمام (عليه السلام) عن اختلاف المواقف والمبادئ والثوابت التي يتحرك من خلالها الناس، البعض يتحرك وفق المصالح الشخصية، فتختلف رؤية علي (عليه السلام) مع مصالح الناس.

الصفة الثانية: «لَا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ»

يشير الإمام (عليه السلام) إلى حقيقة وجوه القلوب، عندما تكون المعايير معايير حقة، تختلف قلوب الناس في اقبال الحق ورفضه، فلا تنسجم مع النهج الذي يقدمه علي (عليه السلام)، فقالوا: نشدك الله ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى الاسلام؟ ألا ترى الفتنة ألا تخاف الله؟ فقال: قد أجببتكم واعلموا أنني إن أجببتكم أركب بكم ما أعلم فإن تركتموني فإنما أنا كأحدكم إلا أنني من أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه. ثم افترقوا على ذلك واتعدوا الغد. (1)

يتوقع الناس إن الإمام (عليه السلام) يتحجج كما يتحجج البعض حينها يستغلون المواقف في اثناء غياب البديل، فيرفعون سقف شروطهم لأجل الحصول على المزيد من الامتيازات والحقوق.

فقال لهم (عليه السلام) قد أجببتكم ولم أكن متصلا عنكم، ولكن الذي أراه فيكم صعب التعامل لأنكم لم تلتزموا بمنهجي فنفترق فيما بيننا واعلموا أنني إن أجببتكم أركب بكم ما أعلم فإن تركتموني فإنما أنا كأحدكم إلا أنني من أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه. ثم افترقوا على ذلك واتعدوا الغد.

ص: 104

فيتحصل: إن الإمام (عليه السلام) كان ينتمي إلى مدرسة تملي عليه القيام بالمسؤولية واحياء الدين ومفاهيمه السامية وتعاليمه الحقة وأن يسير في الناس بما يعلم وإن تعارضت أهدافه مع أهداف الناس ولا يأبه بعتب العاتب وإن كلف ذلك حياته، لأن رضا الناس غاية لا تدرك، ورضا الله غاية لا تترك .

المسألة الرابعة عشر: المركزية في القرار .

قوله (عليه السلام) «ثُمَّ أُمُورٌ مِنْ أُمُورِكَ لَا بَدَّ لَكَ مِنْ مُبَاشَرَتِهَا مِنْهَا إِجَابَةٌ عَمَّا لَكَ بِمَا يَعْنِي عَنْهُ كُتَابُكَ وَمِنْهَا إِصْدَارُ حَاجَاتِ النَّاسِ يَوْمَ وُرُودِهَا عَلَيْكَ بِمَا تَخْرُجُ بِهِ صُدُورُ أَعْوَانِكَ» (1).

يتحدث الإمام (عليه السلام) في هذا المقطع الشريف من العهد حول السلطة التنفيذية المتمثلة بالمسؤولين والعاملين في المنظومة الإدارية الذين تفوض لهم الأعمال و مباشرتها بأنفسهم، يلزم على المسؤول فيما بينه وبين العاملين معه، أن يتصدى بنفسه إجابات العمال، ومن الواضح أن كبار المسؤولين لا يتمكنون من القيام بكافة مهامهم فيضطرون لتفويض بعض مساعدتهم ومستشاريهم للقيام بها، ولكي يستطيع المسؤول ممارسة إشرافه على سير مهام مساعدته، فإن عليه أن يفرق بين الأعمال ذات الأولوية عن تلك الثانوية غير الضرورية، فيباشر الأعمال ذات الأولوية على نحو يعين لها أوقاتها بالسرعة والدقة بالاستعانة بمساعديه في سائر الأعمال فلا يؤجل عمل اليوم إلى غدٍ (2) .

ص: 105

1- نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، ج3، ص 103، رسالة 53

2- الدولة الاسلامية شرح لعهد الامام علي (عليه السلام) إلى مالك الأشتر النخعي: محمد الفاضل اللكراني: ص 146

المسألة الخامسة عشر: ستر العيوب.

قوله (عليه السلام) «وَلْيَكُنْ أَبَعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ وَأَشْنَاهُمْ عِنْدَكَ أَطْلُبُهُمْ لِمَعَايِبِ النَّاسِ، فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوبًا الْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ وَاللَّهُ يَحْكُمُ عَلَيَّ مَا غَابَ عَنْكَ فَاسْتِرِ الْعُورَةَ مَا اسْتِطَعْتَ يَسْتِرِ اللَّهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سِتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ أَطْلِقْ عَنِ النَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حَقْدٍ، وَأَقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وَتْرٍ وَتَغَابَ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَضِحُ لَكَ» (1).

يتحدث الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المقطع من العهد الشريف المالك الأشر (رضوان الله عليه) عن سات الاشخاص الواجب إبعادهم عن المنظومة الادارية، في مجملهم هؤلاء يشكلون خطرا على سمعة القرار الذي يصدر من المسؤول الإداري، ويشير الإمام (عليه السلام) إلى صنفين من هؤلاء الناس، الصنف الأول الانتهازيون المتتبعون لعيوب الناس ونقاط الضعف والقصور فيهم وهم من يسمى؛ (النمامين والوشاة، والصنف الثاني ما يسمى بالسعاة في الناس عند السلاطين، والإمام (عليه السلام) يشير إلى صفة رذيلة من الرذائل الخلقية والتي أعدها الاسلام من أقبح الرذائل وهو النميمة والوشاية، ما هو المراد من النميمة والوشاية؟ (نميمة: (اسم) الجمع: نَمَائِمٌ) النَّمِيمة: وشاية، نقل الحديث على وجه الإفساد والوقية بين النَّاسِ وقيل: تَزْيِينُ الكَلَامِ بالكذب. من نَمَّ يَنْمُ وَيَنْمُ، فهو نَمَوٌّ وَنَمَامٌ وَمِنَّمٌ، وَنَمٌّ، من قَوْمٍ نَمَّيْنٍ وَأَنْمَاءٌ وَنَمٌّ، وهي نَمَةٌ، ويقال لِلنَّمَامِ القَتَاتُ، وَنَمَامٌ مُبَالِغَةٌ، وَالاسْمُ النَّمِيمةُ، وأصل هذه المادة يدلُّ على إظهار شيء وإبرازه (2).

ص: 106

1- نهج البلاغه، خطب الإمام علي عليه السلام، ج3، ص87، رسالة53

2- القاموس المحيط للفيروز آبادي، ج1، ص1503؛ وينظر لسان العرب: ج12: ص592، (نم)

النميمة تطلق في الأكثر على أن ينم قول الغير إلى المقول فيه، كأن يقال: فلان تكلم فيك بكذا وكذا، أو فعل فيك كذا وكذا. وعلى هذا تكون نوعاً خاصاً من إفشاء السر وهتك الستر، وهو الذي يتضمن فساداً أو سعاية. وقد تطلق على مالا يختص بالمقول فيه، بل على كشف ما يكره كشفه، سواء كره المنقول عنه أو المنقول إليه أو كرهه ثالث، وسواء كان الكشف بالقول أو الكتابه أو بالرمز والإيماء، وسواء كان المنقول من الأعمال أو من الأقوال، وسواء كان ذلك عيباً ونقصاناً على المنقول عنه أو لم يكن، وعلى هذا يكون مساوياً للإفشاء السر وهتك الستر وحينئذ فكل ما يرى من أحوال الناس ولم يرضوا بإفشائه، فإذا عته نميمة فاللزام على كل مسلم أن يسكت عما يطلع عليه من أحوال غيره، إلا إذا كان في حكايته نفع لمسلم أو دفع لمعصية. كما إذا رأى أحداً يتناول مال غيره، فعليه أن يشهد به مراعاة لحق المشهود له، وأما إذا رآه يخفي مالا لنفسه، فحكايته نميمة وإفشاء للسر(1).

قال رسول الله (صلى عليه وآله وسلم) لأصحابه: «ألا أنبئكم بشراركم قالوا بلى يا رسول الله قال المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون للبراء العيب»(2).

عن ابن مسعود قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

«لا يبلغني أحد منكم عن أصحابي شيئاً، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر»(3).

ص: 107

1- جامع السعادات: للنراقي: ج2، ص247

2- الوافي: الفيض الكاشاني ج5، ص98

3- مكارم الأخلاق: الشيخ الطبرسي ص17

وعن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال:

«محرمة اللجنة على القتاتين المشائين بالنميمة - والقتات النمام» (1).

ثم يبين الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) أولوية المسؤول أو الحاكم في المنظومة الإدارية، ستر عيوب الناس (فإن في الناس عيوباً الوالي أحق من سترها).

ثم ينهي الامام (عليه السلام) المسؤول من تتبع عثرات الناس وعيوبهم «فلا تكشفنَّ عمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا» أي لا ينبغي البحث عن العيوب الخفية للناس كالتصنت عليهم أو الاطلاع على خفايا حياتهم الشخصية، كما ورد في القرآن الكريم بالنهي عن التجسس «وَلَا تَجَسَّسُوا» (2).

ثم إن للمسؤول أن يتخذ القرارات الحازمة والصارمة إزاء القضايا التي تنكشف للناس، كظهور حالة النميمة والوشاية في المنظومة الادارية للحد منها وتطهير المجتمع من آثامها: ولا- يأبى إظهار عيوبه للناس، ويتعامل معه باليات الاصلاح السلمي، ومن خلال الموعظة والنصيحة «فَأَسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ» ولو لم يوافق من هذا الطريق فإنه يستخدم القوة والشدة وقيم الحدود الإلهية فيما يتعلق بأصحاب هذه الرذيلة فذلك بمثابة العملية الجراحية الضرورية لإدامة حياة المجتمع (3).

يوضح (عليه السلام) العاقبة المحمودة والحسنة والجميلة في ستر العيوب فيقول (عليه السلام): «يَسْتُرِ اللَّهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سِتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ» ينبغي للمسؤول حينما يرى إنسانا تحت مسؤوليته في المنظومة الإدارية، وارتكب خطأ وكان هذا

ص: 108

1- روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه: محمد تقي المجلسي (الأول) ج9، ص343

2- الحجرات: 12

3- نفحات الولاية شرح نهج البلاغة: ناصر مكارم الشيرازي، ج10، ص339

الخطأ مستورا غير متجاهر به، أن يتعامل مع صاحبه كما يجب أن يتعامل الله سبحانه وتعالى مع ذنوبه التي عملها خفية، وليعلم إن الله عز وجل يمهل ولا يهمل وليتق الله في خلقه.

فيتحصل:

1- رفض الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) سياسة تتبع الأخطاء من قبل المسؤول، إذ لا ينبغي للمسؤول أن يبحث عن المستور من حياة الناس أو يتجسس عليهم ليكشف أسرارهم، لأن المعيار في المنظومة الإدارية الاستقامة والثبات والمودة والمحبة. وتأيدا لهذا المعنى يقول (عليه السلام) (من تتبع خفيات العيوب حرم مودات القلوب)(1).

2- ضرورة ستر العيوب من قبل المسؤول، وبحسب موقعه الإداري يستطيع الاطلاع على الكثير من خفايا الآخرين وأسرارهم ويسترها ولكن موقف الاسلام من هذه الامور هو عدم السماح بالاطلاع عليها، والحد من تكرارها.

3- القيام بالعملية الاصلاحية فيما لو ظهرت الأخطاء والعيوب، فيجب تطهير المجتمع من هذه الرذائل الخبيثة، لكي يبقى المجتمع نظيفا وسليما في سلوكه.

4 ظهور الآثار الوضعية في الكشف عن اخطاء الناس، وحسب القاعدة (كما تدين تدان)(2)، أي: كما تجزي تجزي. ومن أسمائه الديان،

كما يدين الفتى يوما يدان به *** من يزرع الثوم لا يقلعه ريحانا.

ص: 109

1- عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، ص 436

2- المقتصر من شرح المختصر: ابن فهد الحلبي ص 20

يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) تأييداً لما نحن فيه:

«لا تتبعن عيوب الناس، فإن لك من عيوبك ان عقلت ما يشغلك من أن تعيب احداً» (1).

وفي حديث آخر عنه (عليه السلام) في وصيته لابنه الحسين (عليه السلام):

«واعلم أي بني أنه من أبصر عيب نفسه شغل عن عيب غيره» (2).

أي من يرى عيوب نفسه لا يستطيع أن يعيب الآخرين، وعن الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول:

«طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، ومهما وجد عيباً فينبغي أن يستحي من أن يترك نفسه ويذم غيره بل ينبغي أن يعلم أن عجز غيره عن نفسه في التنزه عن ذلك العيب» (3).

5 ضرورة تحلي المسؤول بصفة سعة الصدر: أي يجب أن يكون حليماً ومتسامحاً والصفح عن الآخرين، فالنظرة الضيقة عند المسؤول تجعله يعيش حالة الانهيار المنظومة الادارية، يجب أن تكون نظرتة واسعة وقلبه رؤوفاً وصدرة رحبا، كل هذه الامور تساعد على النجاح وتحقيق الأهداف وخدمة الناس.

ص: 110

1- غرر الحكم: 6: 292

2- تحف العقول عن آل الرسول (ص): ابن شعبة الحراني ص 88

3- بحار الانوار: للعلامة المجلسي: ج 1، ص 205: ح 31: وينظر رسائل الشهيد الثاني (ط.ق): الشهيد الثاني ص 297

المسألة السادسة عشر: حفظ الأسرار.

قوله (عليه السلام): «ثُمَّ انْظُرْ فِي حَالِ كُتَابِكَ فَوَلِّ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ وَأَخْصِصْ رَسَائِلَكَ الَّتِي تُدْخِلُ فِيهَا مَكَائِدَكَ وَأَسْرَارَكَ بِأَجْمَعِهِمْ لَوْجُوهِ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ الْكِرَامَةُ فَيَجْتَرِي بِهَا عَلَيْكَ فِي خِلَافٍ لَكَ بِحَضْرَةِ مَلَا» (1).

يتحدث الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المقطع من العهد، حول مبدأ آخر من مبادئ الإدارة في الإسلام وهو مبدأ حفظ الأسرار في المنظومة الإدارية، لأن المدير في الإدارة بحاجة إلى جمع المعلومات حول لياقة العاملين معه، وقدراتهم وإمكاناتهم وذكائهم وتجاربهم وسوابقهم الحسنة والسيئة وذلك بهدف اختيار الأصلح من بينهم لتسلم المسؤوليات وفي حال انتشار هذه المعلومات في المؤسسة أو نقلها إلى الأشخاص أنفسهم فقد يؤدي ذلك إلى اثار نفسية وردود فعل غير مناسبة تؤدي إلى انهيار المنظومة الإدارية.

ما يسمى اليوم بالذاتية أي موظفو الدوائر المختصة بالملفات والأوراق السرية أسماه أمير المؤمنين (عليه السلام) بالكتّاب، فأوصى الامام (عليه السلام) مالكا بأن يكونوا خير الكتاب «فَوَلِّ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ»، لأنهم المكلفون بحفظ أسرار الدولة وصيانة خطتها والوثائق الخاصة برجال معينين (2)، التي يجب إخفاؤها ممن لا يحتاطون بحفظها، وايداعها لدى الامناء ممن يمتلكون الاخلاق الفاضلة، فحفظ الأسرار في المجال الإداري يؤمن المنظومة الادارية من الوقوع في الاخطار ويحفظ للإنسان كرامته ومكاسبه ويحقق له الأهداف المستقبلية، ويسد الأبواب والطرق أمام المنافسين من الأعداء.

ص: 111

1- نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، ج3، ص 89، رسالة 53

2- الحكم الاسلامي في مدرسة الامام علي (عليه السلام): محمد تقي المدرسي: ص 197

ثم إن لإفشاء الأسرار آثاراً سلبية على المنظومة الإدارية، من هذه الآثار:

1- تعد مسألة إفشاء الأسرار في المنظومة الإدارية موجبة للتفرقة وممكنة للأعداء من تنفيذ خططهم وقد حذر القرآن الكريم من هذه الظاهرة في العديد من الآيات المباركة: منها ما ورد في سورة يوسف (عليه السلام) على لسان يعقوب (عليه السلام): «قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ» (1) من الدروس التي نستلهمها من هذا القسم من الآيات أن نحفظ الأسرار وينبغي أن نطبق هذا الدرس أحيانا حتى أمام الأخوة، فدائما تشتمل حياة الإنسان على أسرار لو أذيعت وفشت بات مستقبله أو مستقبل مجتمعه معرضا للخطر، والموافقة على حفظ الأسرار دليل على سعة الروح وتملك الإرادة، فكثير من ضعاف النفوس والشخصية أوقعوا أنفسهم أو مجتمعهم في الخطر بسبب إفشاء الأسرار وكم يرى الإنسان من مساءة وضرر لأنه ترك حفظ الأسرار (2).

2- تعدّ مسألة حفظ الأسرار أمانة عظيمة في الفهم الإسلامي فيجب مراعاتها والوفاء بها قال تعالى «وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا» (3)، وقال تعالى: «وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ» (4).

ورد في الحديث الشريف عن الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) أنه قال (لا يكون المؤمن مؤمنا حتى تكون فيه ثلاث خصال: سنة من ربه وسنة من نبيه وسنة من وليه، فأما السنة من ربه فكتمان السر وأما السنة من نبيه فمداراة

ص: 112

1- سورة يوسف: 5

2- تفسير الامثل: ناصر مكارم الشيرازي: ج5 في ذيل تفسير سورة يوسف الآية 5

3- الاسراء: 34

4- المؤمنون: 8

الناس، وأما السنة من وليه فالصبر على البأساء والضراء(1)، وعن الامام الصادق (عليه السلام) يقول:

«سرك من دمك فلا يجرين من غير أوداجك»(2).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام:

«سرك من دمك فإذا تكلمت به فقد أرقته»(3).

وفي الحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال:

«استعينوا على قضاء حاجاتكم بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود»(4)

وفي هذا المجال ورد عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول:

«سرك أسيرك، فإذا أفضيته صرت أسيره»(5).

المسألة السابعة عشر: تأثير العلاقات القريبة للمدراء واهتمامهم بالعاملين معهم.

قوله (عليه السلام) «ثُمَّ الصُّقُّ بَدْوِي الْمُرُوءَاتِ وَالْأَحْسَابِ وَأَهْلِي الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ وَالسَّوَابِقِ الْحَسَنَةِ أَهْلِي النَّجْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ وَالسَّخَاءِ وَالسَّمَاخَةِ فَإِنَّهُمْ جَمَاعٌ مِنَ الْكَرَمِ وَشُعَبٌ مِنَ الْعُرْفِ»(6).

ص: 113

-
- 1- بحار الانوار: للعلامة المجلسي، ج78، ص334
 - 2- بحار الأنوار، للعلامة المجلسي، ج72، ص71
 - 3- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج18، ص384
 - 4- ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج1، ص630
 - 5- عيون الحكم والمواعظ، علي الواسيطي، ص285
 - 6- نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، ج3، ص92، رسالة 53

يتحدث الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المقطع من العهد الشريف حول مبدأ آخر من مبادئ الإدارة في الاسلام وهو تأثير العلاقات المتبادلة بين المدير والعاملين معه في المنظومة الادارية، التي من خلالها تترتب القضايا المعنوية في تقوية الاطر الادارية وتحفيز العاملين نحو العمل وهو ما يسمى بالاصطلاح العلمي والمنطقي بعلم النفس التحليلي، وعنصر اختيار أفضل الرجال لقيادة الجيش في تولية المهام والوظائف الإدارية.

الإمام (عليه السلام) يشرح لمالك (رضوان الله عليه) كيفية اختيار الموظفين في دوائر الدولة الجند ورؤساء الأمراء وغيرهم، بعد مراعاة العناصر الآتية:

1- المروءة والنسب.

المروءة هي كمال الرجولية، مصدر من: مَرُوٌّ يَمْرُؤُ مَرْوَةً، فهو مَرِيءٌ، أي: بَيْنَ المَرْوَةِ، وَتَمَرًا فلان: تَكَلَّفَ المَرْوَةَ. وقيل: صار ذا مَرْوَةٍ، وفلان تَمَرًا بالقوم: أي سعي أن يوصف بالمروءة بإكرامهم، أو بنقصهم وعَيْبِهِمْ (1).

ومن معاني المروءة أنها (آداب نفسانية، تحمل مراعاتها الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق، وجميل العادات من أصحاب الشخصيات المتميزة) (2).

النسب: هو البعد الاجتماعي الذي يمتلكه الإنسان الذي يتأثر بالعامل الوراثي للأسرة والقبيلة، ما يعبر عنه بالأرحام الطاهرة من الآباء والأمهات في سلم النسل، ثم أن الاسلام يؤكد على هذا الجانب الوراثي في مسألة في شرعية الانتخاب للزواج:

ص: 114

1- المحيط في اللغة، الصحاح بن عباد، ج2، ص 443

2- مصباح المنير: للفيومي: ج8: ص 446؛ مجمع البحرين، للطريحي، ج1، ص 283

عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) «تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس»⁽¹⁾.

وقال أيضاً (صلى الله عليه وآله وسلم) (اختاروا لنطفكم فإن الخال احد الضجيعين)⁽²⁾ إشارة إلى العامل الوراثي.

وحذّر الإمام الصادق (عليه السلام) من تزويج الرجل المريض نفسياً فقال: لا تزوجوا في الشكاك ولا تزوجوهم، لأن المرأة تأخذ من أدب زوجها ويقهرها على دينه⁽³⁾.

وجعل الإسلام التدين مقياساً في اختيار الزوج، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجه)⁽⁴⁾.

ونهي الإسلام عن تزويج غير المتدين والمنحرف في سلوكه عن المنهج الاسلامي في الحياة، لتحصين العائلة والاطفال من الانحراف السلوكي والنفسي، فنهى الإمام الصادق عليه السلام عن تزويج الرجل المستعلن بالزنا حيث قال عليه السلام: (لا تتزوجوا المرأة المستعانة بالزنا، ولا تزوجوا الرجل المستعلن بالزنا إلا أن تعرفوا منها التوبة)⁽⁵⁾.

فيتحصل: من مجموع الروايات والأحاديث الشريفة، إن للعامل الوراثي دوراً أساسياً، ينعكس سلبا وإيجابا على نسل الانسان.

ص: 115

1- المحجة البيضاء، للفيض الكاشاني ج3: ص93، جامعة المدرسين قم ط2

2- الكافي، للكليني ج5، ص2/332 باب اختيار الزوجة دار التعارف 1401 ه ط3

3- الكافي، للكليني، ج5: ص1/348 باب مناقحة النصاب والشكاك

4- المصدر نفسه، ج5، ص349

5- مكارم الاخلاق: 305

2- البيوتات الصالحة.

إشارة إلى الأسر والعوائل النظيفة والمرموقة في المجتمع (1)، يريد أن يبين الإمام (عليه السلام) لمالك (رضوان الله عليه) الأبعاد الاجتماعية للأسر في تاريخها الاجتماعي الناصع، أصحاب المواقف المشرفة في الإسلام ممن لم يتأثروا بالعوامل البيئية والثقافية المخالفة للتعاليم الإسلامية. فيكون عامل الاختيار هو مراعاة هذه البيوتات والأسر في عملية التوظيف.

3- السوابق الحسنة.

إشارة إلى السمعة الجيدة التي تمتلكها هذه البيوتات، التي جعلت عموم الناس تتحدث بسجاياهم الحسنة، بحيث تركوا سمعة حسنة في نفوس الناس.

4- النجدة.

يريد الإمام (عليه السلام) أن يشير إلى نقطة مهمة، وهو لا بد من التمييز بين شخصيتين عند الناس، الشخصية الأولى التي تمتلك عنصر الروح العالية في التضحية والمكانة الاجتماعية. وبين الشخصيات الانتهازية أصحاب المطامع الشخصية، الذين لم يكن لهم اهتمام بروح المحبة وخدمة الناس. فيقول الامام (عليه السلام) الصق بأهل النجدة أصحاب الروح والهمة العالية، هؤلاء لم يتكاسلوا في أمر ما.

5- الشجاعة والسخاء والسماحة.

من يتصف بالشجاعة يتحلى أيضا بالنجدة، وعظم الهمة، والثبات، والصبر، والحلم.

ص: 116

1- نفحات الولاية شرح نهج البلاغة: ناصر مكارم الشيرازي: ج10: ص371

وَالسَّخَاءُ: عبارة عن الجود والكرم والسخي هو الجواد الكريم(1).

السَّمَاحَةُ: هي المساهلة والسلاسة واللين في التعامل وسعة الصدر والاتصاف بالحلم، ويقال سمح ساحة إذا صار سمحاً، والسماحة الجود، وسمح لي بالشيء(2).

ولاشك أن الأشخاص الذين يملكون هذه الصفات الثمان يمثلون مركزاً مجسداً للفضائل والصفات الانسانية المتميزة، يكونون جديرين بالاعتماد عليهم ويتحركون بفاعلية أكثر في مسألة كسب النصر المظفر(3).

المسألة الثامنة عشر: الإحسان والمرتب والمكافأة.

قوله (عليه السلام): «ثُمَّ تَفَقَّدَ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُ الْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا، وَلَا يَتَفَاقَمَنَّ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوَّيْتَهُمْ بِهِ وَلَا تَحْقِرَنَّ لُطْفًا تَعَاهَدْتَهُمْ بِهِ وَإِنْ قَلَّ، وَأَفْسَحَ لَهُ فِي الْبَدَلِ مَا يُزِيلُ عِلَّتَهُ وَيَقِلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ، ثُمَّ أَسْبَغَ عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْوَاحِ أَنْفُسِهِمْ وَغِنَى لَهُمْ عَنْ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوْ تَلَمَّأُوا أَمَاتَتَكَ».

يتحدث الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذه المقاطع حول عناصر أخرى في المنظومة الادارية، ويجب على المسؤول الاداري العمل بها، وهما عنصر الإحسان إلى الناس، وتوزيع الحقوق والمكافأة الشهرية.

يقول (عليه السلام) «تَفَقَّدَ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُ الْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا» أحد العناصر المهمة في نجاح المنظومة الادارية في المهمة المناطة بها، لا بد من

ص: 117

1- العين، للفراهيدي، ج 1، ص 329

2- جمهرة اللغة، ابن دريد، ج 1، ص 274

3- نفحات الولاية شرح نهج البلاغة، ناصر مكارم الشيرازي، ج 10، ص 372

توفر عنصر الاحسان للآخرين، الإمام (عليه السلام) يخاطب مالكا بالعبارات الابوية التي تحتوي في معانيها على الرحمة والعطف، أي اجعل نفسك بالنسبة إليهم كالأب الحنون والشفوق على ولده ويكون تواصلك معهم من جهة الشفقة والمحبة، وتعاهدكم بالسؤال عنهم وقضاء حوائجهم، حتى تقوى هذه العلاقة بين المسؤول والمرؤوس، ومن ثمرات هذه العلاقة تحقق مبدأ الطاعة في العمل اليومي وثباتهم في مواقع المواجهة.

وقال (عليه السلام) في قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ»: «العدل: الإنصاف والاحسان: التفضل»⁽¹⁾

ثم ينتقل الإمام (عليه السلام) إلى عنصر آخر من مبادئ الادارة في الفهم الإسلامي، وهو مبدأ المكافأة والحقوق الشهرية:

«وَأَفْسَحَ لَهُ فِي الْبَدَلِ مَا يُزِيلُ عِلَّتَهُ وَيَقِلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ، ثُمَّ أَسْبَغَ عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلَاحِ أَنْفُسِهِمْ وَغِنَى لَهُمْ عَنِ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوْ تَلَمَّوْا أَمَانَتَكَ».

يقول الإمام (عليه السلام) إن نجاح المنظومة الادارية مرهون بالقضاء على عوامل الفساد في السلطات التنفيذية:

السلطة القضائية.

لا يخفى على احد مكانة السلطة القضائية الفعالة والصالحة في محاربة الفساد والتجاوز على حقوق الاخرين ويشير الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المقطع إلى العاملين في الجهاز القضائي وأهمية القضاة وضرورة وجودهم في المجتمع،

ص: 118

1- نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، ج4، ص51، الحديث 231

ويؤكد على أن القضاء العادل هو قوام الدولة العادلة وأن يكون قوة مقتدرة بالدفاع عن حقوق المحرومين والمظلومين أمام الناس الانتهازيين والمتجاسرين على حقوق الناس، ويعد الجهاز القضائي في فكر الإمام (عليه السلام) الضمان الاجتماعي، وقدرته وكفاءته تعتبر من الأصول المؤثرة في الحد من وقوع الجرائم.

يقول (عليه السلام) تأييدا في بيان أصناف الرعية وضرورة القضاء وأهمية القضاة:

«وَأَعْلَمُ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لَا يَصِلُ لُحُّ إِلَّا بِبَعْضٍ وَلَا غَنَى بِبَعْضٍ هَا عَنْ بَعْضٍ فَمِنْهَا جُنُودُ اللَّهِ وَمِنْهَا كُتَّابُ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ وَمِنْهَا قُضَاةُ الْعَدْلِ، ثُمَّ لَا قِوَامَ لَهُذَيْنِ الصَّنَفَيْنِ إِلَّا بِالصَّنْفِ الثَّلَاثِ مِنَ الْقُضَاةِ وَالْعُمَّالِ وَالْكَتَّابِ لِمَا يُحْكَمُونَ مِنَ الْمُعَاقِدِ وَيَجْمَعُونَ مِنَ الْمُنَافِعِ وَيُؤْتَمُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ الْأُمُورِ وَعَوَامِّهَا» (1).

ثم أن الإمام (عليه السلام) أوصى مالكا بأن يشعر القضاة بين الحين والآخر بالمسؤولية المناطة بهم والمكان الذي يجلسون فيه في الحكم بين الناس وأنه مقعد جلس عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أو وصيه أمير المؤمنين (عليه السلام) وأن منصبهم هذا امانة وليس تجارة، وأنهم أفضل الرعية في نفس الوالي. وأن ينههم الى نقاط ضعفهم ويشرف على عملهم وأن يعتني بتأمين حياتهم الكريمة والمرفهة لهم كي لا يضحى هذا الجهاز بالحقيقة من اجل مصلحته ولا يكون فريسة سهلة للرشوة والطمع والتهديد وأن لا يكون رجاله من اهل المداهنة والفسوة، يقول أيضا (عليه السلام) في وصيته لمالك (رضوان الله عليه) أن تكون هناك امتيازات في تعيين القضاة وإحدى هذه الامتيازات أن لا يكون من اصحاب الرشوة والطمع.

ص: 119

«وَلَا تُشْرَفْ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ وَلَا يَكْتَفِي بِأَذْنَىٰ فَهَمِّ دُونَ أَقْصَاةٍ» (1) «ثُمَّ أَسْبَغَ عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلَاحِ أَنْفُسِهِمْ وَغَنَىٰ لَهُمْ عَنِ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوْ تَلَمَّوْا أَمَاتَتَكَ» (2).

فيتحصل: على المسؤول في المنظومة الادارية أن يدرس جميع الشروط المطلوبة في تعيين الوظائف في السلم الاداري، ودفع مرتبات و مكافأة العاملين يكون بشكل يؤدي إلى رضا الموظفين ويزيد من التزامهم بعد مراعاة النظم والقوانين.

المسألة التاسعة عشر: المشورة.

قوله (عليه السلام): «وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلًا يَعْذِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ وَيَعِدُّكَ الْفَقْرَ وَلَا جَبَانًا يُضْعِفُكَ عَنِ الْأُمُورِ وَلَا حَرِيصًا يَزِينُ لَكَ الشَّرَّ بِالْجَوْرِ فَإِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ عَرَانِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ» (3).

يتحدث الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في عهده المالك الأشتر (رضوان الله عليه) عن محور آخر من محاور العمل في المنظومة الادارية، وهو كيفية تمكين المسؤول من اختيار مستشاريه الكفاء في شؤون الادارة، ليستطيع من خلال ذلك الاستفادة من أفكارهم وتجاربهم العملية وآرائهم المدروسة والمبنية على الاسس المنطقية.

ص: 120

1- نهج البلاغة: خطب الإمام علي عليه السلام، ج3 ص90 رسالة53

2- المصدر نفسه : ج3 ص96

3- نهج البلاغة: 53

المشورة بضم الشين تقول منه شاورته في الأمر واستشرته(1) المشورة: التشاور والمشاورة والمشورة: استخراج الرأي بمراجعة البعض إلى البعض الآخر من قولهم: شرت العسل إذا اتخذته من موضعه واستخرجته منه(2) ، المشورة القول منه شاورته في الأمر واستشرته بمعنى فلان خير شير أي يصلح للمشاورة وشاوره مشاورة وشواراً واستشارة طلب منه المشورة(3) وقيل في معنى المشورة: يقال صار هذا الشيء شورى بين القوم إذا تشاوروا فيه، وهو فعلى من المشاورة، وهو المفاوضة، وفي الكلام ليظهر الحق، أي لا ينفردون بأمر حتى يشاوروا غيرهم فيه(4) ، هذا بحسب اللغة.

أما المشورة في الاصطلاح: فالظاهر أن الشورة في كل شيء بحسبه، ففي الأمور الخاصة يكفي فيها الاستطلاع بلا إلزام، وأما في الأمور العامة خصوصاً مسائل الحكم والإدارة فالظاهر أنها ملزمة للتبادر، ومنه يقال: المستشار العليم الذي يؤخذ رأيه في أمر هام علمي أو فني أو سياسي أو قضائي أو اقتصادي ونحوه، نعم قد يقال: أنه قد جرت سيرة العقلاء على الأخذ برأي المستشار وإلا كانت المشورة لغواً(5) .

ص: 121

-
- 1- لسان العرب: بن منظور ج 3 ص 434 (شور)
 - 2- مفردات الفاظ القرآن الكريم: الراغب الأصفهاني ص 470
 - 3- لسان العرب: ابن منظور، ج 4 ص 434 (شور)
 - 4- مجمع البيان: للطبرسي : ج 9: ص 33: ذيل الآية: 39 من سورة الشورى
 - 5- فقه الدولة بحث مقارنة في الدولة ونظام الحكم على ضوء الكتاب والسنة والانظمة الوضعية: فاضل الصفار: ج 2، ص 211

جاء مبدأ الشورى والتشاور في الاسلام كنص من النصوص الظاهرة في الإلزام في القرآن الكريم دون باقي المبادئ السياسية والاجتماعية الأخرى للدلالة على مدى أهميته ودوره الفاعل في الحياة الديمقراطية للشعوب(1)، قوله تعالى مخاطباً الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أعلى سلطة في الناس:

«فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ»(2).

وقال سبحانه وتعالى في مجال المنهج السليم في بناء الحياة السعيدة المبنية على مبدأ التشاور.

«وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ»(3).

إن مسألة المشورة والاستشارة تعد من أهم المسائل الاجتماعية في الحياة الانسانية، وهناك نصوص عديدة من السنة الشريفة تؤكد على مبدأ التشاور، منها ما ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):

«من أراد أمراً فشاور فيه وقضى هدي لأرشد الأمور»(4).

ص: 122

1- الحرية السياسية دراسة مقارنة في المعالم والضمانات : فاضل الصفار: ص 64

2- آل عمران: 159

3- الشورى: 38

4- الدر المنثور: لجلال الدين السيوطي: ج:6: ص 10

وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم):

«من أراد أمر أفاور فيه إمرأ مسلما وفقه الله لأرشد أمره»(1).

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: سئل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن العزم فقال:

«مشاورة أهل الرأي ثم اتباعهم»(2).

وعنه (عليه السلام): «حق على العاقل أن يضيف إلى رأيه رأي العقلاء ويضم إلى علمه علوم الحكماء»(3).

وعنه (عليه السلام): «من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ»(4).

وعنه أيضا (عليه السلام) في وصيته لمحمد بن الحنفية:

«اضم آراء الرجال بعضها إلى بعض، ثم اختر أقربها من الصواب، وأبعدها من الارتباب»(5).

وعنه (عليه السلام): «شاوروا فالنجح في المشاورة»(6).

ص: 123

-
- 1- الجامع الصغير: لجلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي: دار الفكر بيروت ط 1. 1401: ج2: ص563:
 - 2- الدر المنثور للسيوطي: ج2 ص90؛ الوسائل للحر العاملي: ج8 ص434 باب استحباب مشاورة أهل الرأي
 - 3- غرر الحكم: ح496
 - 4- نهج البلاغة خطب الإمام علي عليه السلام: ج4 ص42 الحكمة173
 - 5- الوافي: الفيض الكاشاني، ج26 ص233، من لا يحضره الفقيه الشيخ الصدوق ج4 ص385
 - 6- عيون الحكم والمواعظ: ص196

وعنه (عليه السلام): «من استبد برأيه خفت وطأته على أعدائه»(1).

وعنه (عليه السلام): «من استبد برأيه هلك ومن شاور الرجال شاركها في عقولها»(2).

وعن الامام الصادق (عليه السلام): قال لقمان لابنه: (إذا سافرت مع قوم فأكثر استشارتهم في أمرك وأمورهم، وأجهد رأيك لهم إذا استشاروك، ثم لا تعزم حتى تثبت وتنظر ولا تجب في مشورة حتى تقوم فيها وتقع وتنام وتأكل وتصلي وأنت مستعمل فكرتك وحكمتك في مشورتك، فإن من لم يمحص النصيحة لمن استشاره سلبه الله رأيه، ونزع منه الأمانة)(3).

فيتحصل: من الروايات والآيات إن مبدأ الشورى من المبادئ الأساسية في الاسلام، ويعد من أهم الفرائض والواجبات الاسلامية:

3- من نجتبه في المشورة .

نرى تأكيد الامام (عليه السلام) في وصيته لمالك الأشر: (رضوان الله عليه) لكل من يتصدى ويتحمل المسؤولية أن يختار مستشاريه بشكل دقيق، ويحذر الإمام (عليه السلام) من ادخال اصناف ثلاثة من الناس في المشورة، ممن يحملون الصفات الاخلاقية المذمومة التي نهى عنها الاسلام، البخل، الجبن، الحرص.

ص: 124

1- عيون الحكم والمواعظ: ص 460

2- نهج البلاغة: الكلمات القصار الكلمة 161

3- الوسائل: للحر العاملي: ج 11 ص 441 ح 15208 وح 15209 باب 52

الصنف الأول (البخيل) (وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلًا).

البخل: البُخْلُ ضدُّ الكَرَمِ والجُودِ، وقد بَخِلَ بكذا: أي ضنَّ بما عنده ولم يبُجِدْ، ويقال: هو بخيل وباخل، وجمعه بخلاء، والبَخَالُ: الشَّدِيدُ: [\(1\)](#)

والبخل: - هو الامسآك حيث ينبغي البذل، كما إن الاسراف هو البذل حيث ينبغي الامسآك، وكلاهما مذمومان والمحمود هو الوسط وهو الجود والسخاء [\(2\)](#) منه قوله تعالى: (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا) [\(3\)](#) ، وقال تعالى: (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) [\(4\)](#) .

البخل من ثمرات حب الدنيا ونتائجه وهو من خباثت الصفات ورتائل الاخلاق ورد في ذمه ما ورد من الآيات والأخبار [\(5\)](#) .

قوله تعالى (الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا) [\(6\)](#) .

وقال تعالى في ذم البخل: (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) [\(7\)](#) .

ص: 125

1- لسان العرب: ابن منظور ج 11 ص 47 (بخل)؛ مختار الصحاح للرازي: ج 1 ص 23

2- جامع السعادات: للنراقي: ج 2، ص 110

3- الاسراء: 29

4- الفرقان: 67

5- جامع السعادات: للنراقي: ج 2، ص 110

6- النساء: 37

7- آل عمران: 180

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إياكم والشح، فإنه أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم)(1).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا يدخل الجنة بخیل ولا خبی ولا خائن والسیئ الملكة)(2).

وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم) في مانحن فيه: (البخیل بعيد من الناس، بعيد من الجنة، قريب من النار، وجاهل سخي أحب إلى الله من عابد بخیل)(3).

وبعد ما اتضح مفهوم البخل في الروايات والآيات الشريفة، نجد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته لمالك يحذر الحاكم أو المسؤول الإداري ألا يضع في طاقم منظومته الادارية مستشارا بخیلا- لأنه يمنع المسؤول من تقديم الاحسان إلى للناس، ويجعل له الأجواء المكفهرة والاثار الوخيمة لكل عمل ايجابي. (وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَسُورَتِكَ بَخِيلاً يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ وَيَعِدُّكَ الْفَقْرَ)(4).

الصنف الثاني: الجبناء.

الجبن: جبن: فعل، جبن يجبن جبنا وجبانة، فهو جبان، وجبن الرجل: ضعفت قدراته، خاف، هاب، كان جبانا.(5)

وهو سكون النفس عن الحركة إلى الانتقام أو غيره، مما يؤدي إلى مهانة النفس والذلة وسوء العيش وطمع الناس فيها يملكه وقلة ثباته في الأمور والكسل وحب الراحة.(6)

ص: 126

1- الخصال: للصدوق ص 176 ح 234

2- مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة: محمد تقي النقوي: ج 7 ص 419

3- المحجة البيضاء في تهذيب الاحياء: للفيض الكاشاني: ج 6 ص 62

4- نهج البلاغة: خطب الإمام علي عليه السلام ج 3 ص 87 رسالة 53

5- لسان العرب: ج 13، ص 84 (جبن)

6- جامع السعادات: للنراقي: ج 1 ص 241

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا ينبغي للمؤمن أن يكون بخيلاً ولا جباناً)(1).

إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يتعوذ بهن دبر الصلاة: (اللهم إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن)(2).

ويحذر الإمام (عليه السلام) من المستشارين الذين يمتلكون صفة الجبن أن يكونوا ضمن المنظومة الإدارية، لأن هؤلاء يلقون الرعب في نفوس الناس ويشجعون المسؤولين على الرضوخ للذلة والمسكنة مما يؤدي إلى هزيمة وانهايار الدولة .

الصنف الثالث: الحرص والطمع.

الحرص: معناه شدة الرغبة والميل إلى شيء معين، ويرى أنّ هذه الكلمة في الأصل تأتي بمعنى الضغط على اللباس عند غسله بالماء بواسطة ضربه بالخشبة وأمثال ذلك(3).

الحرص: يقال حرص يحرص حرصاً وحرص يحرص حرصاً وقد قرئ إن تحرص على هداهم ويقال رجل حريص على الشيء(4).

والطمع: وهو التوقع من الناس في أموالهم وهو أيضاً من شعب حب الدنيا ومن أنواعه ومن الرذائل المهلكة.

ويرى علماء الأخلاق أن الحرص الشديد الذي جبل عليه الإنسان ليس حرصاً منه على كل شيء خيراً كان أو شراً ونافعاً أو ضاراً بل حرصاً على الخير

ص: 127

1- كنز العمال: المتقي الهندي الجزء: 3 ص 453

2- نيل الأوطار: الشوكاني الجزء: 2 ص 349

3- مفردات القرآن: للراغب الأصفهاني (مادة حرص)

4- جمهرة اللغة: ابن دريد، ج 1، ص 259 (حرص)

والنافع ولا- حرصا على كل خير أو نافع سواء ارتبط به أو لم يرتبط وكان له أو لغيره بل حرصا منه على ما يراه خيرا لنفسه أو نافعا في سبيل الخير، ولازم هذا الحرص أن يظهر منه الجزع والاضطراب عند مس الشر وهو خلاف الخير وأن يمتنع عن ترك الخير عند مسه ويؤثر نفسه على غيره إلا أن يرى الترك أكثر خيرا وأنفع بحاله فالجزع عند مس الشر والمنع عند مس الخير من لوازم الهلع وشدة الحرص(1).

وقد ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) تعبير جميل جداً في تعريف الحرص عندما سُئل: ما هو الحرص؟ فقال (هُوَ طَلَبُ الْقَلِيلِ بِإِضَاعَةِ الْكَثِيرِ)(2).

حالة الطمع والحرص اذا امتلكها الإنسان يكون في حالة غير متوازنة وغير منضبطة النظر إلى الأمور برؤية ضيقة ويسعى صاحبها إلى الوصول إلى المنصب من خلال التسلق على الآ-خرين، فيصعب تفكيره في المصلحة العامة ويبقى في هواجس شخصيته ونفسه ومن عوارضه؟ يعبر عنه بميت القلب. قال:

وأن هناك صفات تميت القلب، وتدفع بالإنسان أن يصر على الكفر والنفاق والضلال، وتجعله والموتى سواء لا تجدي معه عظة ولا إنذار، ومن أهم هذه الصفات الطمع والحرص على المكاسب والمناصب.. وقد تكرر هذا المعنى بأساليب شتى، منها قوله تعالى:

«لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ»(3).

ص: 128

1- تفسير الميزان: السيد الطباطبائي، ج 20 ص 13

2- مستدرک الوسائل: ميرزا حسين النوري الطبرسي، ج 12 ص 60

3- سورة الأعراف: 179

وقوله تعالى: «أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ. أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ»(1).

وقال تعالى: «إِنْ تُسْمِعْ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ»(2)(3).

فالطمع في الأموال والمناصب يجعل من المسؤول انساناً قاسياً وخشناً في تعامله مع الآخرين.

الروايات في هذا المجال كثيرة جداً نكتفي بهذا المقدار مخافة الاسهاب والاطالة.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «إِيَّاكَ وَالطَّمْعَ فَإِنَّهُ الْفَقْرُ الْحَاضِرُ»(4).

وعن مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «المذلة والمهانة والشقاء في الطمع والحرص»(5).

وعنه (عليه السلام): «أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع»(6).

وعنه (عليه السلام): «دلالة حسن الورع عزوف النفس عن مذلة الطمع»(7).

وعنه (عليه السلام): «من لم ينزه نفسه عن دنائة المطامع فقد أذّل نفسه وهو في الآخرة أذلّ وأخزى»(8).

ص: 129

1- سورة يونس: 43

2- سورة النمل: 81

3- التفسير الكاشف: محمد جواد مغنية: ج 6، ص 39

4- مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة: محمد تقي النقوي القاباني الخراساني الجزء: 7 ص 418

5- غرر الحكم، ح 2095

6- غرر الحكم، ح 3175

7- غرر الحكم، ح 5161

8- غرر الحكم، ح 8871

وقال الباقر (عليه السلام): «بئس العبد عبد له طمع يقوده وبئس العبد عبد له رغبة تذله»(1).

وقيل للصادق (عليه السلام): «ما الذي يثبت الايمان في العبد قال الورع والذي يخرج منه الطمع»(2).

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (لو كان لابن آدم واديان من ذهب الابتغى الثالث ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب)(3). وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): يشيب ابن آدم ويشب فيه خصلتان، الحرص وطول الأمل(4).

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «مثل الحرص على الدنيا مثل دودة القز كلما ازدادت من القز على نفسها لفا كان أبعد لها من الخروج حتى تموت غما»(5).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «أغنى الغنى من لم يكن للحرص أسيرا»(6).

وأمثال ذلك من الروايات المستفيضة في هذا المجال.

فيتحصل: إن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) يحذر المسؤولين من إدخال الأصناف الثلاثة في المنظومة الإدارية، بهدف الاستحواذ على كل شيء بغير حق.

ص: 130

1- المصدر نفسه : ص 418

2- المصدر نفسه:

3- الدر المنثور: للسيوطي: ج 6 ص 378

4- مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة: محمد تقي النقوي القائني الخراساني ج 7 ص 418

5- روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه: محمد تقي المجلسي (الأول) ج 12 ص 118

6- المصدر نفسه : ص 118

ثم يقول (عليه السلام) إن الأصل في هذه الخصال (البخل، الجبن، الحرص والطمع) هو سوء الظن بالله سبحانه وتعالى.

ويؤكد الإمام (عليه السلام) أن هناك معايير ومواصفات إيجابية للمستشارين ينبغي للمسؤول النظر والتفحص فيها، وهي على سبيل الحصر (الصدق، العقل، الاخلاص الشجاعة، الدراية، التجربة والاختصاص، تغليب المصالح العامة على المصالح الشخصية)، ويحذر (عليه السلام) فضلا عن إلى الصفات الثلاث التي مر ذكرها من المواصفات السلبية الاخرى للمستشارين، وهي (الكذب، التهور، ضيق الأفق، الجهل والجهال...)

وعنه (عليه السلام): (لا تستشر الكذاب فإنه كسراب، يقرب إليك البعيد ويبعد عليك القريب)(1).

ويقول (عليه السلام): لا تشاور أحمقاً. ولا تستعن بكذاب، ولا تثق بمودة ملول، فإن الكذاب يقرب لك البعيد ويبعد لك القريب. والأحمق يجهد لك نفسه ولا يبلغ ما تريد والملول أوثق ماكنت به خذلك وأوصل ما كنت له قطعك)(2).

وقال (عليه السلام): (لا تشاورن في أمرك من يجهل)(3).

ثم يؤكد الإمام (عليه السلام) إن تحقيق الأهداف والاقتراب من القيم الإسلامية والمفاهيم الصحيحة، منوط باسترشاد العقلاء والاستفادة من خبراتهم وتجاربهم في الحياة الاجتماعية والسياسية.

ص: 131

1- غرر الحكم: ج6: 310

2- تحف العقول عن آل الرسول: ابن شعبة الحراني ص 313؛ بحار الانوار ج75 ص 230 ح 13

3- عيون الحكم والمواعظ: علي بن محمد الليثي الواسطي ص 518

قال عليه السّلام: (استرشدوا العاقل، ولا تعصوه فتندموا)(1).

أقول: فالابتعاد عن التعاليم الاسلامية موجب للحسرة والتألم وضياع الحقوق وتقشي الظلم، وربما يكون الندم بعد فترة من الزمن وليس سريعا.

بالنظر لأهمية مفهوم مبادئ الإدارة والقيادة، فقد تم استخلاص عشرين مبدأ من عهد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) لمالك الأشر (رضوان الله عليه) وقد منهاها في هذا الفصل، علما إن هناك مبادئ في هذا العهد هي أكثر بكثير من مجموع العدد الذي استعرضناه واكتفينا في بيانه مراعاة للاختصار بعد ما عرّفنا كل مبدأ من خلال الشواهد والايضاحات العهد وتحدث عن البعض منها في مفهوم الحكم في عهد الامام علي (عليه السلام) لمالك الأشر.

ص: 132

1- هداية الأمة إلى أحكام الأئمة: الحر العاملي، ج5 ص 137؛ الوسائل ج8: 409/

المبحث الرابع سمات الشخصية الإدارية القيادية

نتناول في هذا البحث بشيء من التفصيل السمات والصفات المطلوبة لمن يتصدى لأي موقع من مواقع الإدارة والقيادة، وأهميتها وحجمها الذي يترتب على حجم المسؤولية المناطة بالشخص المتصدي.

المسألة الأولى: الدراية.

الدراية لغة: (دراية: (اسم) مصدر دَرَى لَهُ دِرَايَةٌ: عِلْمٌ، مَعْرِفَةٌ) و (دَرَى فلانُ الشَّيْءَ / دَرَى فلانٌ بالشَّيْءِ: عِلْمَهُ وَخَبْرَهُ، دَرَى حَبَايَا الأُمُورِ: تَوَصَّلَ إِلَى مَعْرِفَتِهَا، عِلِمَ بِهَا)(1).

والدراية: هي الرؤية وسعة الأفق التي يجب أن يتحلى بها القائد إزاء المهمة المناطة به، قوله (عليه السلام): (فَانظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللَّهِ فَوْقَكَ وَقُدْرَتِهِ مَعَكَ عَلَى مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ فَإِنَّ ذَلِكَ يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ وَيَكْفُفُ عَنْكَ مِنْ غَرْبِكَ وَيَقِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ.... الالتفات إلى السوابق في التعيين، وقول الحق، وقبول الحق)(2).

ومن سماته في هذا الجانب ان يكون طموحا في تحقيق مستويات عالية من النجاح وما يسمى بالمصطلح الحديث التخطيط الاستراتيجي، فعندما يكون

ص: 133

1- المعجم الوسيط للنجار. ج 1 ص 586 باب الدال

2- نهج البلاغة: خطب الإمام علي (عليه السلام) ص 85، رسالة 53

الشخص متصديا للقيادة يجب ان تكون له القدرة على ايجاد التصورات ووضع الخطط الملائمة في لإنجاح مشروعه.

فالحديث عن سعة الافق والرؤية الاستراتيجية عند القائد هو الحديث عن شراكة العقل في تحديد المسارات الصحيحة في الإطار العام الذي يتحرك به وهذه الشمولية والسعة نتائج مستقبلية في نجاح عمله والمهمة المناطة به.

ويؤيد هذا المعنى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) (يحتاج الإمام إلى قلب عقول، ولسان فؤول، وجنان على إقامة الحق صؤول)(1). ويقصد الإمام هنا من يتصدى للمسؤولية والمهمة القيادية في المجتمع، فيجب على القائد ان يكون متعلقا لجميع الامور ومفكرا لما يحدث في الحاضر والمستقبل، فلذا قيل القلب نوعان:

1- القلب العاطفي: وهو القلب الذي يتأثر بالمشاعر والأحاسيس كالحب والبغض وتكون له انطباعات سريعة في اتخاذ القرارات، فعن سعيد الجريري قال سمعت غنيم بن قيس يحدث عن أبي موسى الأشعري قال (إنها سمي القلب قلبا لتقلبه وإنما مثل القلب مثل ريشة بفلاة من الأرض)(2).

وهذا النوع من القلوب لا يلين للإيمان ولا يؤثّر فيه زجر وأعرض عن ذكر الله فالقلب سريع التقلب والتحول، ولذا قيل: قد سمّي القلب قلبا من تقلّبه* فاحذر على القلب من قلب و تحويل، يصفها القرآن الكريم بالقلوب القاسية وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً(3).

ص: 134

1- الغرر والدرر 472/6، الحديث 11010

2- مسند ابن الجعد: علي بن الجعد بن عبيد الجوهري ج:، ط2: 1417-1996

3- المائدة: 13

2- وهناك قلوب اخرى عقولة ومدبرة وهو القلب الذي لا- يتأثر بالمشاعر والعواطف، ويسميه القرآن الكريم بالقلب الحي (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ) (1).

وقال صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّمَ: «سَمِيَ القلب قلباً لسرعة تقلبه»، فإذا صار القلب مزكّياً بالصفات الحميدة، وتخلّى عن الصفات الرذيلة صار مصداقاً لقوله تعالى: إلا من أتى الله بقلب سليم(2) ويؤيد كلامنا ما ورد وفي كنز العمال: (إذا أراد الله بقوم خيراً ولّى عليهم حلماً هم وقضى عليهم علماً وهم، وجعل المال في سمحائهم. وإذا أراد الله بقوم شراً ولّى عليهم سفهاءهم، وقضى بينهم جهالهم، وجعل المال في بخلائهم(3).

فيعتبر في الوالي مضافاً إلى العقل، الرشد في قبال السفاهة أيضاً. وإن شئت قلت: يعتبر فيه العقل الكامل، فهما شرط واحد. والخلاصة المسألة واضحة لا تحتاج إلى بيان.

إن أي مسؤولية غيبت عنها الدراية والعقل والتخطيط مما لا شك فيه تكون محفوفة بالفشل والتلكؤ في تحقيق الأهداف، ولذلك نجد في كلام الأمام علي (عليه السلام) ما يؤيد لهذا المعنى (نعوذ بالله من سبات العقل، وقبح الزلل، وبه نستعين(4).

ص: 135

1- ق: 37

2- الشعراء: 89

3- كنز العمال 7/6، الباب 1 من كتاب الإمارة، الحديث 1459

4- مسائل الشريف المرتضى: الشريف المرتضى ج 3: أورد الخطبة بتمامها الشريف الرضي في نهج البلاغة. تحقيق: تقديم: السيد أحمد الحسيني / إعداد: السيد مهدي الرجائي ص 346، الطبعة: الأولى

اقول: اذا كان العقل قابلاً للنوم ويرقد كما يرقد البدن فالبعض من القادة يبطل عقله ولا يحرك مداركه العقلية في المسؤولية المناطة به فتراه كثير العمل سريع الخطأ فهكذا قليل التدبر والتفكير وهناك من يتدبر ويخطط ويستشرف بالمستقبل ثم يقدم فتكون خطواته أقرب إلى النجاح، فتعبير الإمام (عليه السلام) عن حالة سبات العقل وقبح الزلل ويتعوذ بالله منها فحينما يرقد العقل وينام وحينما يعطل التفكير يكون الزلل والخطأ والانحراف والضلال وعدم امكانية تحقيق النتائج الصحيحة. ففوق القيادة في مسارات خاطئة يؤدي إلى تعريض الأمة إلى مشاكل وحملها إلى مدارج التيه الفوضوي المتمثل بالهرج والمرج الذي ينتج منه ظلم الأبرياء وتسبب القتل وتعريض اعراض الناس إلى الهتك والظلم.

المسألة الثانية: البصيرة.

(البصيرة: قوة القلب المدركة ويقال بصر وجمع البصيرة بصائر، قال سيبويه بصر صار مبصراً وابصره اذا اخبر بالذي وقعت عينه عليه)(1).
(إن البصيرة هي تكامل العلم والمعرفة بالشيء ولهذا لا يجوز أن يسمى الباري تعالى بصيرة إذ لا يتكامل علم أحد بعظمته وسلطانه)(2).
والبصيرة: تعني وضوح الرؤية وانسراح الفؤاد فالبصر هو العين الظاهرية، أما البصيرة فهي عين الفؤاد)(3).
وقيل: هي التي ترسم الطريق في الحياة، اما فقدان البصيرة فذلك يعني العمى وما عليه الكفار وعبيد الدنيا)(4)، ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى (يَعْلَمُونَ)

ص: 136

1- تاج العروس : الزبيدي، ج 1، 2519

2- الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري ص 102

3- ينظر إلى رسالة الخواص: السيد احمد الحاتمي: ص 26

4- المصدر نفسه : ص 26

ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ(1) وهي اشارة الى أن الإنسان الذي يفقد البصيرة يكون اعمى، ولا تمثل البصيرة العمى الظاهري بل العمى الباطني الذي هو حقيقة وجوهر الإنسانية.

وقال عليه السلام (فقد البصر أهون من فقد البصيرة)(2). وقوله عليه السلام (فاقد البصيرة فاسد النظر فليصدق رائد أهله، وليحضر عقله، وليكن من أبناء الآخرة فمنها قدم وإليها ينقلب)(3).

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله): ليس الأعمى من يعمي بصره، إنما الأعمى من تعمي بصيرته(4).

وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) يصف فاقد البصيرة بالحيارى (قوم حيارى عن الحق لا يبصرونه، وموزعين بالجور لا يعدلون به. جفاة عن الكتاب. نكب عن الطريق. ما أنتم بوثيقة يعلق بها، ولا زوافر عز يعتصم إليها. لبس حشاش نار الحرب أنتم. أف لكم لقد لقيت منكم برحا، يوما أناديكم ويوما أناجيكم، فلا أحرار عند النداء، ولا إخوان ثقة عند النجاء)(5).

ويتحدث القرآن الكريم عن سمات فاقد البصيرة انه يتحول إلى البهيمية العمياء ويشير القرآن إلى هذا الموضوع في سورة الأعراف قوله تعالى: «وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ»(6).

ص: 137

1- الروم: 7

2- عيون الحكم والمواعظ: علي بن محمد الليثي الواسطي رقم 125: ص 359

3- المصدر نفسه: ص 359

4- ميزان الحكمة: محمد الريشهري ج 1: ص 266

5- نهج البلاغة: خطب الإمام علي ج 2، ص 6: رقم الخطبة 125

6- الأعراف: 179

ويفسهم الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) (فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همها علفها، أو المرسله شغلها)(1).

ثم أن الإمام (عليه السلام) يشخص اهل البصائر من دونهم ويضع ميزانا في ذلك، وهو ما رواه الصدوق في الأمالي: عن علي بن أحمد الدقاق، عن محمد بن الحسن الطاري، عن محمد بن الحسين الخشاب، عن محمد بن محسن، عن المفضل ابن عمر، عن الصادق، عن أبيه، عن جده، عن أبيه (عليهم السلام)، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبة له: «ولو شئت لتسر بلت بالعقبري المنقوش من ديباجكم، ولأكلت لباب هذا البر بصدور دجاجكم، ولشربت الماء الزلال برقيق زجاجكم، ولكنني أصدق الله جلت عظمتة حيث يقول: (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون)(2).

فأهل البصائر هم الذين يشخصون طريق الحق والحياة الطيبة ولم يندعوا بالدنيا وملذاتها ولا يتخذون الدنيا ساحة لتنفيذ شهوات النفس ومسرحا تذبح عليه القيم الانسانية بل ينظرون إلى الأمور بعين البصيرة حيث انظارهم متعلقة بعاقبة الأمور وما تؤول اليه في الحاضر والمستقبل.

وهذا ما أشار إليه الإمام علي (عليه السلام) (أن أولياء الله هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا إذا نظر الناس إلى ظاهرها، واشتغلوا بأجلها إذا اشتغل الناس بعاجلها، فأماتوا منها ما خشوا أن يميتهم، وتركوا منها ما علموا أنه سيمتلكهم، ورأوا استكثار غيرهم منها استقلالا، ودرگهم لها فوتا. أعداء ماسالم الناس، وسلم ماعادى الناس. بهم علم الكتاب وبه علموا. وبهم قام الكتاب وبه قاموا. لا يرون مرجوا فوق ما يرجون ولا مخوفا فوق ما يخافون)(3).

ص: 138

1- نهج البلاغة: خطب الإمام علي ج3: رقم 45

2- مستدرک الوسائل: ميرزا حسين النوري الطبرسي، ج16، ص 301

3- نهج البلاغة: خطب الإمام علي (عليه السلام) ج4 ص 101 قصار الحكم: 432

فيتحصل ما يلي:

إن الشخصية القيادية والمتصدية للمسؤولية في البلد يجب أن تتحلى بالبصيرة، لما ذكرناه في ذم من فقدها وبفقدانها تكون الفوضى وظهور الميولات الشخصية من الأنا وحب الدنيا، فهي كالسراج الذي ينير الدرب في الظلام، وتعد البصيرة من الضروريات لحياة كل مجتمع ببعديه الفردي والاجتماعي ويستطيع صاحب البصيرة أن يفكر ويرسم المستقبل بكل جوانبه وأبعاده.

فالبلد الذي فيه أصحاب البصائر بلد تسوده الطمأنينة والعيش الهنيء ويرتقي في سلم الصعود نحو البناء والازدهار.

والصورة تظهر واضحة فيما لو فقدته هؤلاء لغيبته عنه الخطط واصبح في مدارج السقوط وتعصف به بين الحين والآخر أزمات سياسية والاجتماعية، فالقيادة الفاقدة لهذه السمة لا يتأمل منها الا تصدير المشاكل وتفقيس الازمات وتضييع الحقوق وجر البلاد إلى الحروب والويلات.

المسألة الثالثة: المعرفة.

من السمات الأساسية التي يمكن توافرها في المتصدي للقيادة او المسؤولية هي المعرفة والخبرة او ما يعبر عنه: الاصطلاح الحديث بالكفاءة، إذ يجب أن يكون المسؤول كفوءاً خبيراً عالماً.

والدراية غير المعرفة، فالدراية عبارة عن التخطيط والرؤية، والكفاءة هي قدرة الأشخاص على تنفيذ الخطة المعدة في تحقيق الرؤية على مرافق الأرض.

اذا النجاح لا- يتحقق إلا- من خلال أن يكون المتصدي للقيادة عارفاً بمسؤوليته وبالمهمة المناطة به وإلا يقع في محذورين الإفراط أو التفريط، إما الإفراط : الذي هو

تجاوز الحدود العملية من جانب الكمال فيحتمل أن يكون جاهلاً فيحمل المهمة والمسؤولية الملقاة على عاتقه إلى العشوائية والتخبط و خلط الأوراق وانحراف المسارات عن الاتجاه الصحيح.

وإما التفريط : الذي هو تجاوز الحد من جانب التقصان والتقصير. في أداريه فيكون دائماً في حالة التقصير في أداء الواجب ومن الصعب تشخيص الحدود بين الإفراط والتفريط فيبقى بينهما ويؤيد هذا المعنى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) (أن أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه وأعلمه بأمر الله فيه)(1).

وثمة روايات أخرى فيما يرتبط بالمعرفة بالزمان وأهله لا مجال لتتبعها.

ونقول أيضاً:

ثمة نصوص كثيرة حول كون الأحق بالأمر هو الأعلم، أو فقل: هو ذلك الرجل الذي يكون في المستوى الأعلى من العلم والمعرفة بأحكام الله تعالى أي الأقدر على الإتيان بالضوابط والسياقات والقوانين والسنن سواء كانت هذه الضوابط في الإطار الشرعي أو الوضعي فالأعلم هو الأولى بتولي مهام الأمور القيادي والتصدي لها.

فضلان عن أن من الطبيعي: أن يكون الأعلم، والأعرف بزمانه، والأقدر هو الأقرب والأجدر بتحقيق الأهداف الإلهية، فيما يرتبط بتطبيق أحكام الإسلام، وتنفيذ تعاليمه على صعيد الحكم(2).

ص: 140

1- نهج البلاغة، الخطبة 173

2- موقع ولاية الفقيه في نظرية الحكم والإدارة في الإسلام: السيد جعفر مرتضى العاملي ص 50

وفي حديث علي (عليه السلام): (لا يرى الجاهل إلا مفرطاً أو مفرطاً) (1)، بالتخفيف: المسرف في العمل. وبالتشديد المقصر فيه. وفرط في الأمر يفرط فرطاً أي قصر فيه وضيّعه حتى فات. وكذلك التفریط) (2).

وقريب منه ما ورد في كتاب الله سبحانه وتعالى (وبلفظ: الجاهل لا يلقي أبداً إلا مفرطاً أو مفرطاً أي يسيء عمداً، ويحسن غلطا. وهو بالتخفيف: المسرف في العمل، وبالتشديد: المقصر فيه) (3).

ومن قوله تعالى: «أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ» (4).

و«مَا فَرَطْتُمْ فِي يُوسُفَ» (5). مع قوله عز وجل: «مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ» (6).

يعلم أنّ الجاهل في النار، والتفریط من صفته، كما يفهم من قوله تعالى: «وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا» (7)، أنه لا ينفك من الإفراط والتفریط الغافل المتبع للهوى.

فيتحصل: القول إن الجاهل اما متطرف فيزيد على الحد المطلوب او يفرط بتضييع جزء من الواجب والمسؤولية المناطة به.

ص: 141

1- نهج البلاغة: خطب الامام علي، ج4، ص16، ح70

2- ما وراء الفقه: السيد محمد الصدر، ج4

3- أمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة: محمد الغروي

4- النحل: 62

5- يوسف: 80

6- يوسف: 89

7- الكهف: 28

المسألة الرابعة: العدالة.

العدل لغة: (خلاف الجور، وهو القصد في الأمور، وما قام في النفوس أنه مستقيم، من عدلٍ يعدلُ فهو عادل من عدولٍ وعدلٍ، يقال: عدل عليه في القضية فهو عادلٌ. وبسط الوالي عدلَهُ) (1) (والعدالة وصف بالمصدر معناه ذو عدل. وتعديل الشهود: أن تقول أنهم عدول، وعدل الحكم، أقامه، وعدل الرجل: زكاه) (2).

ومن التعريفات اعلاه نستنتج إن:

العدل هو: وضع الشيء في موضعه أو إعطاء كل ذي حق حقه.

ومن مصاديقه:

اتخاذ الاجراءات الصحيحة في الوقت المناسب وفي الظروف المناسبة.

وضع الرجل المناسب في الموضع المناسب.

وتوزيع الأدوار والمهام الادارية بطريقة سليمة وصحيحة.

والحزم في الأمور.

وعدم التمييز بين الناس بالابتعاد عن الهوى. هذا هو العدل كما يفهم من روايات اهل البيت (عليهم السلام).

عن مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته لمالك الاشر (رضوان الله عليه) واصفا العدل والاحسان للآخرين وَلَا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ فَإِنَّ

ص: 142

1- لسان العرب: ابن منظور: ج 11: ص 430 وينظر مصباح المنير: للفيومي: ج 2، ص 396. والصحاح: اللجوهري: ج 5: ص 1760.

القاموس المحيط للفيروز آبادي، ص 1030

2- رسائل فقهية: الشيخ مرتضى الأنصاري، مجلد 23، ص 5، 144

فِي ذَلِكَ تَرْهِيداً لِّأَهْلِ الْإِحْسَانِ فِي الْإِحْسَانِ وَتَدْرِيْباً لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ عَلَى الْإِسَاءَةِ(1).

فقد ورد عن مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) في كلمات قالها في طريقه إلى صفين في حربه مع القاسطين، بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله: قال اتقوا الله عباد الله وأطيعوه وأطيعوا إمامكم فإن الرعية الصالحة تنجو بالإمام العادل، ألا وإن الرعية الفاجرة تهلك بالإمام الفاجر(2).

إن سبب نجاة الأمة وتقدمها في تحقيق أهدافها وتطلعاتها لا يكون إلا بوجود الحاكم والمسؤول العادل، أما الرعية غير الصالحة فلا يحقق الحاكم العادل النجاح، لأن غير الصالح لا يتبع الصالح.

فالإمام العادل والمسؤول العادل هو الضمان لنجاح الناس الصالحين، فهناك معادلة يمكن أن يكون القائد قدامى واجباته إزاء الأمة، والأمة هي السبب في حصول الاخفاقات، كما يحصل في عدم انتخاب الأكفاء في ادارة الحكم؛ وفي الطرف الآخر من المعادلة يبين الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) إن الحاكم والمسؤول حينما يكون فاجرا ويتصل في مسؤوليته من إقامة العدل يكون سببا في هلاك الإنسان الفاجر لأن الفاجر يتبع الفاجر بينما الإنسان الصالح لا يتبع الحاكم الفاجر، حتى وإن انحرف الحاكم يبقى الإنسان الصالح ملتزما بالأحكام الشرعية والقوانين الوضعية ولا ينحرف معه.

ولكن لو تماشى مع المسؤول الفاجر غير العادل ووضع يده بيده وسمح لنفسه بأخذ الرشوة مثلا سوف ينغمس في متاهات ويضيع في دنيا مظلمة.

ص: 143

1- نهج البلاغة: خطب الامام علي، ج3، ص88، رسالة53

2- مصباح البلاغة (مستدرک نهج البلاغة): المير جهاني، ج1، ص293

ويصف الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) كلا القسمين من الحكام في خطبة له:

1- يصف الحاكم العادل: فيقول:

(عباد الله إن من أحب عباد الله إليه عبداً أعانه على نفسه... قد أخلص لله فاستخلصه فهو من معادن دينه وأوتاد أرضه، قد ألزم نفسه العدل، فكان أول عدله نفي الهوى عن نفسه، يصف الحق ويعمل به، لا يدع للخير غاية إلا أمها ولا مظنة إلا قصدها قد أمكن الكتاب من زمامه فهو قائده وإمامه، يحل حيث ثقله وينزل حيث كان منزله..).

2- يصف الحاكم الفاجر (غير العادل): بقوله:

(وآخر قد تسمى عالماً وليس به فاقتبس جهائل من جهال وأضاليل من ضلال ونصب للناس شركاً من حبال غرور وقول زور، قد حمل الكتاب على آرائه وعطف الحق على أصواته، يؤمن من العظائم ويهون كبير الجرائم، يقول أقف عن الشبهة وفيها وقع، ويقول اعتزل البدع وبينها اضطجع، فالصورة صورة انسان و القلب قلب حيوان، لا- يعرف باب الهدى فيتبعه، ولا- باب العمى فيصد عنه فذلك ميت الأحياء(1)).

يبين الإمام (عليه السلام) ان من سمات القائد أو المسؤول أن يكون عادلاً.

من مصاديق العدل:

1- نفي الهوى عن النفس.

وهذه اشارة وتنبية لكل من يتصدى لزمام الامور لابد أن يبدأ بإصلاح نفسه حتى يكون قادراً على اصلاح الاخرين.

ص: 144

1- بحوث في الفقه المعاصر: الشيخ حسن الجواهري، ج4، ص91

2- وصف الحق والعمل به.

والصفة الاخرى للحاكم العادل عبارة عن وضع الخصائص والمعايير الصحيحة في كيفية تشخيص الحق ومن خلال ذلك يستطيع التمييز بين الحق والباطل وبين ما هو حق للناس، هذه من الأمور المهمة والاساسية التي وضعها الامام في عهده لمالك (رضوان الله عليه).

3- الالتزام بالوقت.

ومن المعايير الأخرى للعدالة هو الالتزام بالوقت فحينما يكون هناك قانون فواجب على الجميع الالتزام به من اعلى رتبة إلى ادنى رتبة.

4- حث الناس على فعل الخيرات.

ومن سمات المسؤول العادل أيضاً حث الناس على فعل الخيرات في المجتمع وهذا ما يسمى بالتكافل الاجتماعي، فالمسؤول العادل اول السبق له ويكون مبدعا و مبتكرا في هذا الجانب ويشجع الاخرين بهمة وعزم لكي يقدم شيئا جديدا في المنظومة القيادية بهدف انجاح الاخرين.

5- العمل بالقرآن الكريم.

ومن السمات الاخرى للحاكم العادل العمل بالقرآن الكريم ضمن منظومة قيادته باتخاذ الاجراءات الملائمة للشريعة الاسلامية فيتعامل مع الجميع على هذا الأساس؛ القرآن والقانون في إطار واحد وصحيح.

ويؤيد كلامنا قوله عليه السلام (التقي يلزم نفسه العدل، فيكون أول عدله نفي الهوى عن نفسه قرّة عين الولاية استقامة العدل في البلاد ليس في الجور عوض من العدل)⁽¹⁾.

ص: 145

1- نهج البلاغة: خطب الإمام علي (عليه السلام)، (تحقيق صبحي صالح) ص754

وأما صفات الحاكم غير العادل:

1- التشبه بالصفات.

فيما لو نعت الحاكم نفسه بصفات وليس فيه منها شيء كدعواه بأنه عالم وليس بعالم، أو يدعي أن به الكفاءة والقدرة والعدل بالتعامل ولا يتوفر فيه شيء منها.

يصفه الإمام (عليه السلام) (وآخر قد تسمى عالماً وليس به فاقتهس جهائل من جهال وأضاليل من ضلال ونصب للناس شركاً من حبائل غرور وقول زور).

فيتضح من قول الإمام (عليه السلام) انه من كان جاهلاً- وضالاً يكون مستشاروه والمحيطون به من الجهال وأهل الضلال، فالقائد في المنظومة الاسلامية إما أن يكون ضالاً ومضلاً أو مهتدياً وهادياً، فمرة يتحول المسؤول إلى حالة مثالية يتحقق من خلالها الإنجازات الكبيرة في تحقيق الأهداف وطموحات الامة، أو يكون عبثاً على الامة يتحول فيها إلى حالة من التعصب وتمزيق الامة وتشثيتها والتجاوز عليها.

2- سلب الحقوق والحريات.

من خلال سلب الحقوق والحريات وتضييعها، ترى الامة في ظل أمثال هؤلاء تعيش الاضطراب والقلق النفسي، وهذه كلها عوارض تطراً على المجتمع حينما يتصدى للمسؤولية الشخص غير الكفوء، فيقتبس الجهائل والأضاليل وينصب للناس اشراكاً من حبائل الغرور وقول الزور من الكلام الباطل والوعود الزائفة.

وهذا ما نراه اليوم في الأنظمة الدكتاتورية من انها تقوم بمهام معينة في السلطنة على رقاب الناس واحد هذه المهام جعل القانون بأيديهم (كقول الإمام

الحسين عليه السلام في كلام له: (الدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه مادرت معائشهم، فإذا محصوا بالبلاء قلّ الديّانون)(1).

فيبدأ بتكليف القانون وفقا لأرائه وأفكاره ويرى لنفسه الحق المطلق في تنفيذ فقرات القانون من بطش وفتك وقتل الناس على قارعة الطريق كل ذلك يراه صواب، ثم يخرج ويتحدث للناس عن الحق وماسواه ليس كذلك وهذا واضحاً وجلياً في قول من تصدى لدفة الحكم في الاسلام.

فيما روى الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن سعيد بن سويد، قال: صلى بنا معاوية بالنخيلة الجمعة، ثم خطبنا فقال: والله إني ما قاتلتكم لتصلوا، ولا لتصوموا، ولا لتحجوا ولا لتزكوا، إنكم لتفعلون ذلك، وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون(2)، فهذه التجربة التعسفية في الحكم دليل واضح لما تعيشه المجتمعات اليوم من سلب حرية الرأي والصعود على اكتاف الآخرين فينبغي للحاكم ان يكون عادلاً في قوله وفعله لكي يحقق آمال الأمة وطموحاتها منسجماً مع القيم الاسلامية.

واخيراً: يلخص لنا الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) المشهد أو المقطع المتعلق بالحكم أو المسؤول غير العادل ويوضح صورته للناس يقول (عليه السلام) (اعتزل البدع وبينها اضطجع، فالصورة صورة انسان والقلب قلب حيوان، لا يعرف باب الهدى فيتبعه، ولا باب العمى فيصد عنه فذلك ميت الأحياء) يتحدث عن الصورة الظاهرية والباطنية فيقول صورته انسان وقلبه حيوان ليس لديه معرفه في أبواب الهداية لكي يتبعها فتلتبس عليه الأمور، فلا يستطيع تشخيص الامور

ص: 147

1- حياة الإمام الحسين عليه السلام: 97/3؛ البحار: 383/44

2- شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، الجزء: 16، ص 46

الحق والباطل الخطأ والصواب فتكون قراراته عشوائية غير سليمة فيقول الامام ذلك ميت الأحياء انسان حي يمشي على الأرض ولكن ميت، لأن جوهر الحياة وفلسفتها غائبة عنه.

المسألة الخامسة: القدرة على الأداء

الاداء لغة: (أداءً): (اسم) مصدر أَدَّى (قَامَ بِأَدَاءِ وَاجِبِهِ: بِإِنجَازِهِ، بِإِكْمَالِهِ)(1)، وفي مجمع البحرين: (أدا): قوله تعالى: (وَ أَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ)، أي إيصال إليه وقضاء، ومنه: (وأدى دينه)(2) .

ولا نقصد بمفهومها القدرة على السيطرة واستخدام القوة مع الناس بل نعني بذلك المفهوم الواسع في المنظومة الادارية والقيادية: مجمل السمات والصفات التي تجعل المسؤول قادرا على انجاز الأهداف بالوسائل المتاحة و الصحيحة والطبيعية المألوفة.

ومن خلال هذا المعنى يدعوننا الحديث عن سعة الصدر وتحمل الاطراف المنافسة والمخالفة وبالبداهة أن كل من يتصدى للقياده يظهر من حوله المنافسون والمخالفون في دائرة التعامل الاجتماعي والسياسي لأن الناس اصناف مختلفة في تعاملهم ورؤاهم، فينبغي للمسؤول أن تكون له رؤية وانضباط نفسي في كيفية التعامل مع المنافس والمخالف وهذا لا يتم إلا من خلال اتخاذ القرارات القوية والشجاعة لأن مصالح الناس يجب أن تضمن من خلال المواقف المنطقية المحسوبة الشجاعة.

ص: 148

1- معجم المعاني الجامع: للسيوطي: مادة (اداء)

2- مجمع البحرين: للطريحي: ج 1، ص 47

فالحكمة والقوة في اتخاذ القرارات تعني الاستقامة والثبات وعدم تزلزله بسبب الضغوطات التي يتعرض لها المسؤول من بعض الاطراف الاخرى، فيجب عليه اتخاذ الموقف الصحيح المنسجم مع المصلحة العامة، فلا يجوز له التنازل عن مصالحهم في مراعاة المنصب والمصالح الخاصة.

وينبغي أن تكون للحاكم القدرة في مواجهة التحديات و حفظ حقوق من هو مسؤول عنهم، فرب الاسرة يجب أن يحافظ على اسرته فلا يتركهم جيعا ويشبع بطون اخرين (الأقربون أولى بالمعروف) ويكونون واجبي النفقة عليهم.

فالحاكم مسؤول عن كيفية التعامل مع الرعية وأن يتحلى بالهمة العالية والثقة بالنفس وبث الأمل في نفوس الآخرين، وأن يكون متألماً حتى يحقق الانجازات في أصعب الظروف .

يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) في أحد خطبه (أيها الناس، إن أحقّ الناس بهذا الأمر أقواهم عليه وأعلمهم بأمر الله فيه، فإن شغب شاغب استعتب، فإن أبي قوتل) (1) .

ومعنى: الشغب: تهيج الفساد. والاستعتاب: الاسترضاء.

اقول: ان الاقوى على اداء المسؤولية هو الأحق بها وليس الأقوى هو من استقوى على الناس الضعفاء واذا كان المسؤول قويا فإنه لا يقع تحت تأثير السلطة واغراءاتها.

واذا وقع الحاكم أو المسؤول تحت تأثير الآخرين فإنه سيصاب بالإخفاقات وتششت القرارات، والابتعاد عن الرؤية المطلوبة ويشهد لذلك قول الامام علي

ص: 149

1- نهج البلاغة، خطب الامام علي ج2، ص96، خطبة173

(عليه السلام): (من قوي على نفسه تناهى في القوة)(1)، وقوله عليه السلام: (أقوى الناس من قوي على غضبه بحلمه)(2).

فيتحصل: أن الحاكم إذا أراد أن يكون قويا فعليه أن يتحصن من خلال مسك مشاعره وغضبه وأحاسيسه ورغباته ومصالحه ومصالح من يلوذ به بقرابة وأن يقدم المصلحة العامة على الخاصة، وأن يتصرف بعلم وحلم وحكمة.

المسألة السادسة: النزاهة.

قبل الدخول في توضيح معنى النزاهة، لا بأس بالإشارة إلى المراد من النزاهة لغة. نزه: التُّزْهَةُ: معروفة. والتُّزُّهُ: التباعد، والإِسْمُ التُّزْهُةُ. وهو يَتَزَّهُ عن الشيء إذا تباعد عنه. وقد نَزَّهَ نَزَاهَةً وَتَزَّهَتْ تَزْهًا إِذَا بَعُدَ.

ورجل نَزَّهَ الخُلُقِ وَنَزَّهَهُ وَنَازَهُ النَّفْسَ: عَفِيفٌ مُتَكَرِّهٌ يَحْدُلُّ وَحَدَّهْ وَلَا- يخالط البيوت بنفسه ولا ماله، والجمع نَزَاهٌ وَنَزَاهُونَ وَنَزَاهٌ، والإِسْمُ ال والنزاهة.

وَنَزَّهَ نَفْسَهُ عَنِ القَبِيحِ: نَحَّاهَا. وَنَزَّهَ الرَّجُلَ: بَاعَدَهُ عَنِ القَبِيحِ.

والتُّزْهَةُ: البعد عن السوء(3)، إن فلاناً لَنَزَّهَ كَرِيمٌ إِذَا كَانَ بَعِيداً مِنَ اللُّؤْمِ، وهو نَزِيه الخُلُقِ. وفلان يَتَزَّهَى عَنِ مَلَائِمِ الأَخْلَاقِ أَي يَتَرَفَّقُ عَمَّا يُدْمُ مِنْهَا.

وقال بعض الحكماء: أصل المحاسن كلها الكرم، وأصل الكرم نزاهة النفس عن الحرام(4).

ص: 150

1- غرر الحكم: 2449، 6803

2- عيون الحكم والمواعظ: علي بن محمد الليثي الواسطي، ص 116

3- لسان العرب: ابن منظور ج 13 ص 548، الصحاح في اللغة، الجوهري، ج 2 ص 204

4- سراج الملوك: الطرطوشي ج 1 ص 67؛ المستطرف في كل فن مستظرف، عبد المحسن بن محمد الصوري، ج 1 ص 443

وللنزاهة في الرؤية الاسلامية معنى اوسع بكثير من معاني النزاهة المالية التي تتبادر إلى الذهن فعرفها طائفة من العلماء بتعريفات متعددة نكتفي ببعض منها.

قال المناوي: (النزاهة: اكتساب المال من غير مهانة، ولا ظلم، وإنفاقه في المصارف الحميدة.... وقال ايضا (النزاهة البعد عن السوء)(1).

وقيل في تعريف النزاهة (ومعنى التزّه: التّباعد من الدّناءة والأوساخ)(2).

ويفهم من ذلك أن ترقى العبد في درجات القرب، فكلما صار أكمل صفة، وأتم علما وإحاطة بحقائق الأمور، وأثبت قوة في قهر الشيطان وقمع الشهوات، وأظهر نزاهة عن الرذائل، صار أقرب من درجة الكمال، ومنتهى الكمال لله، وقرب كل واحد من الله تعالى بقدر كماله(3).

أن الفرد الذي يرتفع في نزاهة ورجاحة عقله على الأهواء والأخطاء. فلا بد إذن من اعلان المساواة التامة في الحقوق السياسية للمواطنين كافة، لأنهم يتساوون في تحمل نتائج المسألة الاجتماعية والخضوع لمقتضيات السلطات التشريعية والتنفيذية(4).

أن ولي الأمر- الذي كان مفروضاً فيه أن يمثل مصالح المجتمع وأن يحكم من مكانه الرفيع في نزاهة وحياد وعدل واثار لمصالح المجتمع - قد سقط إلى درك الرقيق لهذه القوى المالية، وأصبح أداة طيعة لتنفيذ أهوائها وشهواتها(5).

ص: 151

1- التوقيف على مهات التعاريف للمناوي: ج1، ص 695

2- قوت القلوب: لأبي طالب المكي : ج2، ص 376

3- إحياء علوم الدين: الغزالي، ج14، ص 329

4- المدرسة الإسلامية: السيد محمد باقر الصدر، ص 38:

5- بحوث في الفقه المعاصر: الشيخ حسن الجواهري، ج5، ص 386

وقريب منه ما ورد في أصول الكافي(1) فعن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن سنان، عن نصير أبي الحكم الخثعمي، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: المؤمن مؤمنان: فمؤمن صدق بعهد الله ووفي بشرطه، وذلك قول الله عز وجل: (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه)، فذلك الذي لا تصيبه أهوال الدنيا ولا أهوال الآخرة، وذلك ممن يشفع ولا يشفع له، و مؤمن كخامة الزرع، تعوج أحيانا وتقوم أحيانا، فذلك ممن تصيبه أهوال الدنيا وأهوال الآخرة، وذلك ممن يشفع له ولا يشفع)(2)

ويعبر عن النزاهة بالإخلاص وهو والتخلص من حب الدنيا أهم الموانع عن حصول الخلوص، والإخلاص حب العلائق الفانية الدائرة التي تحيط ببني آدم إحاطة الدنيا بأبنائها، وقد جمع ذلك كله النبي الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي قَوْلِهِ: (حب الدنيا رأس كل خطيئة). الإمام عليّ (عليه السلام) في قوله: (سَبَبُ فَسَادِ الْعَقْلِ حُبُّ الدُّنْيَا)(3) فالإخلاص والخلوص مع حب الدنيا متنافيان(4).

ويؤيد كلامنا قول أمير المؤمنين (عليه السلام):

(ليجتمع في قلبك الافتقار إلى الناس والاستغناء عنهم، فيكون افتقارك إليهم في لين كلامك و حسن بشرك، ويكون استغناؤك عنهم في نزاهة عرضك وبقاء عزك).

وقال سيد الساجدين (عليه السلام):

(رأيت الخير كله قد اجتمع في قطع الطمع عما في أيدي الناس، ومن لم يرج الناس في شيء، ورد أمره إلى الله تعالى في جميع أموره(5)).

ص: 152

1- ج3 ص346-347 باب أن المؤمن صنفان ح1 و 2

2- معجم المحاسن والمساوي: الشيخ أبو طالب التجليل التبريزي، ص116

3- غرر الحكم: 5543، عيون الحكم والمواعظ: 5056/281

4- مهذب الأحكام في بيان الحلال والحرام: السيد عبد الأعلى السبزواري، ج6، ص103

5- جامع السعادات: ملا محمد مهدي النراقي ج2 ص83؛ الوافي: الفيض الكاشاني، ج4 ص415

من مجموع التعريفات التي مرت آنفا نقول: النزاهة تعني الطهارة أي أن يكون الإنسان طاهرا نقياً وتظهر حالة النقاوة المعنوية في مساحات مختلفة وتوجد تغيرات و تحولات كبيرة في سلوك الإنسان المسؤول حينما يتصدى إلى مواقع المسؤولية فالمسؤول يحتاج أن يكون طاهرا ونقيا من الدنيا وحب الدنيا.

وقريب منه (عن أبي مخنف الأزدي قال: أتى أمير المؤمنين (عليه السلام) رهط من الشيعة، فقالوا: يا أمير المؤمنين لو أخرجت هذه الأموال ففرقتها في هؤلاء الرؤساء والأشراف وفضلتهم علينا حتى إذا استوسقت الأمور عدت إلى أفضل ما عودك الله من القسم بالسوية والعدل في الرعية، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (أتأمروني ويحكم أن أطلب النصر بالظلم والجور في من وليت عليه من أهل الإسلام، لا والله لا يكون ذلك ما سمر السمير وما رأيت في السماء نجماً والله لو كانت أموالهم ملكي لساويت بينهم فكيف وإنما هي أموالهم) (1).

ص: 153

ومن خلال استعراضنا للأحاديث والروايات الشريفة يتضح لنا أن النزاهة في الشخصية الإدارية القيادية تتقاطع مع الصفات الخلقية الآتية:

المسألة الأولى: حب الأنا والاحتكار والاستحواذ وحالة أم الاعتداد؟ بالرأي:

التي يقع فيها المسؤول هي من حالات الانانية حيث يعتقد ان رأيه هو الصواب ويرفض الاستماع إلى آراء الآخرين (المستشارين) والخبراء، وبعبارة أخرى يريد ان يتكلم ولا يريد ان يسمع للآخرين فكلما كان الإنسان هادفاً في حياته إنسانياً في سلوكه، حركياً عملياً يتوسع فكره لأكثر من نفسه، ويتسع صدره لغير (الأنا) و (الذات): كان أكثر تأثيراً في مصير الناس، والصورة تختلف فيما لو توافرت صفة الأنا في دائرة حياته.

وهذه المدرسة الأموية تعطينا صورة واضحة في التعامل السيئ مع الآخرين وهو ناتج من استحواذ الأنا على نفوسهم، يقول الدكتور جورج جرادق واصفاً حالتهم المزرية بقوله (أماً أولئك الذين استلموا مقاليد الأمور وسدّوا الرئاسة في عهود مختلفة، فإن كل من حكم منهم وأمسك بزمام الأمور، العالي منها والداني، صرف جُلّ اهتمامه ليحتضن في فريق حكومته الشريحة الغنية والقوية المقتردة؛ محاباة لها، مع العلم بأنّ قسماً كبيراً من الولاة والمسؤولين، لم يكن ذا خبرة وكفاءة تخوّله المشاركة في شؤون البلاد والعباد. ولا يخفى ما في ذلك من إجحاف وطمسٍ للقدرات والكفاءات التي كانت موجودة ومتوافرةً بحوزة المسلمين، والتي كان

لابد من تشغيلها للنهوض بالأمة الإسلامية نحو الأفضل والأكمل. وهذا الأمر كان جلياً في الاختراق الأموي الذي حدث في زمن الخليفة الثالث عثمان ابن عفان، حيث استطاع الأمويون وآخرون من أمثالهم أن يسيطروا على مراكز ومواقع مهمة وحساسة وأخذوا يبطشون بالناس الذين لا يرون رأيهم السياسي او الذين يشكلون المعارضة للنظام(1).

فحالتنا الاستحواذ والاحتكار حينما يضع المسؤول اليد على كل شيء ويريد أن يكون قرار كل المهام بيده وليس بيد الآخرين، إنما يدل ذلك على تحقق الأنا في نفسه وذاته فينتج من ذلك آفة حب الرئاسة والسلطة.

ويؤيد ذلك ما ورد عن (صفوان بن يحيى.. روى عن محمد بن قولويه، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن معمر بن خلاد قال: قال أبو الحسن عليه السلام: ما ذنبان ضاريان في غنم قد غاب عنها رعاؤها بأضر في دين المسلم من حب الرئاسة(2).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (ملعون من ترأس، ملعون من همّ بها، ملعون من حدث بها نفسه(3).

المسألة الثانية: الرغبة في الشهرة والعجب بالنفس.

من المشاكل التي تتقاطع مع النزاهة هي الرغبة في الشهرة والعجب بالنفس وحب المديح والاطراء فاصطفاف الناس حولهم سياطين وعبارات التفضيم

ص: 156

1- علي صوت العدالة: جورج جرداق، ص 117

2- الرواشح السماوية: المحقق الداماد ص 113؛ اخلاق اهل البيت، السيد مهدي الصدر، ص 131

3- اصول الكافي: ج 2، ص 298

والاطراء يجعلهم يعيشون في حالة خاصة مع أنفسهم تاركين الرعية، فبدلاً من أن ينشغل القائد في إيجاد الحلول لمشاكل الناس ووضع الخطط المناسبة لها ينشغل في هذه الأجواء والاهازيح فتحمله إلى الرغبة في الشهرة فيفكر عند ذلك في كيفية استثمار هذه الفرص واستغلالها لمزيد من النفوذ والتأثير ففي هذه الحالة قد ترك المهمة المناطة به.

وبالإضافة إلى ذلك مما يساعد هؤلاء الأشخاص في حب الشهرة هم الجهلاء من الناس حيث يظهرون لهم التملق ويعظمون شأنهم ويمنحونهم مميزات لا توجد فيهم فهذا هو سبب علو واستحواذ هؤلاء على السلطة. ويؤيد كلامنا ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام):

(وَأَعْلَمُ أَنَّ الْإِعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ، وَأَقَّةُ الْأَلْبَابِ) (1).

وعنه (عليه السلام) في كتابه للأشتر النخعي قال: (وإيَّاكَ وَالْإِعْجَابَ بِنَفْسِكَ، وَالثَّقَمَةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا، وَحُبَّ الْإِطْرَاءِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَوْثَقِ فُرْصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ لِيَمْحَقَ مَا يَكُونُ إِحْسَانِ الْمُحْسِنِينَ) (2).

وقال (عليه السلام) (وَأَوْحَشَ الْوَحْشَةَ الْعُجْبُ) (3).

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (الْإِعْجَابُ يَمْنَعُ الْإِزْدِيَادَ) (4).

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (عُجْبُ الْمُرءِ بِنَفْسِهِ أَحَدُ حُسَادِ عَقْلِهِ) (5).

ص: 157

1- نهج البلاغة: خطب الإمام علي (تحقيق صبحي صالح) ص 297

2- نهج البلاغة: الحكمة 212، الكتاب 53

3- نهج البلاغة: خطب الإمام علي، ج 4 ص 11

4- وسائل الشيعة: الحر العاملي، ج 1، ص 105

5- نهج البلاغة: خطب الامام علي، ج 4، ص 49

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): من أعجب بنفسه هلك، ومن أعجب برأيه هلك، وإن عيسى ابن مريم (عليه السلام) قال: داويت المرضى فشفيتهم بإذن الله، وأبرأت الأكمه والأبرص بإذن الله، وعالجت الموتى فأحييتهم بإذن الله، وعالجت الأحمق فلم أقدر على إصلاحه! فقيل: يا روح الله! وما الأحمق؟ قال: المعجب برأيه ونفسه، الذي يرى الفضل كله له لا عليه، ويوجب الحق كله لنفسه ولا يوجب عليها حقاً، فذاك الأحمق الذي لا حيلة في مداواته (1).

ولذا لا ينبغي للحاكم أن يشعر الناس بأنه يحب هذه الأمور فإن ظن انهم يظنون ذلك فعليه أن يبين لهم حقيقة شعوره من حب الثناء كما فعل علي (عليه السلام) ذلك حينما شعر من الناس انهم يظنون ذلك فيه فأنكر أن يوجد فيه وحمد الله تعالى على ذلك الذي هو احق بالعظمة والكبرياء، وإن الناس بطبيعتهم يحبون أن يحمداوا على ما يقومون به من أعمال.

لكن علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهو في موقع الخلافة والمسؤولية لا يريد منكم هذا الثناء وانه يعاقب نفسه على حقوق يشعر انه مهما قدم فهو مقصر في ادائها ويشعر أن هناك واجبات كثيرة لم يؤديها حتى الآن.

وهذا علي بن أبي طالب (عليه السلام) الذي قدم الغالي والنفيس وبذل كل ما في وسعه من أجل الله ومن أجل الناس يقول إني أرى نفسي مقصراً في أداء كل الحقوق.

المسألة الثالثة: ضيق الأفق والتحجر.

من التقاطعات المهمة مع النزاهة ضيق الأفق والتحجر اللذان يصاب بهما المسؤول او القائد خلال عمله وتصديه للمسؤولية، فيكون ضيق الأفق في ظواهر التعامل مع الناس فيجب على القائد أن يستوعب الآخرين وأن يكون عنده بعد

ص: 158

1- الاختصاص: الشيخ المفيد: ص 221؛ مستدرک الوسائل، ميرزا حسين النوري، ج 1، ص 139

نظر فان ضيق الأفق وعدم تحمل الآخر وعدم قبوله يجعل القائد أو المسؤول غير قادر على اتخاذ القرارات الموضوعية فعليه أن يراعي التوازن المطلوب بين الأطراف لكي يحقق الأهداف المطلوبة، وفي جامع الأخبار: قال النبي صلى الله عليه وآله: أفضلكم إيماناً أفضلكم معرفة(1).

المسألة الرابعة: الغدر وعدم الوفاء.

من الحالات والسمات القيادية التي تتعارض مع النزاهة هو الغدر وعدم الوفاء بالمواثيق والعهود (المؤمنون عند شروطهم) فعندما يكون خلاف ذلك فتشيع حالة من الشك بين أطراف الأمة فيفقد المسؤول مصداقيته بين الناس، ويفقد الناس ثقتهم بكلامه.

إذا الالتزام بالعهود والمواثيق من أساسيات مبدأ النزاهة، قال تعالى: (وَأِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَاةً فَانذِرْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ)(2)، وقال عز وجل: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا)(3).

وقال: (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا)(4).

قال علي (عليه السلام): (الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله، والغدر بأهل الغدر وفاء عند الله)(5).

ص: 159

1- بحار الأنوار: العلامة المجلسي: ج3: ص140

2- الانفال: 58

3- الاحزاب: 7

4- الاسراء: 34

5- نهج البلاغة: خطب الإمام علي، ج4 ص58

عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (أربع من كن فيه فهو منافق- إلى أن قال - وإذا عاهد غدرك) (1). وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (أسرع الأشياء عقوبة، رجل عاهدته على أمر، وكان من نيتك الوفاء به، ومن نيته الغدر بك) (2).

فكان الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) يؤكد على ضرورة الالتزام بالعهد و تحريم الغدر، فعنه (ع) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (ما رفع الناس أبصارهم إلى شيء إلا وضعه الله تعالى، ولو بغى جبل على جبل لجعل الله تعالى الباغي منها دكاً) (3).

وقال (عليه السلام): وهو يخطب على المنبر بالكوفة-: أيها الناس! لولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس، ألا إن لكل غدرة فجرة، ولكل فجرة كفرة، ألا وإن الغدر والفجور والخيانة في النار) (4).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: (لا ينبغي للمسلمين أن يغدروا ولا يأمرؤا بالغدر، ولا يقاتلوا مع الذين غدروا، ولكنهم يقاتلون المشركين حيث وجدوهم ولا يجوز عليهم ما عاهد عليه الكفار) (5).

وقال (عليه السلام) - من كتابه للأشتر لما ولاه مصر- : (فلا تغدرن بدمتك، ولا تخيسن* (6) تحبسن) بعهدك، ولا تختلن عدوك... فإن صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته) (7).

ص: 160

1- مستدرک الوسائل: میرزا حسین النوری الطبرسی ج 11 ص 48

2- المصدر نفسه: ص 48

3- المصدر نفسه، (باب تحريم البغي). ج 12 ص 85 رقم الحديث 13585

4- الوافي : الفيض الكاشاني ج 5: ص 923

5- الوسائل باب: 21 من أبواب جهاد العدو، حديث: 1 و 3

6- ولا تخيسن بما عاهدتهم عليه: أي لا يغدر، يقال: خاس به يخيس ويخوس أي غدر به، وخاس فلان بالعهد إذا نكث

7- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: قطب الدين الراوندي، الجزء: 3 ص 197

إذ يعد الغدر وعدم الوفاء من الكبائر في الفهم الإسلامي فينبغي للوالي التحلي والانضباط في التعامل مع الناس والانصاف من نفسه في تدليل المعوقات فيما بينه وبين الأمة.

المسألة الخامسة: الأخلاق السيئة.

ومن التقاطعات الأخرى مع نزاهة القائد والمسؤول هو سوء الخلق والتعامل السيئ مع الناس بطريقة جافة والنظر اليهم بطريقة حادة و الجلوس امامهم بحالة التغطرس ديدنه السب والشتم للآخرين ظناً منه ان الطريقة المثلى في ضبط الرعية هو الاساءة اليهم.

وفي القوي كالصحيح، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: إن جبرئيل الروح الأمين نزل على (محمد) من عند رب العالمين فقال: يا محمد عليك بحسن الخلق، فإن سوء الخلق يذهب بخير الدنيا والآخرة، ألا وإن أشبهكم بي أحسنكم خلقاً(1).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: (أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه؛ الخلق السيئ يفسد العمل كما يفسد الخل العسل)(2).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال (من ساء خلقه عذب نفسه)(3).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (عليكم بحسن الخلق فإن حسن الخلق في الجنة لا محالة، وإيّاكم وسوء الخلق فإنّ سوء الخلق في النار لا محالة).

إذا فالأخلاق السيئة تتعارض مع الاخلاق الاسلامية، إذ ينبغي للقائد والوالي أن يتخلى عنها ويتحلى بالأخلاق الحسنة.

ص: 161

1- روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه: محمد تقي المجلسي الأول (الجزء: 13، ص 228

2- الوافي: الفيض الكاشاني، ج 5، ص 888

3- المصدر نفسه: ص 888

ومن كلام لأمير المؤمنين (عليه السلام) في عهده المالك الأشتر (رضوان الله عليه) يؤكد على الأخلاق الحسنة وينبغي للقائد ان يتحلى بها: (فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضى ان يعطيك الله من عفوه وصفحته، فإنك فوقهم ووالي الأمر عليك فوقك والله فوق من ولاك، وقد استكفأك أمرهم وابتلاك بهم فلا تنصب نفسك لحرب له، فإنه لا يدمي لك بنقمته ولا غنى بك عن عفوه ورحمته ولا تندمن على عفوه، ولا تبجحن بعقوبة، ولا تسرعن إلى بادرة وجدت عنها مندوحة، ولا تقولن إني مؤمر أمر فأطاع فإن ذلك إدغال في القلب ومنهكة للدين، وتقرب من الغير)⁽¹⁾.

المسألة السادسة: الحقد.

الحقْدُ لغة: الضغْن، وهو إمساك العداوة في القلب، والتربص لفرصتها، والجمع أحقادٌ وحُقودٌ وحقائد. وتقول: حَقَدَ عليه يَحْقِدُ حِقْدًا، وحَقَدَ عليه بالكسر حَقْدًا لغةً. وأَحْقَدَهُ غيره صيره حاقِدًا. ورجل حَقود⁽²⁾.

الحقد: هو إضمار العداوة في القلب، وهو من ثمرة الغضب، لأن الغضب إذا لزم كظمه لعجز عن التشفّي في الحال، رجع إلى الباطن واحتقن فيه فصار حقدًا، وهو من المهلكات العظيمة. وقد قال رسول الله (ص): المؤمن ليس بحقود⁽³⁾.

الحقد هو (سوء الظنّ في القلب على الخلائق لأجل العداوة)⁽⁴⁾.

ص: 162

1- نهج البلاغة: رسالة الامام المالك الأشتر

2- لسان العرب: ابن منظور: ج 3 ص 154 وينظر قاموس المحيط: للفيروز آبادي: ص 354، العين للخليل الفراهيدي، ج 3، ص 40

3- جامع السعادات: للنراقي، ج 1، ص 275

4- التعريفات: للجرجاني: 91

يتحصل من التعريفات أن الحقد هو النار التي تشتعل في صدر الحاقد وظهر حالة الانتقام لخصائه ولشعبه.

وورد اصطلاح الحقد في القرآن الكريم بمعنى الغل: منها قوله تعالى:

(وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَمُ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (1).

وقال تعالى (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) (2).

وهناك روايات كثيرة في هذا المورد منها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (حسن البشر يذهب بالسخيمة).

(السخيمة الحقد في النفس) (3)

قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ما كان جبرئيل يأتيني إلا قال: يا محمد! اتق شحناء الرجال وعداوتهم (4).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): ما عهد إلي جبرئيل قط في شيء ما عهد إلي في معاداة الرجال، وقول الصادق (عليه السلام): من زرع العداوة حصد ما بذر (5).

ص: 163

1- سورة الأعراف: 43

2- الحشر: 9

3- الوافي: الفيض الكاشاني ج 4 ص 428

4- روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه المؤلف: محمد تقي المجلسي (الأول)، ج 12، ص 89

5- الوافي: الفيض الكاشاني ج 5، ص 942

كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أحاديث كثيرة، منها قوله: (الحقُّدُ أُمُّ العيوب) (1).

فيتحصل: لا يستطيع القائد أن يكون نزيها ومتوازنا إذا توافرت فيه صفة الحقْد، ومثل هذا القائد لا يمكن ان يكون واليا او حاكما على الأمة لأنه يتصف بصفات المكر والخديعة والخيانة، وهذه جميعها لا تتسجم مع مفهوم النزاهة في المنظومة الاسلامية.

المسألة السابعة: الغلظة والشدة في التعامل.

من التقاطعات لمفهوم النزاهة التعامل الغليظ مع الرعية.

وفي اللغة غَلْظَةٌ بكسر الغين وضمها وفتحها وغلظة أيضا بالكسر أي فظاظة واغلظ له بالقول (2): عداوة غلظة: قساوة وشدة، وهذا معناه أن المسؤول يستخدم السقوف العالية من الصلاحيات الممنوحة له في العقوبات فينتج من هذا التعامل النفرة من قبل الناس وعدم المحبة له فتجعل الآخرين يفكرون في كيفية الخلاص منه والإطاحة به.

فالتسامح وإيجاد العلاقة المحبة والمودة بين أفراد الأمة من سمات القائد الناجح الذي يمتلك الارادة في تحقيق الأهداف بالشكل السليم وفق الرؤية الإسلامية الحقة وهذا ما نجده واضحا في كتاب الله الكريم وروايات أهل البيت عليهم السلام حيث ورد اصطلاح الغلظة في القرآن الكريم في معانٍ متعددة، منها:

ص: 164

1- غرر الحكم: ح 966

2- مختار الصحاح: الرازي ج 1 ص 338

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ» (1).

«يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ» (2).

«مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا» (3)، فيتضح أن القرآن يوجه القيادة الاسلامية في أن تهيأ أجواء الأمان والطمأنينة للعدو ليكسب العقول والنفوس من خلال آلية خطائية تعتمد الذكاء والمرونة، والانفتاح، رافضاً الانفعالية، وهذا معناه انه يفتح الطريق أمام خصومه ليطرحوا الأفكار والمباني التي تخر بها عقائدهم. فلا ينفعل أو تسري إلى نفسه روح الانهزامية الفكرية، مادام يعتمد في اسلوبه ومنهجه على القدرة الالهية المطلقة التي تزوده بكل أدوات المعرفة واليقين للخط الذي سار عليه، ولهذا يدعو القرآن إلى الصبر وعدم ابداء الضيق، قال تعالى:

«وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَقْبَضَوكَ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ * فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ» (4).

ص: 165

1- التوبة: 123

2- التوبة: 73

3- الفتح: 29

4- آل عمران: 159

ويتضح من الغلظة هنا «وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضْنَا مِنْ حَوْلِكَ» قيل: أي لو كنت جافي اللسان سيئ الكلام، قاسي القلب، صعبا غير لين تفرقوا عنك، وخلوك وحدك(1).

المسألة الثامنة: أزمة الثقة.

من الأمور التي تتقاطع مع النزاهة هو وجود أزمة الثقة، والمراد من أزمة الثقة هنا هي التساؤلات التي يعتمدها القائد في صحة كل ما يسمعه من دون تحقيق في الأمور فينشغل بتبرير المواقف ويحصل منها ظلم للآخرين من خلال توجيه العقوبات.

وهكذا النفوس عندما تسيطر عليها الأحقاد، وتقوى فيها رذيلة الحسد، تفقد تقديرها الصحيح للأمر، وتحاول التخلص ممن يزاحمها بالقضاء عليه، وتصور الصغائر في صورة الكبار، والكبار في صورة الصغائر.

فكيف تتحقق الثقة المتبادلة بين الحاكم والرعية؟ يذكر الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا الصدد ثلاث طرق لتعزيز الثقة بين المسؤول وبين من هو مسؤول عنهم، وهو فحوى المسألة اللاحقة.

المسألة التاسعة: طرق تعزيز الثقة.

1- الاحسان والشفقة واللين.

يقول الإمام في رسالة المالك الأشتر (رضوان الله عليه): (وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلَى حُسْنِ ظَنِّ رَاعٍ بِرِعْيَتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ (2)).

ص: 166

1- زبدة البيان في أحكام القرآن: المحقق الأردبيلي، الجزء: ص 333

2- نهج البلاغة: خطب الامام علي، ج 3، ص 89، رسالة 53

هناك انواع كثيرة من الاحسان للآخرين لابد للمسؤول أن يقوم به منها تسهل مهمة اللقاءات بالمسؤول ورفع الحواجز عنه ومنها تقديم الخدمة إلى الناس ومنها اظهار المحبة والبشاشة والتعاطي في التعامل مع الآخرين، قوله (عليه السلام):

(الاحسان بمحبة)(1) . وقوله (عليه السلام):

(احق الناس بالإحسان من احسن الله اليه ووسط بالقدره يديه)(2) .

وفي رواية أخرى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) (من كثر إحسانه كثر خدمه وأعوانه)(3) .

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) أيضاً (الاحسان ذخر)(4) .

أي أن الاحسان هو رأسمال الإنسان وبقدر ما يحسن للآخرين يكبر رأسماله ويصغر.

وقال عليه السلام: (إن احسانك إلى من كادك من الاضداد والحساد لأغيب عليهم من مواقع إساءتك منهم وهو داء لصالحهم)(5) .

أشارة إلى أن احسانك إلى من يتهجم عليك ويسب ويشتمك سوف يغيبه أكثر فإن كان مخطئاً غافلاً فسوف ينتبه ويرجع يعتذر منك، ثم ينتقل الإمام إلى مسألة يجعل فيها الاحسان إصلاحاً للآخرين فيما لو كان المسيء مغرضاً وجاهلاً

ص: 167

1- غرر الحكم: ج38: 1

2- عيون الحكم والمواعظ 127

3- المصدر السابق: 460

4- المصدر السابق: 45

5- المصدر السابق: 156

ويريد الإساءة بالسب والشتيم فهو إما أن يكون حقوداً أو مصاباً بمرض خلقي، فالإحسان في هذه الصورة يتحول إلى ظاهرة الألم بنفسه ويكون مملوكاً لك وهو قول الإمام عليه السلام: (احسن إلى المسيء تملكه) (1).

2- تخفيف المؤمن والأعباء.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (علامة رضا الله عز وجل في خلقه عدل سلطانهم ورخص أسعارهم وعلامة غضب الله تبارك وتعالى على خلقه جور سلطانهم وغلاء أسعارهم) (2).

وعن علي (عليه السلام) في وصية لمالك الأشر: (أَكْثَرَ حَاجَاتِ النَّاسِ إِلَيْكَ مِمَّا لَا مَوْوَنَةَ فِيهِ عَلَيْكَ) (3).

إشارة إلى أن وجود الحاكم العادل في أوساط الناس علامة رضا الله عليهم وتنعكس القضية فيما لو كان الحاكم جائر بين الناس فتكون علامة غضب عليهم ومدلول الرضا والغضب في الرواية (رخص الأسعار وغلاء الأسعار).

3- التحميل بما لا يطاق.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في عدم إكراههم على ما لا يتحملون من المهام الصعبة (وقد أحببتكم البقاء، وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون) (4).

وقوله عليه السلام (وليس أرى أن أجبر أحداً على عمل يكرهه) (5).

ص: 168

1- المصدر نفسه: 83

2- الوافي: الفيض الكاشاني، ج 17، ص 295

3- نهج البلاغة خطب الإمام علي، ج 3 ص 104، رسالة 53

4- نهج البلاغة خطب الإمام علي، ج 2، ص 781، خ 802

5- موسوعة الإمام علي بن أبي طالب في الكتاب والسنة والتاريخ: محمد الريشهري، ج 12، ص 250

المسألة العاشرة: اللجاج في الرأي.

اللجاج واللجاجة: الخصومة، ألججت بالكسرة تلج و لججت تلج وهو لجوج ولجوجة واللجلة والتلجلج التردد في الكلام(1) ، عرفت اللجاجة في الرأي: بأنها الإلحاح والعناد والإصرار بالقول والفعل.

وهذا معناه ان القائد في تصوراته يعرف كل شيء عن كل شيء ولا يعرف الآخرون ذلك، فيتقاطع مع رؤية مستشاريه وخبرائه من ذوي الاختصاص والخبرة.

وهناك أحاديث توضح لنا الآثار السلبية للجاجة في الرأي، منها:

(عمل الرجل بما يعلم إنه خطأ هوى، والهوى آفة العفاف، وترك العمل بما يعلم إنه صواب تهاون، والتهاون آفة الدين، وإقدامه على ما لا يدري أصواب هو أم خطأ لجاج واللجاج آفة العقل)(2) .

لَجَّ الرجل لَجَاجاً: تَمَادى في العِنَادِ إلى الفعل المزجور عنه (اللجاج بذر الشر)(3) .

وعنه (عليه السلام): اللجاج مَنَازُ الحروب(4) .

وعنه (عليه السلام): اللجوج لا رأي له(5) .

عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: من استطاع أن يمنع نفسه من أربعة أشياء فهو خليق بأن لا ينزل به مكروه أبداً، قيل: وما هنّ؟ قال: العجلة واللجاجة والعجب والتواني(6) .

ص: 169

1- القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ج 1 ص 194

2- شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج 20، ص 395

3- عيون الحكم والمواعظ: علي بن محمد الليثي الواسطي، ص 310

4- غرر الحكم: ح 358

5- غرر الحكم: ح 308 و 405 و 886 و 1542 و 1710 و 2173 و 4795 و 4975 و 7478

6- بحار الأنوار: ج 75 ص 43 ح 34

المبحث السادس المعايير الخلقية للشخصية الادارية القيادية في عهد الإمام (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضي عنه الله)

نوطئة:

إن احد الامور التي ينبغي ملاحظتها هنا هي المعايير الخلقية التي تتصف بها الشخصية القيادية في المنظومة الاسلامية، ويتفرع منها ادارة الحكم وفق الرؤية الاسلامية التي تؤمن للفرد الانساني متطلباته واحتياجاته من خلال مسيرته في الحياة الاجتماعية، وهذا الأمر يظهر للوهلة الأولى أنه مغفول عنه بالنسبة للكثير من الناس في المجتمع باعتبارهم لا يجدون تلازماً بين المفاهيم الأخلاقية السلوكية التي يتحلى بها الحاكم (القائد) على المستوى الفردي وبين الأساليب الواجب اتباعها في التعامل الاجتماعي والسياسي والاقتصادي.

ولبيان هذه المعايير واتضح الصورة اكثر لابد من الرجوع إلى فهم الاضاءات المعنوية التي ضمنتها الأمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في عهده المالك الأشتر (رضوان الله عليه).

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في عهده المالك الأشتر: ... أَمْرُهُ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَإِثَارِ طَاعَتِهِ، وَاتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ: مِنْ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ، الَّتِي لَا يَسْعُدُ أَحَدٌ إِلَّا بِاتِّبَاعِهَا، وَلَا يَشْقَى إِلَّا مَعَ جُحُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا، وَأَنْ يَنْصُرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِيَدِهِ وَقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ(1).

ص: 171

يشير الإمام في هذا المقطع إلى موضوع أساس بعد المدخل الرئيس للمنظومة القيادية وهو بيان المعايير الخلقية للشخصية القيادية، التي هي الركيزة الأساسية البناء علاقة الإنسان مع ربه وإذا حصلت حالة التقوى تحصل حالة الاستقرار والطمأنينة والثبات والاصرار على الموقف والشعور بالقوة والعزة والمنعة من هنا نشرع في بيان المعايير الخلقية التي ينبغي للقائد الاداري أن يتصف بها.

ومن هذه المعايير:

المسألة الأولى: التقوى.

أن يجعل الله سبحانه وتعالى نصب عينيه في كل شيء (أَمْرُهُ بِتَقْوَى اللَّهِ) (1).

ومنها قوله (عليه السلام): (أوصيكم عباد الله بتقوى الله فإنها حق الله عليكم، والموجبة على الله حقكم) (2)، وقد أشرنا إليها بالتفصيل في: مبادئ الإدارة في عهد الإمام (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضوان الله عليه) تحت عنوان وسائل التحكم والسيطرة على النفس.

المسألة الثانية: علاقة الإنسان مع خالقه

من المعايير الخلقية التي ينبغي أن تتسم بها الشخصية الادارية القيادية هي علاقة العبد مع ربه. فتعد هذه العلاقة المفتاح والمدخل والسر للنجاح وركيزة للتوفيق وبداية للانطلاق وبلوغ الغايات والأهداف.

فكلما ازداد العبد ارتباطا بخالقه ازداد قوة وتماسكا وثباتا وصلابة في مواجهة الأخطار والتحديات.

ص: 172

1- نهج البلاغة: خطب الامام علي، ج3، ص83، رسالة53

2- نهج البلاغة: خطب الإمام علي، ج2، ص134

يقول سيد الموحدين علي بن أبي طالب (عليه السلام): (مَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ أَصْلَحَ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، وَمَنْ أَصْلَحَ أَمْرَ آخِرَتِهِ أَصْلَحَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَ دُنْيَاةٍ)(1).

بيان: إن علاقة الإنسان بالمجتمع متوقفة على حسن العلاقة ما بين العبد وخالقه فمن اراد أن يكون محبوبا ومرضيا عند الناس فليكن أداؤه مميزا وليصلح سريره مع الله سبحانه وتعالى.

قال الصادق عليه السلام: فساد الظاهر من فساد الباطن، ومن اصلح سريره اصلح الله علانيته، ومن خان الله في السر هتك الله علانيته، وأعظم الفساد أن يرضى العبد بالغفلة عن الله تعالى، هذا الفساد يتولد من طول الأمل والحرص والكبر، كما أخبر الله تعالى في قصة قارون في قوله: * (وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ)(2).

وهناك الكثير من الآيات والروايات التي دلت على هذا المعنى.

إن على الإنسان القائد وفي كل المستويات أن يصلح سريره وعلاقته مع الله سبحانه وتعالى، فالعلاقة المرتبة تذهب بالسكينة والاطمئنان من القلب ويكون تحقيقهما بالذكر الذي يجلي القلوب من الأدران ويجعلها نقية طاهرة، قال تعالى (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)(3).

ص: 173

1- نهج البلاغة: الحكمة 89؛ الوسائل، الحر العاملي ج 11 ص 183 ح 8

2- مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة المنسوب للإمام الصادق ص 107؛ مستدرک سفينة البحار: الشيخ علي الشهرودي، ج 8، ص 195

3- الرعد، 28:

المسألة الثالثة: طرق توثيق العلاقة مع الله.

ولبيان هذه الطرق ولتعزير وتوثيق العلاقة بين الإنسان وربه يقول الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) (وَأَنْ يَنْصَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِقَلْبِهِ وَيَدِهِ
وَلِسَانِهِ فَإِنَّهُ جَلَّ اسْمُهُ قَدْ تَكْفَّلَ بِنَصْرِهِ مَنْ نَصَرَهُ وَإِعْزَازٍ مَنْ أَعَزَّهُ) (1).

فهذه أوجه ثلاثة يذكرها الإمام (عليه السلام) لتعزير الصلاح بين الإنسان وربه وهي أن يقول الحق ويدافع عن الحق وينطق بالحق.

1- نصره الله سبحانه وتعالى.

النصرة: معنى النصر في اللغة:- (النُّصْرَةُ: النَّصْرُ والعون، وهي اسم من نَصَرَه على عَدُوِّه يُنْصِرُهُ نَصْرًا، أي: أعانه وقوّاه، والنَّصِيرُ والنَّاصِرُ
واحد) (2).

وعرفت بأنها (تلك الغيرة الإيمانية، التي تدفع المسلم لرفع الظلم عن أخيه المسلم المستضعف) (3).

والمحصل من بين التعريفين هو أن النصر: المطابقة والانسجام بين حركة القلب وسلوك اليد واللسان والمشية الإلهية.

والله تعالى يريد من الإنسان السير على الصراط المستقيم، والمشية الإلهية هي الأساس والطريقة التي يمكن للإنسان اقتفاؤها والسير
عليها من خلال مطابقة افكارنا وعقيدتنا واداننا واقوالنا مع المشية الإلهية.

ص: 174

1- نهج البلاغة: رسالة 53

2- لسان العرب: ابن منظور، ج 4، ص 561

3- هذه اخلاقنا: محمود محمد الخرندار: ص 57

فيتضح ان نصره الله هي حالة انسجام الإرادة الإنسانية مع الإرادة الإلهية، فما يريد الله نحن نريده. فإصلاح النفوس وتركيتها لا بد ان يكون وفق الإرادة الإلهية، قال تعالى:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّصِرُوا لِلَّهِ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ» (1).

2- انسجام الإرادة الإنسانية مع الإرادة الإلهية.

يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «من أطاع الله علا أمره» (2)؛ وقال أيضاً (عليه السلام): «من عمل بطاعة الله ملك» (3).

ويقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «من أراد عزا بلا عشيرة وغنى بلا مال وهيبة بلا سلطان فلينتقل من ذل معصية الله إلى عز طاعته» (4).

من أراد عزا بلا عشيرة فإن الله تعالى يعطيه ذلك بشرط أن يخرج من ذل المعاصي إلى عز الطاعة، ومن أراد أن يكون مهابا عند الناس من غير أن يكون له سلطان فإن الناس تهاب صاحب السلطة عادة، فإن الله يمنحه هذه الهيبة بشرط أن يخرج من ذل المعصية إلى عز الطاعة.

فالإنسان الذي يعيش في ظل المعاصي يكون ذليلا ومرتبكا وخائفا وغافلا عن الله تعالى فيكون مهزوما وضعيفا من الداخل، فكيف له أن يحقق الاستقرار وأن يعطي القوة للآخرين.

ص: 175

1- محمد: 7

2- عيون الحكم والمواعظ: علي بن محمد الليثي الواسطي الجزء: ص 448

3- غرر الحكم: ج 2 187

4- الخصال: الشيخ الصدوق الجزء: ص 169

في حين أن الشخصية القيادية هي التي تمنح القوة للآخرين في المساحة التي يتحرك فيها، فإذا فقدتها لا يستطيع أن يمنحها للآخرين، وفق القاعدة المعروفة (فاقد الشيء لا يعطيه)؟.

إذا لابد للقائد أن يستثمر هذه العلاقة من خلال حسن النية مع الله ومع الناس فيترتب من خلالهما العلاقة الدنيوية المنضبطة وفق الرؤية الإسلامية الصحيحة فيكون ناجحاً موفقاً في المهمة المناطة به.

3- إيثار الطاعة والتخلص من الشرك:

الخصيصة الأخرى التي ينبغي أن تتوافر في كل من يتصدى لمواقع الإدارة والقيادة هو الإيثار.. الإيثار: (إيثار.. اسم والمصدر آثر بمعنى تفضيل المرء غيره على نفسه)⁽¹⁾، والإيثار أن يقدم غيره على نفسه في النفع له، والدفع عنه، وهو النهاية في الأخوة)⁽²⁾.

من المعنيين اللغوي والاصطلاحي نستنتج أن قضية تقديم طاعة الله تعالى على ما سواه يحتاج إليها المتصدي لقيادة الأمة فمن يتصدى للخدمة عليه ان يستذكر هذه الحالة وتكون لديه قناعة في نفسه بها.

عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «قال الله تعالى: وعزتي وجلالي، وعظمتي وقدرتي، وعلائي وارتفاع مكاني، لا يؤثر عبد هواي على هواه، إلا جعلت غناه في نفسه، وكفيتهم همهم، وكففت عليه ضيعته، وضمنت السماوات والأرض رزقه»⁽³⁾.

ص: 176

1- المعجم الوسيط: النجار ج1، ص11

2- التعريفات: للجرجاني: ج1، ص78

3- المحاسن: أحمد بن محمد بن خالد البرقي الجزء: 1، ص28

إن إثارة الطاعة أي تقديم طاعة الله على طاعة الآخرين لا يقصد منها تقديم الطاعة في موارد الوجوب المنصوص عليه الصلاة والصوم، فالمسألة ليست محصورة بهذه الدائرة وهذا الإطار وإنما هي في إطار أوسع.

ولقد كان أمير المؤمنين (عليه السلام): يقول أن كل حركة وسكنة وقول وفعل وأداء وموقف وسلوك يريد أن يأتي به الإنسان يجب أن يخضع للموازن والأطر الشرعية وأن يستحضر رضا الله سبحانه وتعالى في كل شيء، وفي مثل هذه الحالة يكون الإنسان إلهياً ورسالياً يعيش الأمل والثقة ويستشعر القوة لارتباطه بالقوة المطلقة.

نجد هذه الصورة واضحة في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) لمحمد بن أبي بكر عندما ولاه مصر (واعلم يا محمد بن أبي بكر أنني قد وليتك أعظم أجنادي في نفسي أهل مصر).

المراد بالأجناد هنا الأقاليم والأطراف، وهذه شهادة منه (عليه السلام) بحق المصريين ويدل كلام الإمام أنه كان يحب أهل مصر، ولعل السبب هذا الحب ثورة المصريين على عاملهم الطاغية عبد الله بن أبي السرح الذي أفسد بين المصريين والخليفة الثالث عثمان (فأنت محقوق أن تخالف على نفسك). المراد بالنفس هنا الهوى، والمعنى أنك مطالب أو جدير بك أن تقمع هواك، أو لا تستجيب لدعوته على الأقل. وبكلام أعم أن في كل واحد منّا عدوا لا يراه يوسوس ويلبس، وعلينا أن نزرجه ولا نستمع إليه وإلا سيطر وتحكم.

(وأن تنافح عن دينك) أي أن تحرص وتحمي دينك ولا تدع الشياطين الإنس والجن عليك سبيلاً (ولو لم يكن إلا ساعة من الدهر) بحيث لا تبقى بعدها ثانية، فاغتنم هذه الساعة في إصلاح دينك ونفسك.

(ولا تسخط الله برضا أحد من خلقه إلخ).. لأنه لا شيء يغني عن مرضاته تعالى، وهل يبيع المؤمن بالله دينه للشيطان بثمان؟ أجل، لقد فعلها علانية الكثير من المنتسبين إلى الأديان والمذاهب في هذا الزمان، ثم قال عليه السلام: (وليس من الله خلف في غيره) أي أن الله إذا غضب عليك لم يكن هناك شيء يعوض غضبه فغضب الناس يعوض برضا الله ولكن غضب الله لا يعوض برضا الناس: إذ لا فائدة برضا الناس عنك والله سبحانه غاضب عليك(1).

4- أقسام الشرك .

وينقسم الشرك على قسمين:

1- الشرك الجلي.

2- الشرك الخفي.

يعرف الشرك الجلي: بأنه اتخاذ آله غير الله تعالى، فمن يعبد آلهة غير الله أو آلهة مع الله يكون مشركا بالله سبحانه وتعالى.

قال تعالى «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا»(2) «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا»(3).

والشرك الخفي: هو عملية إدخال قضايا لا يراد منها القربة لله تعالى بل يراد منها السمعة والشهرة (الرياء).

ص: 178

1- في ظلال نهج البلاغة : محمد جواد مغنية، ج3، ص461

2- النساء: 116

3- النساء: 48

عن أبي عبد الله عليه السلام: كلُّ رياءٍ شرك، إنَّه من عمل للنَّاسِ كان ثوابه على النَّاسِ، ومن عمل لله، كان ثوابه على الله (1).

وقال (عليه السلام): الرياء مع المنافق في داره عبادة، ومع المؤمن شرك (2).

وعن الإمام الباقر عليه السلام: كان فيما وعظ به لقمان ابنه أن قال: يا بُنيَّ، لا تُرِ النَّاسِ أنَّكَ تخشى الله وقلبك فاجر (3).

إذا الشرك الخفي يتقاطع مع المراتب العالية لإيثار الطاعة وتقديم طاعة الله تبارك وتعالى على طاعة الآخرين.

لذا نقرأ هذا المقطع في دعاء كميل بن زياد (رضوان الله عليه) (أَسْأَلُكَ بِحَقِّكَ وَقُدْسِكَ وَأَعْظَمِ صِدْقَاتِكَ وَ أَسْمَائِكَ، أَنْ تَجْعَلَ أَوْقَاتِي فِي (مِنَ) اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِذِكْرِكَ مَعْمُورَةً، وَبِخِدْمَتِكَ مَوْصُولَةً) (4).

يجب ان يكون ذكر الله حاضراً في كل آن، والسؤال كيف يمكن للإنسان أن يوجد هذه الحالة في نفسه؟ ثم يواصل الإمام الدعاء: وَأَعْمَالِي عِنْدَكَ مَقْبُولَةٌ، حَتَّى تَكُونَ أَعْمَالِي وَأَوْزَادِي (وَأَزَادَتِي) كُلُّهَا وَزِدًا وَاحِدًا، وَحَالِي فِي خِدْمَتِكَ سَرْمَدًا.

فيحصل من عبارات هذين المقطعين من الدعاء: هو حينما تكون الخلفية خلفية واحدة وحينما يكون ذكر الله ومرضاته هما الأساس يكون ذكر الله حاضراً في القلب.

ص: 179

1- اصول الكافي : ج2 كتاب الايمان والكفر، باب الرياء: ص 293

2- الهداية: الشيخ الصدوق، ص 53

3- بحار الانوار: ج13: ص 418، ح 11

4- مصباح المتهجد: الشيخ الطوسي، ص 849

وهذا في الحقيقة هو جوهر ما يشير اليه الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) في إصلاح علاقة الإنسان مع ربه (مَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ أَصْلَحَ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، وَمَنْ أَصْلَحَ أَمْرَ آخِرَتِهِ أَصْلَحَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَاعِظٌ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ) (1).

إذا على القادة والحكام مسؤوليات خطيرة في ادارة نظام الحكم وتوجيه الأمة وتحقيق اهدافها، التي منها يثار طاعة الله على كل شيء، والحكم بالحق والعدل بين الناس، إلى غير ذلك من المسؤوليات الجسام.

5- إتباع الأوامر الالهية.

المعيار الأخلاقي الآخر الذي لابد أن يتسم به القائد والذي يعد من مستلزمات إصلاح العلاقة بين الإنسان وربه هو ما أشار اليه أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله (وَاتَّبِعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ) (2)، أي الرجوع إلى القرآن الكريم الذي هو المرجع في تحديد الاطار الصحيح في العلاقات الانسانية، وهو الذي يحدد طبيعة العلاقة ونظمها في الإطار العام للمنظومة القيادية.

وإذا ما تجاوزنا الأطر التي يشير اليها القرآن الكريم و تساهلنا و تغافلنا عن السياقات التي يحددها القرآن الكريم، فحينئذ سنبتعد ونشذ عن الطريق فالقرآن هو الذي يحدد الواجبات في هذه العلاقة ويحدد الآداب وأخلاقية العلاقة في المنظومة القيادية وعلينا أن نتمسك بهذه الواجبات والآداب والأخلاق. «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِيَدِي لِتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُسِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا» (3)، فالطريق الاقوم والسليم هو التمسك بالقران الكريم والعترة الطاهرة،

ص: 180

1- نهج البلاغة: خطب الإمام علي، ج4، ص30

2- نهج البلاغة: خطب الامام علي، ج3، ص38، رسالة53

3- الاسراء: 9

وهذا ما نص عليه حديث الثقلين:

(إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي)(1).

وعنه (عليه السلام): لا يسعد أحد إلا بإقامة حدود الله، ولا يشقى أحد إلا بإضاعته(2).

إذا السعادة القلبية الحقيقية التي يروم الإنسان أن يحصل عليها هي مختزلة في ذكر الله «الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ»(3).

المسألة الرابعة: الانتفاع من سنن الماضين

من الأمور الأخلاقية التي يجب توافرها بالشخصية الإدارية القيادية هي الانتفاع من سنن الماضين، كما أشار إليها الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، والمجتمع اليوم بأمس الحاجة لاستحضارها في المنظومة الإدارية القيادية لكل المتصددين لإدارة الحكم.

والإمام (عليه السلام) يذكر بوثيقته التاريخية لمالك الأشتر (رضوان الله عليه) لابد من الرجوع إلى السنن الإلهية والى القواعد التي تتحكم بمجرى التاريخ، فإنه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره وإعزاز من أعزه(4).

ص: 181

1- بدائع الكلام في تفسير آيات الأحكام : محمد باقر الملكي ص 104

2- غرر الحكم: 364

3- الرعد 28

4- نهج البلاغة خطب الامام علي، ج 3، ص 83، رسالة 53

يريد (عليه السلام) أن يقول بأن هذا العالم يسير وفق نظام الأسباب والمسببات أي لا توجد مواقف انفعالية أو عشوائية من الله تعالى، فالعالم محكوم بنظام دقيق ومنتظم يجري وفق الحكمة الإلهية.

هناك قواعد وسنن إلهية تنظم مجرى الحياة ولكن هذه السنن والقواعد ثابتة لا تتغير بتغير الأزمنة وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم «... فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا» (1).

والإمام (عليه السلام) يريد أن يضع لنا دستوراً مهماً لا يمكن تجاوزه وهو أن الإنسان إذا أراد أن يكون ناجحاً في المنظومة القيادية عليه أن يدخل من خلال الأسباب الطبيعية وعليه أن يلتزم بالقواعد والسنن التي تتحكم بمجرى الحياة .

ويعبر عن النجاح في الروايات والنصوص بالتوفيق يقول عليه السلام (التوفيق والخذلان يتجاذبان النفس) (2) التوفيق والخذلان عاملان أساسيان في حياة الانسان، فإيهما غلب كانت النفس في حيزه فاذا غلب النجاح والالتزام بالضوابط والمعايير الخلقية انحازت النفس إلى التوفيق فيكون الإنسان موفقاً وإذا انحازت إلى الخذلان يكون عدم التوفيق وهو الفشل.

يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) «ومن التوفيق حفظ التجربة» (3) ، أي أن الإنسان يحفظ التجارب ويعيها ويستوعب الماضي والتاريخ، ليكون قادراً على تحقيق التوفيق لنفسه ومنظومته القيادية وجماعته، فالتوفيق يحتاج إلى استذكار التجارب.

ص: 182

1- فاطر، 43

2- غرر الحكم: 26، ميزان الحكمة: الريشهري، ج4، ص3606

3- نهج البلاغة: خطب الامام علي، ج4، ص48، الحكمة211

وعن علي (عليه السلام): أنه كتب إلى رفاة قاضية علي الأهواز:

«اعلم يا رفاة، إن هذه الإمارة أمانة، فمن جعلها خيانة فعليه لعنة الله إلى يوم القيامة، ومن استعمل خائناً فإنّ محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) بريء منه في الدنيا والآخرة» (1).

يتضح من هذا الحديث أن الإمام (عليه السلام) كان شديداً بحق من لا يلتزم بالضوابط (ومن استعمل خائناً) أي عدم وضع الرجل الكفوء في المكان المناسب فهي خيانة بحق الأمة فيتبرء منه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن تبرأ منه النبي تبرأ منه الله عز وجل.

يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في المواصفات المطلوبة لوضع الرجل المناسب في المكان المناسب وفقاً للنظرية الإسلامية في القيادة والإدارة. (أيها الناس من استصح الله وفق، ومن اتخذ قوله دليلاً هدياً للتي هي أقوم) (2).

من أراد التوفيق والنجاح فليطلب النصيحة من الله سبحانه وتعالى ويعمل بالضوابط والمعايير التي وضعها الله تعالى. ويقول: (عليه السلام) (من استصح الله حاز التوفيق وقد تكفل بنصر من نصره).

أي من طلب النصيحة من الله سبحانه وتعالى والتزم بما أمره فإنه سبحانه وتعالى يمنحه التوفيق وهذا من الدروس العظيمة التي نأخذها من علي (عليه السلام) في المنظومة القيادية وهو الالتزام بالسنن والقواعد والضوابط في معالجة الأمور.

ص: 183

1- دعائم الإسلام 531/2، كتاب آداب القضاة، الحديث 1890. وينظر: دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامي: الشيخ المنتظري، ج2، ص123

2- نهج البلاغة: خطب الإمام علي، ج2، ص32، الخطبة 127

فِي تَحْصِيلِ: إِنَّ إِصْلَاحَ الْعِلَاقَةِ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَرَبِّهِ تَسْتَوْجِبُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ الْخَمْسَةَ: تَقْوَى اللَّهِ وَتَقْدِيمَ طَاعَتِهِ عَلَى الْآخَرِينَ، وَالرُّجُوعَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ عِزِّ وَجَلِّ وَاتِّبَاعَ مَا وَرَدَ فِيهِ مِنْ تَعْلِيمَاتٍ تَنْظِمُ الْعِلَاقَةَ بَيْنَ النَّاسِ وَالْإِتِّفَاعَ بِسُنَنِ الْمَاضِينَ.

ص: 184

إن مسألة الحكم من المسائل والقضايا المركزية ومن أولويات كل رسالة ودعوة تريد إقامة مجتمع صالح لأنه من الواضح لا يمكن إقامة هذا المجتمع مع عدم وجود نظام والدولة التي تديره ومن هنا يصبح الحكم ذا أهمية خاصة في مفهوم كل رسالة وهو يمثل البعد الأساسي في النظرية الإسلامية، فيكون الإسلام ديناً ودولة منظماً للعلاقات الاجتماعية الإنسانية ويمثل المضمون الكامل للحكم (الخلافة الإنسانية في الأرض) كما نشير إليه لاحقاً إن شاء الله تعالى ومن هنا نتعرف أولاً على مفهوم النظام والحكم في اللغة والاصطلاح.

ص: 187

المبحث الأول مفهوم نظام الحكم

المسألة الأولى: مفهوم نظام الحكم في اللغة والاصطلاح.

1- مفهوم الحكم لغة.

الحَكَم بفتح الحاء: الله تعالى، ومن أسماء الله: الحكم والحكيم، و هما بمعنى الحاكم، فهو فعيل بمعنى فاعل أو هو الذي يحكم الأشياء بأفضل العلوم، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها حكيم، والمختار في معنى هذا الاصطلاح قوله سبحانه وتعالى: «الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ» (1) (2)

وقريباً من هذا المعنى (والحكم بالشيء أن تقضي بأنه كذا، أو ليس بكذا، سواء ألزمت ذلك غيرك أو لم تلزمه،.. ويقال حاكم لمن يحكم بين الناس، ويقال الحَكَمُ للواحد والجمع و تحاكمنا إلى الحاكم) (3).

أنشد الجوهري وغيره لجرير:

أبني حنيفة أحكموا سفهاكم *** إني أخاف عليكم أن أغضبا

وسمي القاضي حاكماً، لمنعه الخصوم من التظالم) (4)

ص: 189

1- هود: 1

2- مجمع البحرين للطريحي: ج 6 ص 34، لسان العرب بن منظور ج 12 ص 140

3- المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص 127

4- الصحاح: للجوهري: ج 5 ص 1902؛ الفروق اللغوية أبو هلال العسكري، ص 431

وَعُرِفَ الْحُكْمُ بِأَنَّهُ الْإِمْتِنَاعُ وَحُكْمَتُ الشَّيْءِ أَيُّ مَنْعَتِهِ فَصَلَّتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْآخِرِ بِالْحِكْمَةِ وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: «ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ»(1)

2- مفهوم الحكم في الاصطلاح.

الحكم في الاصطلاح له معانٍ عديدة و منها:

تولي ممارسة السلطة السياسية والقضاء في الخصومات ويكون الحاكم منفذا للحكم(2) (ومن معانيه العلم والفقہ بالعدل)(3).

(والحكم في النظام السياسي الإسلامي يقوم على منظومة متكاملة من المبادئ والأصول التي جاءت بها الرسالة، كما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، التي تضمنت علاقة الراعي بالرعية للتوصل إلى إدارة شؤون الأمة على الوجه الأكمل)(4).

والحكم عبارة (عن نتاج طبيعي تكويني للحالة الإنسانية باتجاه تحقيق المثل والقيم الإلهية في إطار الشريعة الإسلامية وان يمارسه الإنسان الصالح)(5)

أقول: من هذه التعريفات نستنتج أن الحكم يكون حلقة وصل وأداة ارتباط بين الأرض والسماء وبين الإنسان والله سبحانه وتعالى. وهي:

ص: 190

1- الممتحنة: 10

2- مناهج الأنظمة الإسلامية من رحاب أهل البيت نظام الحكم والإدارة دراسة مقارنة: باقر شريف القرشي، ص 166

3- المصدر نفسه، ص 166

4- منهاج الإسلام في الحكم: أسد محمد، ص 117

5- الحكم الإسلامي بين النظرية والتطبيق: محمد باقر الحكيم: ص 152

(ظاهرة إلهية تمثل الخلافة لله على الأرض وأراد الله لها أن تقوم بدورها الخاص في حياة الإنسان في تحقيق العدل وهداية الإنسان إلى الكمالات الإلهية وان احد الأسباب والأهداف الأساسية لبعثة الأنبياء والرسل هو إقامة الحكم بين الناس.

وأشار القرآن الكريم إلى ذلك في قضية داود (عليه السلام) «يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ» (1)

فيتحصل: أن الطاعة للحاكم الاسلامي من اولويات القضية الايمانية في السلوك الإنساني. ومنه نفهم قول الامام علي (عليه السلام): «إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الطَّاعَةَ غَنِيمَةً الْأَكْيَاسِ عِنْدَ تَقْرِيبِ الْعَجْزَةِ» (2).

3- مفهوم النظام في اللغة:

النَّظْم بالكسر: هو الترتيب والاتساق والتأليف، وأصله: الخيط الذي يُنظَّم فيه اللؤلؤ؛ وَنظَّمْتُ الأمر فانتظمت؛ أي: أقمته فاستقام، وهو على نظام واحد؛ أي: نهج غير مُختلف فيه، وجمع النَّظْم: نُظْم وأنظمة وأناظيم (3).

وفيه: نظام الأمر: قوامه وعماده (4).

ويقال (في النظم) نظمت الخرز منبأ بضرب: جمعته فيسلكوه والنظام ومنها تأسس الشيء ونظامه ونظمت الأمر فانتظمتا أقمته فاستقام. وهو على نظام واحد (5)

ص: 191

1- سورة ص: 26

2- نهج البلاغة: خطب الامام علي، ج 4 ص 87 ح 133

3- لسان العرب: لابن منظور، ج 3 ص 667، مادة (نظم)؛ مصباح المنير في غريب شرح الكبير، ج 9 ص 363

4- المعجم الوسيط، ج 2 ص 786

5- مجمع البحرين: فخر الدين الطريحي: ج 7 ص 319

وقيل: الأصل اللغوي لكلمة (نظام): معناه: نَظَمَ الشَّيْءَ يَنْظِمُهُ وَنَظْمُهُ يَنْظِمُهُ نِظَامًا وَنِظْمًا: إِيْ أَلْفَهُ وَجَمَعَهُ فِي سَيْلِكٍ وَاحِدٍ فَانْتَضَمَ وَتَنَظَّمَ) انتهى أقول: والجامع بين الاقوال أن النظام لغة (هو التنظيم والاستقامة ضمن حدود الشيء و اجزاءه المحيطة به).

4- مفهوم النظام في الاصطلاح.

من معاني النظام هو (مجموعة الأحكام التي اصطلح شعب ما على أنها واجبة الاحترام و واجبة التنفيذ؛ لتنظيم الحياة المُشتركة في هذا الشعب)(1).

ومنها انه (مجموعة الأحكام والقواعد والقوانين المتناسقة التي اصطلح عليها شعب ما لتنفيذها لتنظيم حياتهم)(2).

إذا في كلا التعريفين هناك دلالة على أن النظام هو تنظيم الحياة الإنسانية وفق سياقات العقل والمنطق.

المسألة الثانية: مفهوم نظام الحكم في القرآن الكريم والروايات الشريفة.

أولاً: مفهوم نظام الحكم في القرآن الكريم.

قد وردت الكثير من الآيات التي تصرح بوجود نظام الحكم في المجتمعات البشرية، وفق العوامل الآتية:

ص: 192

1- نظام الحكم في الإسلام: محمد عبد الله العربي: ص 21

2- المصدر نفسه، ص 22

ما ورد في سورة البقرة قوله تعالى:

«أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ائْتِنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ» (1).

هذه الآية تشير إلى مسألة الجهاد ووجود الحاكم وكيفية تطهير الأرض من دنس المعتدي و تحرير الأسرى، والقرآن يبين معنى الحكومة والحكم من خلال التعبير (بالمملك) والتي تعني الحاكم على جميع الشؤون وان كانت اجواء الآية تشير إلى وجود ساحة قتال مع عدو خارجي إلا أن الملك في ذلك الوقت كان تملك صلاحية قيادة المجتمع.

ومن هذه الآيات قوله تعالى: «فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ» (2).

هذا المقطع من الآية يشير إلى خبر اندحار جيش جالوت في مقابل بني اسرائيل الا انه لولا وجود الحكم والهيمنة بوجه الطغاة والخارجين على القانون الامتلات الأرض بالفساد وعلى هذا فإن نظام الحكم العادل هبة من الله للحد من الفساد الديني والاجتماعي والسياسي (3).

ص: 193

1- البقرة: 246

2- البقرة: 251

3- نفحات القران: ناصر مكارم الشيرازي، ج10، ص12

«الَّذِينَ إِن مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ»(1).

إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المعنى العام لا يتحقق إلا عن طريق إقامة نظام الحكم، وهذه اشارة تصف فيها المؤمنين الحقيقيين اذا تمكنوا وامتلكوا القدرة للوصول إلى الحكم فإنهم يقيمون الفرائض الالهية الكبيرة.

3- عامل السلطنة ومواجهة الصعاب:

قوله تعالى: «وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنَّ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ * وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ»(2).

تبين الآيات كيفية إجراء الاعمال الضرورية لمواجهة تلك السنين الصعبة وطرق تحضير و تخزين المواد الغذائية وطريقة الاستهلاك، من خلال إدارة يوسف عليه السلام جنبا إلى جنب مع ملك مصر.

ص: 194

1- الحج: 41

2- يوسف: 43-56

«قَالَ اللَّهُمَّ مَا لِكَ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (1).

إن الله تعالى ينفرد بالملك (الحكم) لنفسه.

فتحصل: إن كل الآيات التي ذكرناها لها دلالة واضحة على ضرورة وجود الحكم والنظام في المجتمع الإنساني.

«وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ» (2) «وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ» (3) «وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ» (4).

يشير القرآن الكريم إلى دور الحكم في هداية الناس وإصلاحهم، أو دور الحكم في الضلالة والانحراف والفساد وبعبارة أخرى إن هناك أئمة هدى متمثلين بالأنبياء والأئمة عليهم السلام والصالحين على مدى التاريخ يعملون على تحقيق العدل والخير للبشرية وفي قبال هؤلاء هناك مجرمين مستكبرين طغاة وشياطين يمثلون أئمة الفساد والانحراف والضلالة.

1- سورة آل عمران: 26

2- سورة الأنبياء: 73

3- سورة السجدة: 24

4- القصص: 41

«يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ» (1).

«وَأَن احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ» (2).

ان عامل القيام بالحكم لابد أن يجسد منطق الخلافة الالهية من العدل والرحمة والتكامل الروحي والاجتماعي.

ثانيا: مفهوم نظام الحكم في الأحاديث والروايات الشريفة.

تعد مسألة الحكم ذات أهمية كبيرة في الروايات الاسلامية وتبين هذه الروايات أنه لا يمكن للناس العيش دون وجود (حكم) وإن كان ظالما غير عادل أفضل من الفوضى في غياب الحكم. وإن تأسيس (الحكم) أمر لازم بحسب ضرورة العقل والأحكام الإسلامية ونهج الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين (عليه السلام) للأمور الآتية:

1- العدل بين الناس.

وبحسب مفاد كثير من الروايات. وكنموذج على ذلك أذكر هذه الرواية المنقولة عن الإمام الرضا (عليه السلام):

ص: 196

1- سورة البقرة: 213

2- سورة المائدة: 49

روى عبد الواحد بن محمد بن عبد ويس النيسابوري العطار، قال: حدثني أبو الحسن علي بن محمد بن قُتَيْبَةَ النيسابوري باب ما كتبه الرضا (عليه السلام) للمأمون في محض الإسلام وشرائع الدين قال: قال أبو محمد الفضل بن شاذان النيسابوري: أن سأل سائل فقال: أخبرني هل يجوز ان يكلف الحكيم... فإن قال قائل: ولم جعل أولى الأمر وأمر بطاعتهم؟ قيل: لعل كثيرة.

منها: أن الخلق لما وَقَفُوا على حد محدود، وأمروا أن لا يتعدوا تلك الحدود لما فيه من فسادهم لم يكن يثبت ذلك ولا يقوم إلا بأن يجعل عليهم فيها أميناً يأخذهم بالوقف عندما أبيض لهم، ويمنعهم من التعدي على ما حَظَرَ عليهم، لأنه لو لم يكن ذلك لكان أحدٌ لا يترك لذته ومنفعته لفساد غيره. فَجَعَلَ عليهم قِيَمٌ يمنعهم من الفساد، وقيم فيهم الحدود والأحكام.

ومنها: أننا لا نجد فرقة من الفرق ولا ملة من الملل بقوا وعاشوا إلا بقيم ورئيس لما لا بد لهم منه في أمر الدين والدنيا. فلم يَجُزْ في حكمة الحكيم أن يترك الخلق مما يعلم انه لا بد لهم منه، ولا- قوام لهم إلا- به، فيقاتلون به عدوهم، ويقسمون به فيئهم، وقيمون به جمعهم، وجماعتهم، ويؤمنع ظالمهم من مظلومهم.

ومنها: أنه لو لم يجعل لهم إماماً قِيَمًا أميناً حافظاً مستودعاً لدرست الملة، وذهب الدين وغيَّرت السنن والأحكام، ولزاد فيه المبتدعون، ونقص منه الملحدون، وشبَّهوا ذلك على المسلمين. إذ قد وجدنا الخلق منقوصين محتاجين غير كاملين مع اختلافهم واختلاف أهوائهم وتشئت حالاتهم، فلو لم يجعل قِيَمًا حافظاً لما جاء به الرسول الأول، لفسدوا على نحو ما بيناه وغيَّرت الشرائع والسنن والأحكام والأيمان، وكان في ذلك فساد الخلق أجمعين). (1)

ص: 197

2- تنظيم أمور الناس والمساواة بينهما.

ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام جواباً على ادعاء الخوارج حين قالوا: (لا حكم إلا الله قال (عليه السلام): «كَلِمَةٌ حَقٌّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ! نَعَمْ إِنَّهُ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ، وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: (لَا إِمْرَةَ، فَإِنَّهُ لَا بَدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ، وَيَسَّ تَمْتِعَ فِيهَا الْكَافِرُ، وَيُبَلِّغُ اللَّهُ فِيهَا الْأَجَلَ، وَيَجْمَعُ بِهِ الْفِيءَ، وَيَقَاتِلُ بِهِ الْعَدُوَّ، وَتَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ، وَيُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ، حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ، وَيُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِرٍ».

وفي رواية أخرى أنه (عليه السلام) لما سمع تحكيمهم قال: «حُكْمَ اللَّهِ أَنْتَظِرُ فِيكُمْ . وَقَالَ: أَمَّا الْأَمْرَةُ الْبَرَّةُ فَيَعْمَلُ فِيهَا التَّقِيُّ، وَأَمَّا الْأَمْرَةُ الْفَاجِرَةُ فَيَمْتَعُ فِيهَا الشَّقِيُّ، إِلَى أَنْ تَنْقَطِعَ مُدَّتُهُ، وَتُدْرِكَ مَبِيَّتُهُ» (1).

يتضح من كلام الإمام (عليه السلام) إن هناك أسباباً وعللاً عديدة تستدعي لزوم تشكيل الحكم وتولي ولي الأمر.

3- إقامة الحدود المعطلة

وما ورد عن مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) يبين سبب طلبه الحكم ويصف الامام الحق «اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ، وَلَا اتِّمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الْحَطَامِ، وَلَكِنْ لِنَرْدِ الْمُعَالِمِ مِنْ دِينِكَ، وَنُظْهِرِ الْأَصْدَالَحَ فِي بِلَادِكَ، فَيَأْمَنَ الْمُظْلَمُونَ مِنْ عِبَادِكَ، وَتُقَامَ الْمُعْطَلَةُ مِنْ حُدُودِكَ» (2).

ص: 198

1- نهج البلاغة خطب الامام علي، ج 1، ص 100

2- نهج البلاغة خطب الامام علي، ج 1، ص 109، خ 129

4- رد الأموال العامة المغصوبة المتعلقة بالمجتمع إلى أهلها.

فيما رد (عليه السلام) من قطائع عثمان قال: «وَاللَّهِ لَوْ وَجَدْتُه قَدْ تَزَوَّجَ بِهِ النَّسَاءَ، وَمَلَكَ بِهِ الْأَمْوَاءَ، لَرَدَدْتُه؛ فَإِنَّ فِي الْعَدْلِ سَعَةً، وَمَنْ صَنَّقَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ، فَالْجُورُ عَلَيْهِ أَضْيَقُ» (1).

5- التوجيه والتعليم الأمة.

عن علي (عليه السلام) قال (فإن الرعية الصالحة تنجو بالإمام العادل، ألا وإن الرعية الفاجرة تهلك بالإمام الفاجر) (2) وعن الإمام الصادق (عليه السلام) (لا يصلح الناس إلا بالإمام ولا تصلح الأرض إلا بذلك) (3) وعن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال (بني الاسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ولم ينادي بشيء كما نودي بالولاية) (4).

عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «سلطان ظلوم وسلطان ظلوم خير من فتنة تدوم» (5).

يتحصل: من جميع الروايات الشريفة ضرورة تحقيق وإيجاد الحكم وفي حالة عدم القدرة على إيجاد الحكم العادل فلا أقل من اقامة حكم وان كان ظالماً و جائراً وذلك في سبيل الاستقراء والامن للبلد وحدوده ومنع العدوان عليه وفي غير ذلك تسود حالة من التدهور حيث ستراق دماء الكثير من الأبرياء دون أي وازع مما يوفر للأعداء النفوذ إلى داخل البلد والهيمنة عليه.

ص: 199

1- نهج البلاغة خطب الامام علي ج 1 ص 46

2- بحار الأنوار: ج 8، ص 472

3- بحار الانوار: ج 23، ص 22

4- وسائل الشيعة: الحر العاملي: ج 1، ص 10، حديث 10

5- غرر الحكم ودرر الكلم، ج 1، ص 437

المبحث الثاني ضرورة وجود الحاكم ووظائفه الرئيسية في الدولة

المسألة الأولى: ضرورة الحكم ووجود الحاكم.

تعد الحاجة الإنسانية الثابتة العامل الأساسي لضرورة وجود قانون وحكومة، وهذه الحاجة تنشأ بملاحظة طبيعة الإنسان التي تدعوه ليعيش مع أخيه الإنسان فيفيده ويستفيد منه.

ولكن الإنسان ونتيجة ميوله وغرائزه من حب الذات والمال الجاه والحرية المطلقة لجميع ما يهواه سوف يقع في الاختلاف والتعارض بين ما يريد هو وما يريد الآخرون، ولا بد لأجل حل هذا التعارض والاختلاف من وجود مرجعية يتم الاحتكام إليها والخضوع لها وليست هذه المرجعية سوى (القانون) وأهم ما ينبغي أن يحمله هذا القانون هو العدالة لجميع الناس عبر إعطاء كل ذي حق حقه ورعاية العدل الاجتماعي.

وهناك العديد من الروايات التي تتحدث عن ضرورة وجود الحاكم.

ففي رواية نهج البلاغة أن علياً عليه السلام لما سمع مقولة الخوارج: لا حكم إلا الله قال: كلمة حق يراد الباطل، نعم إنه لا حكم إلا الله ولكن هؤلاء يقولون لا إمرة إلا الله وأنه لا بد للناس من أمير بر أو فاجر، يعمل في إمرته المؤمن ويستمتع فيها الكافر ويبلغ الله فيها الأجل ويجمع به الفيء، ويقاتل به العدو وتأمين به السبل ويؤخذ به للضعيف من القوي حتى يستريح بر ويستراح من فاجر(1).

ص: 201

وفي رواية الفضل بن شاذان التي مر ذكرها آنفا عن الإمام الرضا عليه السلام لما سأله: فلم جعل أولي الأمر وأمر بطاعتهم؟ قال (عليه السلام) إن الخلق لما وقفوا على حد محدود وأمر أن لا يتعدوا ذلك الحد لما فيه من فسادهم لم يكن يثبت ذلك ولا يقوم إلا بأن يجعل عليهم فيه أميناً يمنعهم من التعدي والدخول فيما حظر عليهم، لأنه لو لم يكن ذلك كذلك لكان أحد لا يترك لذته و منفعته لفساد غيره(1)

ومن كلام له (عليه السلام) في ضرورة وجود الحاكم ووظيفة في الدولة كتاب (عليه السلام) كتبه للأشتر النخعي لما ولاه على مصر وأعمالها حين اضطرب أمر أميرها محمد بن أبي بكر (رضوان الله عليه) «هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ الْأَشْتَرِ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ حِينَ وَّلَّاهُ مِصْرَ جَبَايَةَ خَرَجِهَا وَجِهَادَ عَدُوِّهَا وَاسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا...»(2)

ومن كلام له (عليه السلام) موضحا فيه مسؤوليات الحاكم «أنه ليس على الإمام إلا ما حمل من أمر ربه الابلاغ في الموعظة والاجتهاد في النعيمة والاحياء للسنة وإقامة الحدود على مستحقها وإصدار السهمان على أهلها»(3).

ومن جملة الأمور والمهام التي من شأنها الحفاظ على الوحدة الاسلامية، والإنسانية أشار الإمام إلى أن من واجبات الحاكم أن يجمع امرهم، والقيام بالمهمات العسكرية والأمنية، اذ قال (عليه السلام): «يقاتل به العدو وتأمين به السبل ويؤخذ للضعيف من القوي». ويفسر (عليه السلام) بأن سبب عدم استجابته الدعوات الخروج في المعارك الصغيرة ضد جيش الشام بعد التحكيم (لا ينبغي لي

ص: 202

1- عيون اخبار الرضا: للصدوق: ج 1 107

2- نهج البلاغه، خطب الامام علي ج 3 ص 38 رسالة 53

3- نهج البلاغة، خطب الامام علي ج 1 خطبة 105

ان ادع الجند والمصر وبيت المال وجباية الأرض والقضاء بين المسلمين والنظر في حقوق المطالبين(1).

وهذا ما أشار إليه الإمام (عليه السلام) بقوله في بيان ضمان الحقوق للعباد.

«صوابُ الرأي بالدول: يُقبلُ بإقبالها، ويذهب بذهابها. (... و) إزالةُ الجبال أسهل من إزالةِ دولةٍ أقبلت، فاستعينوا بالله يورثها من يشاء. (... لكن) أشرفُ الملوك مَنْ لم يُخالطه البَطْر، ولم يحل عن الحق. (... و) أصحابُ السلطانِ في المَثَلِ كَقَوْمِ رَقُوعِ جَبَلٍ ثُمَّ سَقَطُوا مِنْهُ، فَأَقْرَبُهُمْ إِلَى الْهَلَكَةِ وَالتَّلَفِ أبعْدُهُمْ كان في المُرْتَقَى»(2).

المسألة الثانية: العلاقة بين الحاكم والأمة.

لابد من تحقق أمرين في المنظومة القيادية:

1- العلاقة القلبية بين الحاكم والرعية: وهو ان يستشعر المسؤول الرحمة والشفقة إزاء الرعية.

2- الحقوق المتبادلة والالتزام بالضوابط من قبل الطرفين.

فضلاً عن أن هناك ضوابط لا بد للرعية من الالتزام بها كذلك يوجب للمسؤول أن يحقق هذا الالتزام على نفسه أولاً.

فاذا تم إصلاح العلاقة القلبية ونظمت الحقوق المتبادلة ضمن الأطر والسياقات الصحيحة واستطاع المسؤول بقدراته أن يؤدي واجباته بحفظ المصلحة العامة بشكل سليم، فحينذاك ستشعر أن هناك علاقة رصينة بين الحاكم والرعية قائمة على المحبة والرحمة.

ص: 203

1- نهج البلاغة، خطبة 119

2- نهج البلاغة، خطبة 339

إذا المبدأ الأساسي الذي بنى عليه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حكمة هو مبدأ الترابط بين الحق والواجب، فالحاكم ليس سيداً على الناس لأن سيدهم هو الله تعالى فحسب والله وحده هو الاحد الصمد الذي ((لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ* «وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ») فأى حق للحاكم يقابله واجب عليه يساويه في الاهمية إذ ليس الحكم منحة من أحد بل هو موقع يحتله أكفأ الناس لكي يؤدي حقوق الناس بأفضل مما يمكن أن يؤديه غيره(1).

(أذ تشكل دراسة العلاقة بين الحاكم والامة تصورا أصيلا للعلاقة من وجهة نظر إسلامية وتصورا لمفتاح وسر النجاح والتوفيق في جميع مجالات الحياة للمجتمع لأن الكيان الاسلامي يعتمد في وجوده وقوته وتطوره بعد شخصية الحاكم ووعي الأمة و وحدتها على طبيعة العلاقة بين الحاكم والامة فإنهما عندما يكونان في موقع واحد وفي حركة متجانسة واحدة يمكن أن يتحقق للجميع هذا التطور والقوة بحيث إذا فقد أحدهما أو أصيبت حالة الانسجام أو التناقص بينهما بالخلل أو الضعف يفقد المجتمع الاسلامي وجوده وقوته أو قدرته على التطور ولا يتحقق ذلك إلا من خلال تشخيص العلاقة(2).

وقد اشار الامام علي (عليه السلام) إلى أهمية هذه العلاقة بقوله «أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا بِوَلَايَةِ أَمْرِكُمْ، وَلَكُمْ عَلَيَّ مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لِي عَلَيْكُمْ، فَالْحَقُّ أَوْسَعُ الْأَشْيَاءِ فِي التَّوَاصُفِ، وَأَصْدَقُهَا فِي التَّنَاصُفِ، لَا يَجْرِي لِأَحَدٍ إِلَّا جَرَى عَلَيْهِ، وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ إِلَّا جَرَى لَهُ، وَلَوْ كَانَ لِأَحَدٍ أَنْ يَجْرِيَ لَهُ وَلَا يَجْرِيَ عَلَيْهِ، لَكَانَ ذَلِكَ خَالِصًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ دُونَ خَلْقِهِ، لَقَدْ دَرَّتْهُ عَلَى عِبَادِهِ، وَلِعَدْلِهِ فِي كُلِّ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ، وَلِكِنَّهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَجَعَلَ

ص: 204

1- أخلاقيات الامام علي أمير المؤمنين: السيد هادي المدرسي، ص 230-231

2- الامام علي دراسة لجوانب من الشخصية والمنهج، السيد محمد باقر الحكيم، ص 225

جَزَاءَهُمْ عَلَيْهِ مُضَاعَفَةٌ الثَّوَابِ تَفَضُّلاً مِنْهُ، وَتَوْسَعاً بِمَا هُوَ مِنَ الْمُزِيدِ أَهْلُهُ ثُمَّ جَعَلَ سُبْحَانَهُ مِنْ حُقُوقِهِ حُقُوقاً افْتَرَضَ بِهَا لِبَعْضِ النَّاسِ عَلَى بَعْضٍ، فَجَعَلَهَا تَتَكَافَأُ فِي وُجُوهِهَا، وَيُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضاً، وَلَا يُسْتَوْجَبُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ.

وَأَعْظَمَ مَا افْتَرَضَ سُبْحَانَهُ مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ، وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِي، فَرِيضَةٌ فَرَضَ بِهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِكُلِّ عَلَى كُلِّ، فَجَعَلَهَا نِظَاماً لِأَلْفَتِهِمْ، وَعِزّاً لِدِينِهِمْ، فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصَلَاحِ الْوَلَاةِ، وَلَا تَصْلُحُ الْوَلَاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ.

فَإِذَا أَذَّتِ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّهُ، وَأَدَّى الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا، عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ، وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ، وَاعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ، وَجَرَتْ عَلَى أَذْلَالِهَا الشُّنَنُ، فَصَلَحَ بِذَلِكَ الزَّمَانُ، وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ، وَيَسَّتْ مَطَامِعُ الْأَعْدَاءِ.

وَإِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالْيَهَاءُ، أَوْ أَجْحَفَ الْوَالِي بَرَعِيَّتَهُ، اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ لِكَلِمَةٍ وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجُورِ، وَكَثُرَ الْإِدْعَالُ فِي الدِّينِ، وَتُرِكَتْ مَحَاجُّ الشُّنَنِ، فَعَمِلَ بِالْهَوَى، وَعَظَلَّتِ الْأَحْكَامُ، وَكَثُرَتْ عِلَلُ النَّفُوسِ، فَلَا يَسُّ تَوْحُّشٌ لِعَظِيمِ حَقِّ عَطَلٍ، وَلَا لِعَظِيمِ بَاطِلِ فِعْلٍ! فَهُنَالِكَ تَدُلُّ الْأَبْرَارُ، وَتَعَزُّ الْأَشْرَارُ، وَتَعْظُمُ تَبِعَاتُ اللَّهِ عِنْدَ الْعِبَادِ.

فَعَلَيْكُمْ بِالتَّصَاحُحِ فِي ذَلِكَ، وَحُسْنِ التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ، فَلَيْسَ أَحَدٌ وَإِنْ ائْتَدَّ عَلَى رِضَى اللَّهِ حِرْصُهُ، وَطَالَ فِي الْعَمَلِ اجْتِهَادُهُ بِبَالِغِ حَقِيقَةِ مَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَهْلُهُ مِنَ الطَّاعَةِ لَهُ، وَلَكِنْ مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ النَّصِيحَةَ بِمَبْلَغِ جُهْدِهِمْ، وَالتَّعَاوُنَ عَلَى إِقَامَةِ الْحَقِّ بَيْنَهُمْ. وَلَيْسَ امْرُؤٌ وَإِنْ عَظُمَتْ فِي الْحَقِّ مَنَزِلَتُهُ، وَتَقَدَّمَتْ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ بِفَوْقِ أَنْ يُعَانَ عَلَى مَا حَمَلَهُ اللَّهُ مِنْ حَقِّهِ. وَلَا امْرُؤٌ وَإِنْ صَدَّغَتْهُ النَّفُوسُ، وَاقْتَحَمَتْهُ الْعُيُونُ بِدُونِ أَنْ يُعِينَ عَلَى ذَلِكَ أَوْ يُعَانَ عَلَيْهِ» (1).

ص: 205

وقوله عليه السلام في ضمان الحقوق «أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا، وَلَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ:

فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ: فَالْتَّصِيحَةُ لَكُمْ، وَتَوْفِيرُ فَيْئِكُمْ عَلَيَّكُمْ، وَتَعْلِيمُكُمْ كَيْلًا تَجْهَلُوا، وَتَأْدِيبُكُمْ كَيْمَا تَعْلَمُوا.

وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ: فَالْوَفَاءُ بِالْبَيْعَةِ، وَالتَّصِيحَةُ فِي الْمَشْهَدِ وَالْمُغِيبِ، وَالْأَجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ، وَالطَّاعَةُ حِينَ أَمُرُكُمْ»(1).

المسألة الثالثة: واجبات الحاكم إزاء الأمة.

أن واجبات الحاكم اتجاه الأمة يمكن تصويرها من خلال الرؤية القرآنية (الآيات المباركة):

ما ورد في سورة الجمعة أن الله سبحانه وتعالى يوضح واجبات ثلاثة للحاكم إزاء الأمة «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ»(2).

1- إقامة الحجة على الأمة وتلاوة آيات الله عليها وإبلاغها الرسالة الإلهية والمسؤولية الملقاة على عاتقها أمام الله تعالى: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ»

2- تزكية الأمة وترتيبها والأشراف على مسيرتها والعمل على جعلها متطابقة مع الشريعة وإقامة العدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتحريرها من الاغلال والقيود والعبودية لغير الله تعالى: «وَيُزَكِّيهِمْ».

ص: 206

1- نهج البلاغة خطبة 34

2- سورة الجمعة: 2

3- تعليم الأمة الشريعة الاسلامية وهدايتها إلى العقائد والسنن التاريخية وبيان مواضع الاعتبار والانداز في مسيرتها: «وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ».

4- وهناك واجب رابع تعبئة طاقات الأمة وتوضيفها في الدفاع عن الاسلام والجهاد في سبيل الله عند تعرض بلاد المسلمين إلى العدوان «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ»(1).

وقوله تعالى في سورة التوبة: «وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ».

وقوله تعالى: «وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ»(2).

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»(3).

تبين هذه الآيات الثلاثة طبيعة العلاقات بين المؤمنين في المجتمع الاسلامي. وورد في قوله تعالى: «وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِيهِمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا».

ص: 207

1- سورة التحريم: 9. وكذلك ورد الخطاب القرآني نفسه في سورة التوبة، الآية الثالثة والسبعين

2- سورة التوبة 71- 72

3- سورة التحريم 8

وقوله تعالى: «فَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا»

«وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا»(1)

ومن الآيات ما ورد في سورة الأعراف «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَدْعُوهُمْ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»(2)

وقوله تعالى: «وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ»

«وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ»(3)

وهناك آيات كثيرة تحدث عن واجبات الحاكم الاسلامي نعزب عن ذكرها مخافة الاطالة، ومن النصوص الواردة في نهج البلاغة التي تبين بوضوح الواجبات الرئيسية للحاكم والتي كان الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) يسير عليها في السيرة العملية فضلا عن الرؤية النظرية ومن هذه النصوص.

ص: 208

1- الفرقان: 50-52

2- الأعراف: 157

3- النحل: 35-36

قوله عليه السلام: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا وَلَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ فَالْنَّصِيحَةُ لَكُمْ وَتَوْفِيرُ فَيْئِكُمْ عَلَيَّكُمْ وَتَعْلِيمُكُمْ كَيْلًا تَجْهَلُوا وَتَأْدِيبُكُمْ كَيْمَا تَعْلَمُوا وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ فَالْوَفَاءُ بِالْبَيْعَةِ وَالنَّصِيحَةُ فِي الْمُسْهَدِ وَالْمُغِيبِ وَالْإِجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ وَالطَّاعَةُ حِينَ أَمْرُكُمْ» (1).

«وَإِنَّهُ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ أَوْ فَاجِرٍ يَعْمَلُ فِي أَمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ وَيَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكَافِرُ وَيُبَلِّغُ اللَّهُ فِيهَا الْأَجَلَ وَيُجْمَعُ بِهِ الْفِيءُ وَيُقَاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ وَتَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ وَيُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ» (2).

«إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْإِمَامِ إِلَّا مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ: الْإِبْلَاحُ فِي الْمَوْعِظَةِ، وَالْإِجْتِهَادُ فِي النَّصِيحَةِ، وَالْإِحْيَاءُ لِلسُّنَّةِ، وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَى مُسْتَحَقِّيهَا، وَإِصْدَارُ الشُّهُمَانِ عَلَى أَهْلِهَا، فَبَادِرُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِ تَصْوِيحِ نَبْتِهِ، وَمَنْ قَبْلَ أَنْ تُسَّ غُلُوبًا بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ مُسْتَنَارِ الْعِلْمِ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ، وَأَنْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَنَاهَوْا عَنْهُ، فَإِنَّمَا أَمْرُكُمْ بِالنَّبِيِّ بَعْدَ التَّنَاهِي» (3).

«وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَمَلُ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَسِيرَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالْقِيَامُ بِحَقِّهِ وَالنَّعْسُ لِسُنَّتِهِ» (4).

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَدْ وَلَّيْتُ النُّعْمَانَ بْنَ عَجْلَانَ الرَّزْقِيَّ عَلَى الْبَحْرَيْنِ، وَنَزَعْتُ يَدَكَ، بِإِذْنِ لِكِّ، وَلَا تَثْرِبْ عَلَيَّ، فَلَقَدْ أَحْسَنَتْ الْوَلَايَةَ، وَأَدَّيْتَ الْأَمَانَةَ، فَأَقْبِلْ غَيْرَ ظَنِينٍ، وَلَا مَلُومٍ، وَلَا مَتَّهَمٍ، وَلَا مَاتُومٍ، فَقَدْ أَرَدْتُ الْمُسِيرَ إِلَى ظَلَمَةِ أَهْلِ الشَّامِ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ تَشْهَدَ مَعِي، فَإِنَّكَ مِمَّنْ اسْتَظْهَرُ بِهِ عَلَى جِهَادِ الْعَدُوِّ، وَإِقَامَةِ عَمُودِ الدِّينِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ» (5).

ص: 209

1- نهج البلاغة 34

2- نهج البلاغة 40

3- نهج البلاغة 105

4- نهج البلاغة 169

5- البلاغة رسالة 42

المبحث الثالث مبادئ العلاقة في إدارة الواجبات

تعد المبادئ التي اعتمدها الإمام علي عليه السلام في حكمه الحجر الأساس في تقويم العلاقة بين الحاكم والأمة وبين الأمة والحاكم، في أداء المسؤوليات والمهام الملقاة على عاتق الحاكم والأمة والتي تشكل الاطار العام لطبيعة هذه العلاقة.

المسألة الأولى: الحقوق المتبادلة.

كثيرا ما يختلف المصلحون الاجتماعيون - في تشخيص موطن الخلل القائم في مجتمع ما - بين اتهام الحاكم بالطغيان، او اتهام الرعية بالطاعة العمياء، ففريق منهم تجده يردد (كما تكونوا يولى عليكم)، ويلقي باللائمة على الرعية، على اساس أن الرعية لو ارتقت الى المستوى المطلوب، وعرفت قدراتها وامكانياتها، لما انفرد الحاكم بقرارات غير رشيدة. وفريق آخر تجده يردد (الناس على دين ملوكهم)، فيلقي باللائمة على الحاكم، على اساس ان الحاكم لو لم يطغ، وكان رشيدا في سلوكه، لاقتدت به الرعية، ولما آل أمرها إلى الانحطاط.

اين موطن الخلل اذن؟ هل في القمة ام في القاعدة؟ هل هو في السلطة الحاكمة ام في الرعية المحكومة؟

امير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) يرى أن اصلاح الخلل لا- يكون الا- بمراعاة كل طرف حقوق الطرف الآخر، فطالما أن الحاكم لا يؤدي حق رعيته، او الرعية لا تؤدي حق حاكمها، فلا يمكن أن نظفر بمجتمع سليم، مدركٌ للعدالة

السياسية وإن كان مفهوما اعتباريا، إلا أن الالتزام بحقوق الطرف الآخر - أو عدم الالتزام - تترتب عليه آثار واقعية بالغة الأهمية والخطورة.

في هذا المجال نجده يؤكد في خطبة له بصفتين على أن الحقوق متقابلة، فيقول: (أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا بُولَايَةً أَمْرِكُمْ وَلَكُمْ عَلَيَّ مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لِي عَلَيْكُمْ فَالْحَقُّ أَوْسَعُ الْأَشْيَاءِ فِي التَّوَاصُفِ وَأَضْيَقُهَا فِي التَّنَاصُفِ لَا يَجْرِي لِأَحَدٍ إِلَّا جَرَى عَلَيْهِ وَلَا جَرَى عَلَيْهِ إِلَّا جَرَى لَهُ وَلَوْ كَانَ لِأَحَدٍ أَنْ يَجْرِيَ لَهُ وَلَا يَجْرِيَ عَلَيْهِ لَكَانَ ذَلِكَ خَالِصًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ دُونَ خَلْقِهِ لَقُدِّرَتْهُ عَلَى عِبَادِهِ وَلَعَدَلَهُ فِي كُلِّ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ وَجَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَيْهِ مُضَاعَفَةَ الثَّوَابِ تَفْضُلًا مِنْهُ وَتَوْسَعًا بِمَا هُوَ مِنَ الْمُرِيدِ أَهْلُهُ) (1).

ويؤكد أهمية مراعاة الحق من الجانبين، من جانب الحاكم، ومن جانب الرعية، على أساس أن أحد ركني المعادلة لو اختل، فلن تتحقق العدالة السياسية، فيستطرد ويقول: (وَأَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ سُبْحَانَهُ مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِي فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِكُلِّ عَلَى كُلِّ فَجَعَلَهَا نِظَامًا لِأَفْتِهِمْ وَعِزًّا لِدِينِهِمْ فَلَيْسَتْ تَصَلُّحُ الرَّعِيَّةِ إِلَّا بِصَلْحِ الْوَلَاةِ وَلَا تَصَلُّحُ الْوَلَاةِ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ فَإِذَا أَدَّتِ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّهُ وَأَدَّى الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ وَاعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ وَجَرَتْ عَلَى أَدْلَالِهَا الشُّنَنُ فَصَلِحَ بِذَلِكَ الزَّمَانُ وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ وَيَنْسَتْ مَطَامِعُ الْأَعْدَاءِ) (2).

ص: 212

1- نهج البلاغة خطب الامام علي، ج 2، ص 198، خ 216

2- المصدر نفسه

ثم يبين العواقب الخطيرة لعدم مراعاة احد الجانبين حق الآخر، فيقول: (وَإِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالْيَهَاءُ أَوْ أَجْحَفَ الْوَالِي بِرَعِيَّتِهِ اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ وَظَهَرَتْ مَعَ الْمَجْرُورِ وَكَثُرَ الْأُدْعَاؤُ فِي الدِّينِ وَتُرِكَتْ مَحَاجُّ السُّنَنِ فَعَمِلَ بِالْهَوَى وَعُظِّلَتِ الْأَحْكَامُ وَكَثُرَتْ عَدْلُ النَّفُوسِ فَلَا يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيمِ حَقِّ عَظَلٍ وَلَا لِعَظِيمِ بَاطِلٍ فَعِلَ فَهَنَالِكَ تَذَلُّ الْأَبْرَارِ وَتَعَزُّ الْأَشْرَارِ وَتَعْظُمُ تَبَعَاتُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عِنْدَ الْعِبَادِ) (1).

إذا معالجة هذا الخلل لا تتم الا بالتناصح، والتعاون، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر على الدوام. وهذا الواجب لا يقتصر على الوجهاء والاعنياء والاقوياء، وإنما هو واجب كل عضو في المجتمع- سواء كان اعلي القمة او اسفل القاعدة- ولا يقلل من اهمية القيام بهذا الواجب عظمة الحاكم، مهما علا في المنزلة والقوة، وكما يقلل من اهمية القيام بهذا الواجب بساطة المحكوم، مهما تواضع في المنزلة والضعف. يقول (عليه السلام) (فَعَلَيْكُمْ بِالتَّنَاصُحِ فِي ذَلِكَ وَحُسْنِ التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ فَلَيْسَ أَحَدٌ وَإِنْ اشْتَدَّ عَلَى رِضَا اللَّهِ حِرْصُهُ وَطَالَ فِي الْعَمَلِ اجْتِهَادُهُ بِبَالِغِ حَقِيقَةِ مَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَهْلُهُ مِنَ الطَّاعَةِ لَهُ وَلَكِنْ مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ النَّصِيحَةُ بِمَبْلَغِ جُهْدِهِمْ وَالتَّعَاوُنُ عَلَى إِقَامَةِ الْحَقِّ بَيْنَهُمْ وَلَيْسَ امْرُؤٌ وَإِنْ عَظُمَتْ فِي الْحَقِّ مَنْزِلَتُهُ وَتَقَدَّمَ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ بِفَوْقِ أَنْ يَعَانَ عَلَى مَا حَمَلَهُ اللَّهُ مِنْ حَقِّهِ وَلَا امْرُؤٌ وَإِنْ صَغُرَتْهُ النَّفُوسُ وَافْتَحَمَتْهُ الْعُيُونُ بِدُونِ أَنْ يُعِينَ عَلَى ذَلِكَ أَوْ يُعَانَ عَلَيْهِ) (2).

ص: 213

1- نهج البلاغة خطب الامام علي، ج 2، ص 199، خ 216

2- نهج البلاغة خطب الامام علي، ج 2، ص 199، خ 216

المسألة الثانية: التسامح واللين.

ان تكون الروح التي تستند اليها العلاقة في أداء هذه الواجبات والمسؤوليات هي روح الرأفة والتسامح واللين والاحسان وحسن الظن من قبل الحاكم إزاء الأمة، قوله تعالى: «فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ» (1)، «قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ» (2)، «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ» (3)، «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ» (4).

واما النصوص الواردة عن مولانا أمير المؤمنين كثيرة وقد اشرنا إلى البعض منها آنفا في المبحث الثاني وأهمها (وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم. ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا، تعتنم أكلهم؛ فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين، وإما نظير لك في الخلق) (5).

وهناك نص آخر يقول فيه (عليه السلام) (وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلَى حُسْنِ ظَنِّ رَاعٍ بِرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ وَتَخْفِيفِهِ الْمُؤَنَاتِ عَلَيْهِمْ وَتَرَكَ اسْتِكْرَاهِهِ

ص: 214

1- آل عمران 159

2- التوبة 128

3- الفتح 29

4- المائدة 54

5- نهج البلاغة خطب الإمام علي، ج3، ص48، رسالة35

إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قِبَلَهُمْ فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِرِعِيَّتِكَ فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقَطَعُ عَنْكَ نَصَباً طَوِيلاً(1).

المسألة الثالثة: المساواة بين الناس في الحقوق.

ان ابناء الأمة وإن كانوا يختلفون في الكثير من الخصائص والامتيازات مثل التقوى، العلم والجهاد والاحسان فالتمييز بينهم يقوم على اساس العدل.

وهذا متفق عليه بين جميع الشرائع الإلهية فضلا عن القوانين الوضعية ولكن الحديث عن مسألة المساواة بين الناس في هذه الحقوق لا يكون لها تمييز بين افراد الأمة فيكون لكل سلطة في الدولة رأيها في مسألة معينة، القضاء مثلا له موقف إزاء عدد من أصناف الناس ويكون هذا الموقف موحدا يكون موقفه على حد سواء بين الشريف والوضيع والعالم والجاهل.

وقد اشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة وأكد عليها الإمام (عليه السلام) بقوله (أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْوَالِيَّ إِذَا اخْتَلَفَ هَوَاهُ مَنَعَهُ ذَلِكَ كَثِيرًا مِنَ الْعَدْلِ، فَلْيَكُنْ أَمْرُ النَّاسِ عِنْدَكَ فِي الْحَقِّ سَوَاءً، فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي الْجُورِ عَوْضٌ مِنَ الْعَدْلِ، فَاجْتَنِبْ مَا تُنْكِرُ أَمثَالَهُ، وَابْتَدِلْ نَفْسَكَ فِيمَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكَ، رَاحِيًا ثَوَابَهُ، وَتُخَوِّفًا عِقَابَهُ(2).

وَاعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ بَلِيَّةٍ لَمْ صَاحِبُهَا قَطَّ فِيهَا سَاعَةٌ إِلَّا كَانَتْ فَرَعَتْهُ عَلَيْهِ حَسْرَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّهُ لَنْ يُغْنِيكَ عَنِ الْحَقِّ شَيْءٌ أَبَدًا، وَمِنَ الْحَقِّ عَلَيْكَ حِفْظُ نَفْسِكَ، وَالْأَحْتِسَابُ عَلَى الرَّعِيَّةِ بِجُهْدِكَ، فَإِنَّ الَّذِي يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ أَفْضَلُ مِنَ الَّذِي يَصِلُ بِكَ، وَالسَّلَامُ(3).

ص: 215

1- المصدر نفسه، ج 3، ص 88، رسالة 53

2- المصدر نفسه، ج 3، ص 116

3- المصدر نفسه، ج 3، ص 116، رسالة 53

نستنتج من قول الامام عليه السلام ما يلي:

1- الإنصاف من النفس في التعامل مع الرعية.

(أَنْصِفِ اللَّهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلِمَ وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ) (1).

2- ان يكون أساس الاختيار للمواصفات الموضوعية ذا علاقة بكمال الشخصية والكفاءة.

(وَلْيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ وَأَشَدَّ نَاهُهُمْ عِنْدَكَ أَطْلُبُهُمْ لِمَعَايِبِ النَّاسِ فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوباً الْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا فَإِنَّهَا عَلَيْكَ تَطْهِيرٌ مَا ظَهَرَ لَكَ وَاللَّهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتِطَعْتَ يَسْتُرِ اللَّهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سِتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ أَطْلِقْ عَنِ النَّاسِ عَقْدَهُ كُلَّ حَقْدٍ وَأَقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وَتِرٍ وَتَغَابَ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَبْضُحُ لَكَ وَلَا تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعِ فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌّ وَإِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِيَةِ حِينَ لَا تَدْخُلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بِخِيَالٍ يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ وَيَعِدُّكَ الْفَقْرَ وَلَا جَبَاناً يُضِدُّ عِفْكَ عَنِ الْأُمُورِ وَلَا حَرِيصاً يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَّ بِالْجُورِ فَإِنَّ الْبُحْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ عَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ إِنَّ شَرَّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلْأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيراً وَمَنْ شَرَكَهُمْ فِي الْأَنْامِ فَلَا يَكُونَنَّ لَكَ بَطَانَةً فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الْأَثَمَةِ وَإِخْوَانُ الظُّلْمَةِ وَأَنْتَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلْفِ مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَتَقَادِهِمْ وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ وَأَوْزَارِهِمْ وَأَثَامِهِمْ مِمَّنْ لَمْ يُعَاوِرْ ظَالِماً عَلَى ظُلْمِهِ وَلَا آثِماً عَلَى إِثْمِهِ أَوْلِيكَ أَخْفَ عَلَيْكَ مَوَدَّةً وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً وَأَحْنَى عَلَيْكَ عَطْفاً وَأَقْلُّ لِعَيْرِكَ إِلفاً فَاتَّخِذْ أَوْلِيكَ خَاصَّةً لِخَلَوَاتِكَ وَحَفَلَاتِكَ ثُمَّ لِيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلُهُمْ بِمَرِّ الْحَقِّ لَكَ وَأَقْلَهُمْ مُسَاعِدَةً فِيمَا

ص: 216

1- المصدر نفسه، ج3، ص85، رسالة53

يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللَّهُ لِأَوْلِيَائِهِ وَأَقْعًا ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ وَالصَّقِي بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصَّدِيقِ ثُمَّ رُضِيَ لَهُمْ عَلَى الْإِطْرُوكِ وَلَا يَبْجَحُوكَ بِبَاطِلٍ
لَمْ تَفْعَلْهُ فَإِنَّ كَثْرَةَ الْإِطْرَاءِ تُحْدِثُ الرَّهْوَ وَتُذْنِبِي مِنَ الْعِزَّةِ وَلَوْ يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ

سَوَاءٍ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَرْهِيدًا لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ فِي الْإِحْسَانِ وَتَدْرِيْبًا لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ عَلَى الْإِسَاءَةِ وَالزَّمُّ كَلًّا مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ وَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ
بِأَدْعَى إِلَى حُسْنِ ظَنِّ

رَاعِ بِرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ وَتَخْفِيْفِهِ الْمُنُودَاتِ عَلَيْهِمْ وَتَرْكِ اسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قَبْلَهُمْ فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ
حُسْنُ الظَّنِّ بِرَعِيَّتِكَ فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَبًا طَوِيلًا وَإِنْ أَحَقَّ مِنْ حُسْنِ ظَنِّكَ بِهِ لَمَنْ حَسَنَ

بِالْأَوْكَ عِنْدَهُ وَإِنْ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بِلَاؤُكَ عِنْدَهُ وَلَا تَنْفُضْ سُنَّةَ صَالِحَةٍ عَمِلَ بِهَا صِدُورٌ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَاجْتَمَعَتْ بِهَا الْأُلْفَةُ
وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ وَلَا تُحْدِثَنَّ سُنَّةَ تَضُرُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاضِيِ تِلْكَ السُّنَنِ فَيَكُونَ الْأَجْرُ لِمَنْ سَنَّهَا وَالْوِزْرُ

عَلَيْكَ بِمَا نَفَضْتَ مِنْهَا وَأَكْثِرْ مَدَارِسَةَ الْعُلَمَاءِ وَمُنَاقَشَةَ الْحُكَمَاءِ فِي تَثْبِيْتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرٌ بِبِلَادِكَ(1).

3- تقديم المصالح العامة على الخاصة في اجتماعها (وَلْيَكُنْ أَحَبُّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ وَأَعَمَّهَا فِي الْعَدْلِ وَاجْتَمَعَتْ لِرِضَى
الرَّعِيَةِ فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ

بِرِضَى الْخَاصَّةِ وَإِنَّ سَخْطَ الْخَاصَّةِ يُعْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِيِّ مَثُونَةً فِي الرَّخَاءِ وَأَقْلَلٌ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلَاءِ
وَأَكْثَرُ لِلْإِنصَافِ وَأَسْأَلُ بِالْإِلْحَافِ وَأَقْلَلُ شُكْرًا عِنْدَ الْإِعْطَاءِ وَأَبْطَأُ عُدْرًا عِنْدَ الْمُنْعِ وَأَضْعَفُ صَبْرًا عِنْدَ

مُلِمَاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ وَإِنَّمَا عِمَادُ الدِّينِ وَجَمَاعُ الْمُسْلِمِينَ وَالْعُدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ الْعَامَّةِ مِنَ الْأُمَّةِ فَلْيَكُنْ صِغُوكَ لَهُمْ وَمِثْلَكَ مَعَهُمْ(2).

ص: 217

1- المصدر نفسه، ج3، ص85، رسالة53

2- المصدر نفسه، ج3، ص86، رسالة53

4- التأكيد والاهتمام على السنن الصالحة التي تربت عليها الأمة والتي تعد جزءا من تراثها وقاعدة للارتباط في افقها الاجتماعي (وَلَا تَنْقُضْ سُنَّةَ صَالِحٍ عَمِلَ بِهَا صُورٌ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَاجْتَمَعَتْ بِهَا الْأَلْفَةُ وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ وَلَا تُحَدِّثَنَّ سُنَّةَ تَصْرُبِ شَيْءٍ مِنْ مَاضِي تِلْكَ السُّنَنِ فَيَكُونَ الْأَجْرُ لِمَنْ سَنَّهَا وَالْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا) (1).

ص: 218

1- المصدر نفسه: ص 89

المبحث الرابع مفهوم الحكم في عهد الإمام (عليه السلام) إلى مالك (رضي الله عنه)

المسألة الأولى: عدم تشبه الحاكم بالله في جبروته لأن الحكم أمانة وتكليف إلهي.

قوله (عليه السلام): (إِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ اللَّهِ فِي عَظَمَتِهِ وَالتَّشْبَهُ بِهِ فِي جَبْرُوتِهِ فَإِنَّ اللَّهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ وَيُهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ) (1).

يحذر الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) مالكا (رضوان الله عليه) من منافسة الحاكم لله سبحانه وتعالى في جبروته وعظمته، لأن الحاكم قد يعيش حلاوة الدنيا وزهوها ويغفل عن رؤية كونه مخلوقا لله سبحانه وتعالى، فينزل كل ما لديه من قدرة في طول قدرته سبحانه وتعالى، فيصبح مضاهيا للقدرة الالهية المطلقة وهذا ما يسميه الإمام (عليه السلام) بالمساماة والتشبه.

المساماة: هي المباراة في السمو والعلو.

جاء في المنجد: سامى مسامة الرجل، ماضره وباراه والمعنى إحذر عن مفاخرة الله ومباراته في عظمته والتشبه به تعالى في جبروته بأن تقول مثلا لي كذا وكذا من الملك، كما قال فرعون (أليس لي ملك مصر) (2) وذلك لأن الله تعالى يذل ويحقّر كل جبار ويهين ويضعف كل مختال متكبر فخور. حيث يشير القرآن الكريم

ص: 219

1- نهج البلاغة: خطب الإمام علي، ج3، ص85، رسالة53

2- مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة: محمد تقي النقوي: ج15 ص423

والروايات المباركة إلى مصاديق وشواهد للمتكبرين والمغرورين تؤكد هذا المعنى بشكل واضح.

منها قوله تعالى «وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ» (1).

وقال تعالى على لسان موسى (عليه السلام) «... إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ» (2).

وقال تعالى في مورد بيان ذم النفاخر ومصير الجبارين والمتكبرين في الدنيا والاخرة «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا» (3) المختال: هو المعجب بنفسه (4)، فقد أخذ الله سبحانه وتعالى على نفسه أن تكون نهاية كل من يتظاهر بالجبروت الذل والهوان.

وقد وردت في هذا المضمون احاديث شريفة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والائمة الاطهار (عليهم السلام).

فعن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام): قال (أدنى الإلحاد قال إن الكبر أدناه) (5).

وقال (عليه السلام): إياكم والعظمة والكبر، فإنَّ الكبر رداء الله، فمن نازع الله رداءه، قصمه الله وأذله يوم القيامة (6).

ص: 220

1- ابراهيم: 15

2- القصص: 19

3- النساء: 36

4- ينظر لسان العرب 10 ص 436

5- الوافي: الفيض الكاشاني، ج 5، ص 870

6- هداية الأمة إلى أحكام الأئمة: الحر العاملي، ج 5، ص 553

وعن الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم): قال (الكبر أن تترك الحق وتتجاوزته إلى غيره، وتتنظر إلى الناس فلا ترى إن أحدا عرضه كعرضك ولا دمه كدمك)(1).

وقال عليّ عليه السلام: احذروا على دينكم ثلاثة: منهم رجل آتاه الله سلطانا فزعم أنّ طاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله وكذب، لأنّه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، إنّما أمر الله بطاعة الرسول وأولي الأمر، لأنّهم لا يأمرون بمعصيته(2).

ونرى هذا المعنى واضحا في كلام الإمام عليه السلام إلى الأشعث بن قيس عامل أذربيجان قال (لَمَّا بُويعَ عَلِيٌّ (عليه السلام) وكتب إلى العمال، كتب إلى الأشعث بن قيس مع زياد بن مرحب الهمداني، وكان الأشعث على أذربيجان عاملاً لعثمان وقد كان عمرو بن عثمان تزوج ابنة الأشعث بن قيس قبل ذلك فكتب إليه عليّ (عليه السلام): (أما بعد فلولا هتّات كنّ فيك كنت المقدم في هذا الأمر قبل الناس ولعل أمرك يحمل بعضه بعضاً إن اتقيت الله، ثمّ إنّ كان من بيعة الناس إياي ما قد بلغك و كان طلحة والزبير ممن بايعاني ثمّ نقضا بيعتي على غير حدث وأخرجوا أم المؤمنين وصارا إلى البصرة فسرت إليهما فالتقينا فدعوتهم إلى أن يرجعوا فيما خرجوا منه فأبوا فأبلغت في الدعاء وأحسنّت في البقية، وإنّ عملك ليس لك بطعمة ولكنه أمانة وفي يدك مال من مال الله وأنت من خزّان الله عليه حتى تسلمه إليّ، ولعلي أن لا أكون شر ولا تك لك إن استقمت ولا قوّة إلّا بالله.

ص: 221

1- الوافي : الفيض الكاشاني الجزء: 26، ص 199

2- الوسائل: الحر العاملي ج 18: 4 / 90: وينظر هداية الأمة إلى أحكام الأئمة: الحر العاملي ج 8 ص 382

فلما قرأ الكتاب قال الأشعث: أيها الناس إن أمير المؤمنين عثمان ولاني أذربيجان فهلك وهي في يدي وقد بايع الناس علياً وطاعنتاه كطاعة من كان قبله وقد كان من أمره وأمر طلحة والزبير ما قد بلغكم، وعليّ المأمون على ما قد غاب عنا وعنكم من ذلك الأمر.

قال: فلما أتى منزله دعا أصحابه وقال: إن كتاب عليّ قد أوحشني وهو آخذ بمال أذربيجان وأنا لاحق بمعاوية!

فقال القوم: الموت خير لك من ذلك أتدع مصرك وجماعة قومك وتكون ذنباً لأهل الشام؟ فاستحيا الأشعث فسار حتى قدم على عليّ (عليه السلام) (1).

فيتحصل: نفهم من منطوق الآيات والروايات المطهرة أموراً:

1- يجب على الحاكم تشخيص العوارض السلبية والأمراض الأخلاقية المترتبة من خلال المنصب وكرسي الحكم.

2- يجب على الحاكم أو الوالي بحكم مسؤوليته أن يهتم بتدبير الأمور وتوجيه الناس في مسارات العمل الصحيحة ونحو الأهداف السليمة.

المسألة الثانية: موقع الرحمة في الحكم.

قوله (عليه السلام) (وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعاً ضَارِياً نَغْتَمُّ أَكْلَهُمْ) (2).

يتحدث الإمام (عليه السلام) في هذا المقطع من العهد عن العلاقة بين الحاكم والمحكوم، أو بين الحاكم والرعية في المنظومة القيادية في الفهم الاسلامي وهو

ص: 222

1- نهج البلاغة خطبة 131؛ بحار الأنوار العلامة المجلسي ج 32 ص 361

2- نهج البلاغة خطب الإمام علي، ج 3، ص 86

الشعور الباطني المتمثل بالرحمة والشفقة واللين وزرع الثقة بين الحاكم المتصدي والأمة التي تكون تحت رعايته ومسؤوليته.

فالإمام (عليه السلام) يوصي مالكا يوصفه واليا على مصر أن ينظر إلى العدل والمساواة بين الناس من دون أن يميز بين طبقات المجتمع، أي اجعل شعارك في الحكم عنوانه المحبة ولطف والشفقة للرعية.

ثم ينتقل الإمام (عليه السلام) إلى عنصر آخر وهو التشديد على إبقاء مبدأ الرحمة والمحبة والتودد إلى الناس، والتحذير من القسوة والغلظة والاعتداء على الناس.

قوله (عليه السلام) محذرا الوالي من القسوة وسلب حقوق الآخريين (وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعًا ضَارِبًا تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ)، يمثل الإمام (عليه السلام) الحاكم بهذا العنوان الحيوان المفترس الذي يبطش ويفتك بفريسته.

وفي حديث آخر واصفا الناس اذا سلبت منهم الرحمة والمحبة يصبحون كالبهائم (إن البهائم همها بطونها، وإن السباع همها العدوان على غيرها) (1).

فيتحصل: أن نجاح الحاكم العادل والمقتدر الذي تمتد سيطرته على الناس يستطيع استمالة قلوبهم وعواطفهم، ناتج من حسن التعامل مع الرعية بلغة الرحمة والمحبة واللطف، ثم يشير الإمام (عليه السلام) إلى عامل الفشل والانهيال الذي يصيب المنظومة القيادية للحاكم، فيعلل ذلك الفشل والسقوط بسبب التعامل السيئ القائم على البطش والقوة، فيكون الحاكم فيها الحيوان المفترس، يأكل حقوق الناس ويسلب حرياتهم بحجج واهية يحسبها غنيمة.

ص: 223

المسألة الثالثة: الرؤية الفكرية في تقييم الآخرين.

قوله (عليه السلام): (فَانْتَهُم صِنْفَانِ اِمَّا اَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ وَاِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ) (1).

يتحدث الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المقطع من العهد الشريف عن تقييم الناس في المجتمع على ضوء الرؤية الفكرية التي يحملها الإنسان إزاء الآخر.

وهذه الرؤية تنعكس تماما على السلوك والتعامل في المجتمع فالرؤية التي يحملها الحاكم تدفعه للتعامل مع الناس بأن ينظر اليهم على أساس أنهم أناس مثله وهم (فَانْتَهُم صِنْفَانِ اِمَّا اَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ وَاِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ) فَإِنَّهُمَا: الفاء هنا للتفريع ومدلولها تعليل لما سبق وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ.

ومثله كما صرح به القرآن الكريم في سورة الكهف على لسان النبي صلى الله عليه وآله: «قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ» (2)، إشارة إلى عدم الأفضلية، بل إنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أعلى الكمالات ولكنه مثل الناس يأكل ويشرب ويمارس حياته كما تمارس الناس حياتها، فالبعد الانساني تجسد في كلمة (مِثْلُكُمْ) وأما مورد الكمالات فهي محل تنافس بين الناس ودعوة مفتوحة بين بني البشر، فكل من أراد أن يكون في سلم تصاعدي فعليه أن يجلب مقدماته، حتى يكون ضمن المتنافسين، كما أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة في سورة المطففين (وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ).

ص: 224

1- نهج البلاغة خطب الإمام علي، ص 68، رسالة 53

2- الكهف 110

إذا الإمام (عليه السلام) يقسم ويصنف الناس بتقسيمات مختلفة.

قال: بما حاصله أن الرعية على قسمين، مسلم وكافر، أما الأول أعني المسلم فهو أخ لك في الدين ولا ينبغي الظلم على الأخ بل ينبغي الشفقة والرحمة به وإلا فلا يكون أخاه(1).

في الصحيح، عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد إن اشتكى شيء منه وجد ألم ذلك في سائر جسده، وأرواحهما من روح واحدة، وإن روح المؤمن لأشد اتصالاً بروح الله من اتصال شعاع الشمس بها(2).

وفي الصحيح والموثق كالصحيح، عن علي بن عقبة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن المؤمن أخو المؤمن، عينه ودليله، لا يخونه ولا يظلمه ولا يغشه ولا يعده عدة فيخلفه(3).

وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): فإن المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه(4).

وعن الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام): والمسلم حرام على المسلم أن يظلمه أو يخذله أو يدفعه دفعة تعنته(5).

ص: 225

1- مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة: محمد تقي النقوي: ج 1 ص 420

2- روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه: محمد تقي المجلسي (الأول)، ج 9، ص 293

3- الكافي: الكليني، ج 2، ص 166

4- روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه: محمد تقي المجلسي (الأول)، ج 5، ص 526

5- الوافي: الفيض الكاشاني، ج 4، ص 161

قوله عليه السّلام: المسلم أخو المسلم لا يخذله ولا يغتابه(1).

فالمراد من الإسلام هنا الإسلام الموافق للاعتقاد، مع أن الغيبة من ذمائم الصفات البشرية فهي مذمومة، ولا يجوز مطلقاً إلا ما نص الشرع على جوازها، وقد فُسر الأخ في الروايات بالأخ الإسلامي فلا وجه لحمله على الأخ الإيماني الإثني عشري. مع أن الولاية للمعصومين من أهل البيت (عليهم السلام) على قسمين:

الأول: المحبة.

الثاني: الولاية بالمعنى الأخص.

والأول: موجود في جميع المسلمين إلا الناصبيين والخوارج والظالمين لآل البيت (عليهم السلام) والغلاة وكل من حكم بكفره.

والثاني: منحصر بالشيعة الاثني عشرية.

وبالجملة: من أقر بالشهادتين على أقسام.

الأول: من يحب النبي صلّى الله عليه وآله المعصومين ويتبع المعصومين عليهم السّلام من آله.

الثاني: من يحبهم في الجملة ولا يتبع أقوالهم بل يتبع أقوال غيرهم.

الثالث: من ثبت كفره.(2)

ولقد أكد الإسلام على علاقة محبة وشفقة وتودد بين أصناف الناس، لأن فيها حلولاً للمشاكل وتنظيماً للحياة في جميع جوانبها.

ص: 226

1- الوسائل باب: 152 من أبواب أحكام العشرة، حديث: 5

2- مهذب الأحكام في بيان الحلال والحرام: السيد عبد الأعلى السيزواري، ج16، ص125

وهناك تقسيم آخر للناس أشار اليه الإمام (عليه السلام) في نهجه يعتمد على أساس العلم، فقال مخاطباً كميل بن زياد: (الناس ثلاثة: فعالم رباني او متعلم على سبيل نجاة وهمج رعاغ أتباع كل ناعق يميلون مع كل ربح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق عليه ولاة عنيف به.

فيتحصل: إن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته لمالك الأشتر (رضوان الله عليه) يشير إلى معيار التقسيم ومنهجية في الفهم الإسلامي، وهو فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَحْكَمٌ لَكَ فِي الدِّينِ وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ: يعني إما أخ للمسؤول في الدين أو نظير له في الخلق. فالمعيار هنا هو المواطنة وحقوقها، فلا يفضل أحد على أحد في منظومة الحكم، ولا يميز أحداً على أحد على أساس الاختلافات الحاصلة بين الحاكم والرعية.

حيث جعل الله سبحانه حقوق عباده مقدمة على حقوقه، فمن قام بحقوق عباد الله كان ذلك مؤدياً إلى القيام بحقوق الله (1).

اقول: أن المنهج الذي يتحدث به أمير المؤمنين (عليه السلام) هو المنهج الانساني القائم على أساس العدل والمساواة واحترام حقوق الآخرين.

المسألة الرابعة: مبدأ العفو والصفح في التعامل مع الناس.

قوله (عليه السلام): (يَقْرُطُ مِنْهُمْ الزَّلُّ وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَالُ وَيُوتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمَدِ وَالْخَطَا، فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَدِّفْكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ) (2).

ص: 227

1- نهج البلاغة: غرر الحكم: 3، 7، 10

2- نهج البلاغة خطب الإمام علي، ج 3، ص 84، رسالة 53

يشير الإمام (عليه السلام) إلى أساس آخر من أساسيات الحكم، وهو مبدأ العفو والتسامح والصفح عن الآخرين.

قال الراغب رحمه الله: العفو والصفح صورتا الحلم، ومخرجاه إلى الوجود، فالعفو ترك المؤاخذة بالذنب، والصفح ترك التثريب، واشتقاقه من تجاوز الصفحة التي أثبت فيها ذنوبه والإعراض بصفحة الوجه عن التلفت إلى ما كان فيه وهو محمود إذا كان على الوجه الذي يحب والعفو إنما يستحب إذا كانت الإساءة مخصوصة بالعافي كمن أخذ ماله أو شتم عرضه فإن عادت بالضرر على الشرع أو الناس فله ترك العفو(1).

قال: الصفح عن خطاياهم والعفو عن ذنوبهم لتقصان التربية، ونبهه على أن نسبتهم إليه كنسبته إلى الوالي الأمر عليه وفوقه أيضا هو الله، فينبغي الصفح عنهم، كما أنه يرجو الصفح عنه من الوالي الأمر وفوقه من الله القادر، ويبيّن أن تعذيب عباد الله بمنزلة الحرب مع الله الذي لا قدرة للإنسان أمام عقوبته، ولا غني عن عفوه ورحمته(2).

يريد الإمام (عليه السلام) أن يشعر الحاكم أو الوالي بأن العفو والصفح من الصفات الإلهية، وبنو البشر بحاجة إليها لاحتياج الجزء إلى الكل، فكما أن الوالي إذا أخطأ، يرجع بأخطائه إلى الله سبحانه وتعالى متوسلا أن يعفو ويصفح عنه، كذلك الله يطلب من الإنسان أن يكون متسامحا مع الآخرين.

ونجد قضية طلب العفو والصفح واضحة في منهج الأئمة الاطهار (عليهم السلام).

ص: 228

1- فيض القدير شرح الجامع الصغير: المناوي، ج2، ص303

2- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: حبيب الله الخوئي: ج20، ص164

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة فدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد من تحت العرش: تاركوا المظالم بينكم فعلي ثوابكم(1).

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة وكُننا الله بحساب شيعتنا، فما كان لله سئنا الله أن يهبه لنا فهو لهم، وما كان لنا فهو لهم، ثم قرأ أبو عبد الله عليه السلام: إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم(2).

ثم إن المراد هو العفو والصفح عن من يستحقون العفو، لا الأعداء المجرمون الذين يحملهم العفو والصفح على مزيد من الإجرام، وينتهي بهم إلى الجرأة أكثر(3).

فلذا (عليه السلام) يطلب من مالك أن يتعامل مع الناس على أساس مبدأ العفو والصفح عن الزلل والخطأ في الموارد الميسورة والممكنة من صرف النظر عن العقاب في الموارد التي يمكن للحاكم أن يغض النظر فيها وإزالة العقوبة على الخطأ من ذهن الحاكم وجعلها في طي النسيان مع مراعاة حقوق العامة المغصوبة، إذ لا بد للوالي من إرجاعها إلى أهلها، ولا ينبغي للحاكم التعامل مع هذا المبدأ الذي يكون فيه إخلال بالقوانين ونظم الدولة في تضييع حقوق الناس، كالعفو عن المجرمين المتلبسين بقتل الأبرياء المظلومين.

ص: 229

1- بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج7، ص264

2- المصدر نفسه: ص264

3- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ص699

المسألة الخامسة: عوامل نجاح الحاكم في المنظومة القيادية.

1- سعة الصدر ومداراة الناس.

الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) يريد أن يبين أن نجاح الحاكم وسر موفقيته يكمن في حلمه وسعة صدره، فلذا يعد هذا العامل من العوامل المهمة في القيادة، ومفتاحا سحريا في النجاح والتفوق، ومن علاماته الايمان الخالص والرفق واللين والرحمة والابتسام العفوية، والمحبة الصادقة الخالية من التصنع. فسعة الصدر تأسر القلوب وتلجم حياءً ويكون لها شعور بالندم. وقريب منه ما أشار اليه القرآن الكريم في سورة يوسف (عليه السلام)) في بيان سعة الصدر وحلم النبي يعقوب (عليه وعلى نبينا الآف التحية والسلام) قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ(1).

منه قول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): آلة الرياسة سعة الصدر(2).

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله أمرني ربي بمداراة الناس كما أمرني بأداء الفرائض(3).

وأمر الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) بالصلاة والصيام، وكذلك أمره بمداراة الناس والاحسان اليهم.

وقد وصف النبي - صلى الله عليه وآله وسلم المؤمن بأنه: المؤمن يألف ويؤلف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف، وخير الناس أنفعهم للناس(4).

ص: 230

1- يوسف: 92

2- نهج البلاغة: خطب الإمام علي ج 4 ص 42

3- الكافي: ج 2 117

4- كنز العمال: المتقي الهندي ج 1 ص 142

عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في وصف أفضل الأخلاق؟ قال: الصبر والسماحة(1).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الرفق رأس الحكمة، اللهم من ولي شئنا من أمور أمتي فرفق بهم فارق به، ومن شق عليهم، فاشفق عليه(2).

وعن الإمام علي (عليه السلام) عليك بالرفق فمن رفق في أفعاله تم أمره(3).

وعنه (عليه السلام): (عليك بالرفق فإنه مفتاح الصواب وسجية أولي الألباب)(4).

عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: نعم السياسة الرفق(5).

وقال (عليه السلام): رأس السياسة استعمال الرفق(6).

وعنه (عليه السلام): الرفق يسيّر الصعاب، ويسهّل شديد الأسباب(7).

وعن أبي عبد الله عليه السلام يقول: من كان رفيقا في أمره نال ما يريد من الناس(8).

وفي نهج البلاغة من عهدله (عليه السلام) إلى محمد بن أبي بكر حين قلده مصر: (فاخفض لهم جناحك و أرن لهم جانبك، وابسط لهم وجهك، وآس بينهم

ص: 231

1- بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج63 ص853

2- المصدر نفسه: ج72 ص352

3- عيون الحكم والمواعظ: علي بن محمد الليثي الواسطي ص333

4- المصدر نفسه ص334

5- غرر الحكم: ح9947

6- المصدر نفسه: ح6 167

7- المصدر نفسه: ح2: 45

8- الكافي، ج2 ص120 ج16 ص1

في اللحظة والنظرة، حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم، ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم، فإن الله - تعالى - يسألكم معشر عباده عن الصغيرة من أعمالكم والكبيرة، والظاهرة والمستورة فإن يعذب فأنتم أظلم، وإن يعف فهو أكرم(1).

ومن عهده (عليه السلام) إلى مالك الاشر: (وَأَجْعَلْ لِدَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْمًا تَقْرَعُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِسًا عَامًا فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَكَ وَتُعَدُّ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشُرَطِكَ حَتَّى يَكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَتَعِّعٍ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ [صلى الله عليه وآله] يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لَا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَعِّعٍ ثُمَّ احْتَمَلِ الْخُرْقَ مِنْهُمْ

وَالْعِيَّ وَدَحَّ عَنْهُمْ الضَّيْقَ وَالْأَنْفَ يَبْسُطُ اللَّهُ عَلَيْكَ بِذَلِكَ أَكْنَافَ رَحْمَتِهِ وَيُوجِبُ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ)، إذ: جميع هذه الروايات والأحاديث المظهرة تؤكد على سعة الصدر لدى الحاكم وشعار الرعية بالرحمة والشفقة: وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ).

فإذا فقد الإنسان فضيلة سعة الصدر ضعف إيمانه وضاق صدره وتغير مزاجه وانحبس طبعه، حتى كأن على الإنسان ثقلاً كبيراً ينوء به، فيصبح سريع التضجر والتأفف من أدنى شيء، ويشعر بالضيق من تصرفات الناس حوله وتذهب سماحة نفسه.. ويؤدي ذلك إلى التحير في اتخاذ القرار.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) من ضاق صدره لم يصبر على أداء حق(2).

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): ضيق الصدر بسوء الخلق(3).

ص: 232

1- نهج البلاغة: خطب الإمام علي ج 3 ص 27 رسالة 27

2- كنز الفوائد: أبو الفتح الكراچكي: ص 128

3- نهج البلاغة: خطب الإمام علي (تحقيق صبحي صالح)، ص 701:

وعنه عليه السلام: من ساء خلقه ضاق صدره(1).

وقالوا: من ضاق صدره اتسع لسانه، و من كثر كلامه كثر سقطه، و من ساء خلقه قل صديقه(2).

إذا الاثار المترتبة على ضيق الصدر هي سوء الخلق، فاذا كان الحاكم ضيق الصدر يكون سيئ الخلق، فينعكس سوء خلقه على التعامل مع الناس ويكون في حالة تحير في اتخاذ القرارات.

2- معالجة الأخطاء.

قوله عليه السلام: (وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلْلُ وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَأِ)(3).

من العوامل التي تؤدي إلى نجاح الحاكم في منظومة القيادة هو كيفية معالجة الأخطاء، وبعبارة أخرى كيف ينظر الوالي أو المسؤول إلى أخطاء الناس، وكيف يستطيع تقييمها، وماهي الطرق في التعامل معها.

وهذا ما يتناوله الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المقطع من العهد الشريف فيقول ان الناس بحسب طبعهم تصدر منهم الأخطاء، البعض منهم ينسجمون في سلوكياتهم وافعالهم مع الضوابط والقوانين والبعض الآخر تصدر منهم الاخطاء تكون سلوكياتهم وطبائعهم غير منسجمة مع القانون ومع علمهم بهذه الأخطاء وإن الذي يقومون به يغيض الحاكم، فيجب على المسؤول والحاكم ان يتعامل معهم على ضوء مبدأ التسامح والصفح، وهذا العفو أو الصفح لا يعني تجاهل الحق العام، لابد من محاسبة كل من يتجاوز الحدود الضوابط والقوانين،

ص: 233

1- الغرر 379

2- نهج السعادة في مستدرک نهج البلاغة الشيخ المحمودي، الجزء: 7، ص 384

3- نهج البلاغة: خطب الإمام علي، ج 3، ص 86، رسالة 53

وإلا إذ ترك المسيء في ممارسة الاساءة للحق العام فإنه يؤدي إلى فقدان الدولة هيبتها، ونفهم من ذلك إن من واجبات الحاكم أو الوالي توفير أجواء المحبة والثقة بين الناس، ودفعهم باتجاه المزيد من الالتزامات بالقوانين.

3- الرؤية الشمولية ورجوع الحاكم إلى ذاته

يعتقد الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) ان من أولويات الحاكم عندما يجلس على كرسي الحكم، أن لا يستثني نفسه من الاخطاء، لأنه إنسان غير معصوم و من طبيعة الإنسان إن يخطأ، فيذكر الإمام (عليه السلام) مالكا إن الحاكم والقائد لابد أن يتدبر في نفسه فإن وجد فيها عيبا اشتغل بعيب نفسه، وذكر قوله صلى الله عليه وآله طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس).

قال النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: طوبى لمن شغله خوف الله عزّ وجلّ عن خوف الناس، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب المؤمنين من إخوانه(1).

وقال صلى الله عليه وآله: (إن أسرع الخير ثوبا البر، وإن أسرع الشر عقابا البغي، وكفى بالمرء عيبا أن يبصر من الناس ما يعمى عنه من نفسه، وأن يعير الناس بما لا يستطيع تركه وأن يؤدي جلسه بما لا يعنيه)(2).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: من أصلح سريره أصلح الله علانيته، ومن عمل لدينه كفاه الله أمر دنياه، ومن أحسن فيما بينه وبين الله أحسن الله بينه وبين الناس(3)، وقال عليه السلام: الحلم غطاء ساتر، والعقل حسام قاطع، فاستر خلل خلقك بحلمك، وقاتل هواك بعقلك(4).

ص: 234

1- الوسائل باب: 36 من أبواب جهاد النفس، حديث: 3 و 2

2- منهاج الصالحين: السيد الخوئي، ج: 1، ص 356

3- نهج البلاغة خطب الإمام علي، ج 4 ص 99

4- المصدر نفسه: ص 99

يريد الإمام (عليه السلام) من خلال هذا العنصر أن يبين العلاقة الطردية بين صفح الله سبحانه وتعالى عن العباد، وصفح الإنسان عن الإنسان، بعبارة أخرى إن من يريد أن يُرحم فعليه أولاً أن يرحم الآخرين، ومن يريد الصفح من الله فليصفح أولاً عن الناس، وهذه من القواعد الأساسية في تحقيق السلوك الانساني في الفهم الإسلامي، يصبح الإنسان فيها مرآة واضحة في علاقته مع الله سبحانه وتعالى، وقد اشار القرآن الكريم إلى محتوى هذه العلاقة بين فعل الله وفعل الانسان:

«وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ»(1).

تتحدث الآية الشريفة عن العباد ومغفرة الله تبارك وتعالى لهم.

وفي بيان وجوب الابتعاد عن عيوب الناس والانشغال بعيوب النفس واصلاحها، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (الأشرار يتبعون مساوي الناس، ويتركون محاسنهم، كما يتبع الذباب المواضع الفاسدة من الجسد)(2).

وعنه (عليه السلام)، في النهي عن ذكر عيوب الناس وأمن عيوب النفس مورد سخط الله وغضبه قال: (يا عبد الله، لا تعجل في عيب أحد بذنبه فلعله مغفور له، ولا تأمن على نفسك صغير معصية فلعلك معذب عليه، فليكف من علم منكم عيب غيره لما يعلم من عيب نفسه، وليكن الشكر شاغلا له على معاناته مما ابتلى به غيره).

ص: 235

ونجد هذه الصورة واضحة في كلام الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما يشير إلى الربط بين الصفح عن الناس ومغفرة الله: (الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)(1)، إشارة إلى مطلق الرحمة أي لمن في الأرض من إنسان أو حيوان في الشفقة عليهم والإحسان إليهم.

إذا علاقة العمل في تحقيق هذه الرابطة منشؤها العلاقات الاجتماعية القائمة على مبدأ الرحمة والشفقة بين الناس، فمن أراد استئصال الرحمة من السماء فعليه ان يبدأ أولاً في الأرض، وهو قول النبي صلى الله عليه وآله: من لا يرحم لا يرحم(2).

وورد عنه (صلى الله عليه وآله وسلم): من لا يرحم الناس لا يرحمه الله(3).

فيتحصل: القول في العناصر الثلاثة في نجاح الحاكم في المنظومة القيادية

ينبغي للوالي والحاكم أن يعمل بأمور ثلاثة:

1- تأخير العقوبة في موارد الغضب لأن في إمكانها العفو، والتريث فيما يرتأيه من رأى.

2- تعجيل مكافأة المحسن بالإحسان، فإن في الإحسان طاعة الرعية.

3- انفتاح الرأي ووضوح الصواب و حمد العاقبة.

ص: 236

1- مستدرك الوسائل : ج9: ص55 وينظر كنز العمال، ج3، ص163

2- صحيح مسلم: ج1، ص77

3- المحلى: ابن حزم، ج6، ص157

المسألة السادسة: الكفاءة والالتزام بالمسؤولية.

قوله (عليه السلام): (فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَوَلَّكَ وَقَدْ اسْتَكْفَاكَ أَمْرُهُمْ وَابْتَلَاكَ بِهِمْ) (1).

يشير الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المقطع من العهد الشريف المالك الأشتر النخعي (رضوان الله عليه) إلى أمور:

1- المسؤولية إلتزام.

إن كل من يتصدى للمسؤولية ينبغي عليه الإلتزام في مسارات مسؤولية، ولا بد ان يعتقد بمسؤوليته أمام الله سبحانه وتعالى وأمام الناس.

نجد الإمام (عليه السلام) يؤكد هذا المعنى ويمليه على ولاته وعماله في تطبيق المساواة بين الناس على اختلاف قومياتهم وأديانهم، يقول (عليه السلام) في بعض رسائله إلى عماله: (واخفض للرعية جناحك، وابسط لهم وجهك، وألن لهم جنابك و آس بينهم في اللحظة والنظرة، والإشارة والتحية، حتى لا يطمع العظماء في حيفك، ولا يبأس الضعفاء من عدلك..) (2).

قال: ولم تفتن في أي دين أو مذهب اجتماعي مثل هذه المساواة المشرقة التي تنشذ كرامة الإنسان وعزته، وتؤلف ما بين المشاعر والعواطف، وتجمع الناس على صعيد من المحبة والإخاء. (3)

ص: 237

1- نهج البلاغة خطب الإمام علي، ج3، ص84

2- نهج البلاغة: خطب الإمام علي، ج3، ص76، رسالة53

3- حياة الإمام الحسين: الشيخ باقر شريف القرشي، ج1، ص412

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية: (أما بعد فإن الله سبحانه قد جعل الدنيا لما بعدها، وابتلى فيها أهلها ليعلم أيهم أحسن عملا. ولسنا للدنيا خلقنا، ولا بالسعي فيها أمرنا، وإنما وضعنا فيها لنبتلى بها، وقد ابتلاني الله بك وابتلاك بي فجعل أحدنا حجة على الآخر، فعدوت على طلب الدنيا بتأويل القرآن فطلبته بما لم تجن يدي ولا- لساني، وعصبته أنت وأهل الشام بي وألب عالمكم جاهلكم، وقائمكم قاعدكم. فاتق الله في نفسك، ونازع الشيطان قيادك، واصرف إلى الآخرة وجهك فهي طريقنا وطريقك، واحذر أن يصيبك الله منه بعاجل قارعة تمس الأصل وتقطع الدابر، فإني أولى لك بالله ألية غير فاجرة لئن جمعتي وإياك جوامع الأقدار لا أزال بباحتك «حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين»(1).

فعندما ينصب الإنسان حاكما على الناس فعليه أن ينظر إلى سلوكه وتعامله مع الناس من خلال احترامهم والتواضع لهم، وطلب المساواة بين الناس في النظرات وطلاقة الوجه، والحديث والجلوس معهم، فلا يمكن للمسؤول أو الحاكم أن يكون مسؤولا عن الأمة من دون مراعاة هذه السمات فيما بينهم.

ثم يؤكد الإمام (عليه السلام) في عهده لمالك، أن هناك حقيقة ربما تكون غائبة عن أذهان الولاة والمسؤولين، وهو السؤال الذي يسأله الله جلّ وعلا عن عبادة يوم القيامة، نحن لو دققنا النظر في هذه العبارات لوجدنا لها رؤية ومداليل عميقة جدا، تجعل من الإنسان يراقب سلوكياته وانطباعاته.

فالله سبحانه وتعالى يسأل الحكام والمسؤولين يوم القيامة عن الاخطاء التي تسبب ظلم العباد في كل صغيرة وكبيرة.

ص: 238

يؤكد الإمام عليه السلام في هذه النقطة على قدرة المتصدي وحسن أداءه، قوله عليه السلام: وَقَدِ اسَّ تَكْفَاكَ أَمْرُهُمْ، أي أن الله سبحانه وتعالى يطلب من الإنسان عندما يصل إلى مواقع السلطة، أن يكون ذا قدرة وحسن أداء، أي ما يعبر عنه بالكفاءة.

وقد روي في مورد الكفاءة وحسن الأداء عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال: (من طلب العلم ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس فيه فليتبوأ مقعده من النار إن الرئاسة لا تصلح إلا لأهلها)(1).

فمن كانت لديه الأهلية والقدرة على التصدي يجوز له أن يتصدى لمواقع المسؤولية، وخلاف ذلك لا يجوز له واذا تصدى ارتكب كبيرة من الكبائر لأن مصالح البلاد والعباد تحتاج إلى متصدٍ قادر حسن الأداء.

المسألة السابعة: محاربة الله سبحانه وتعالى.

قوله (عليه السلام) (وَلَا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللَّهِ فَإِنَّهُ لَا يَدَّ لَكَ بِنِقْمَتِهِ وَلَا غِنَىٰ بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ)(2).

يتناول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المقطع من العهد الشريف، موضوع محاربة الله سبحانه وتعالى، فيطلب الامام عليه السلام من الحاكم والمسؤول في منظومة القيادة والحكم ألا ينصب نفسه لمحاربة الله جلا وعلا.

ص: 239

1- الكافي: ج 1 ص 47 ح 6

2- نهج البلاغة: خطب الإمام علي، ج 3، ص 84

ما هو المراد من محاربة الله؟ يقصد الإمام عليه السلام بمحاربة الله في هذا المقطع، هو أنه يجب على المسؤول أن يكون كفوءاً، فإذا لم يكن كذلك وتصدى للمسؤولية، فقد أعلن الحرب مع الله تعالى.

ويعلل الإمام عليه السلام معنى الحرب في هذه الصورة، فيقول تنصيب غير الكفوء بمثابة سفك للدماء وهدر للمال، وتضييع للمصلحة العامة، وتجاوز على حقوق الآخرين والاعتداء عليهم.

من هذا المنطلق نفهم أهمية حقوق الناس في النظرية الإسلامية، الاعتداء والاساءة إليهم معناه محاربة الله، وفي قبال ذلك من أحسن إلى الناس وحفظ حقوقهم وحررياتهم ولم يتجاوز عليهم، يعد من الطاعة لله سبحانه وتعالى.

وهذا هو منهج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين.

ومن هنا نرى تأكيد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على ذلك.

قال عليه السلام: من أبدى صفحته لإقامة الحد عليه هلك، ولم يصبر على الحق فيه (1) ... المعنى: أن الإنسان إذا واجه الحق وحاربه يهلك، وهذا ما نراه بوضوح في الحكومات الحاكمة عندما يعتز المسؤول بالمنطق والمفهوم الخاطي، مع علمه بخطأ، يعبر عنه في علم المنطق الجهل المركب.

ويؤكد الامام عليه السلام في رواية أخرى على هذا المعنى، إذ قال عليه السلام: من صارع الحق صرعه (2) .. يجوز أن يراد بالحق ذات الله تعالى والمراد

ص: 240

1- نهج البلاغة: حكمة 138؛ وينظر المقنعة: الشيخ المفيد، ص 777

2- غرر الحكم: ج 1 ص 272

بالمصارعة حينئذ مخالفة أوامره ونواهيه، وأن يراد به الصواب، أي: من عدل عن طريق الصواب صرعه في مهاوي البلاء والعتاب(1).

وقوله عليه السلام في هذا المعنى: الغالب بالشر مغلوب، المحارب للحق محروب(2).

ومنه قوله عليه السلام: لا تغالب من يستظهر بالحق فإن مغالب الحق مغلوب(3).

من نصب العدا لأهل الحق يكون مغلوبا لا محال، لأن الحق يعلو ولا يُعلَى عليه.

ثم يختتم الإمام عليه السلام بقوله: وَلَا غِنَىٰ بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ، إشارة إلى أن الإنسان لا يستغني عن الرحمة الإلهية وعفوه سبحانه وتعالى، لأنه مهما وصل بقدرته يكون محتاجا إلى رحمته وعفوه سبحانه وتعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ)(4).

يخبر تعالى بغناه عمن سواه، وبافتقار المخلوقات كلها إليه، وتذللها بين يديه واحتياجها إليه، فعلى الإنسان أن لا يشعر بالاستغناء عن الرحمة والعفو الالهي، لأن ذلك بداية للانحراف والسقوط، نعوذ بالله من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

ص: 241

1- نهج البلاغة: حكمة 408

2- غرر الحكم: ج 1 حكمة 272

3- غرر الحكم: 6: 32

4- فاطر: 15

المسألة الثامنة: التنزه عن الصفات السلبية ونبذ سياسة ردود الأفعال.

قوله (عليه السلام): (وَلَا تَدْمَنَّ عَلَى عَفْوٍ وَلَا تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَةٍ وَلَا تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ وَجَدْتَ مِنْهَا مَنُذُوحَةً)⁽¹⁾، يشير الامام عليه السلام في هذا المقطع إلى مجموعة من الصفات السلبية، يجب على الحاكم التنزه عنها وهي:

1- الندم على العفو: وَلَا تَدْمَنَّ عَلَى عَفْوٍ: يخاطب الامام المسؤولين والحكام وكل من يتصدى لموقع المسؤولية، بأن عليهم ممارسة سياسة العفو وفق القدرة والتمكين، واذا عفوا عن شخص ألا يندمون.

2- التبجح بالعقوبة.

التبجح: في اللغة معناه التكبر والتباهي، وهو عبارة عن سوء أدب وسلاطة لسان.

وَلَا تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَةٍ: ينبغي للحاكم أو المسؤول أن لا يفتخر ويشعر بالسعادة حينما يوجه عقوبة لأحد، لأن المنظومة القيادية ليست محطة لظلم الناس والشماتة بهم، بل هي رحمة وعفو وشفقة ولين، ونجد هذا المعنى في ابهى صورته في سلوك النبي (صلى عليه وآله وسلم) مع أهل مكة عندما جاء فاتحا لها.

أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عفا عن مكة وأهلها وقال (من أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن) ونهى عن القتل إلا نفاقا قد سماهم، إلا أن يقاتل أحد، فيقتل وقال لهم حين اجتمعوا في المسجد (ما ترون أني صانع بكم؟) قالوا: خيرا أخ كريم وابن أخ كريم قال (اذهبوا فأنتم الطلقاء)⁽²⁾.

ص: 242

1- نهج البلاغة خطب الإمام علي ج 3 ص 84

2- كتاب الأم: الإمام الشافعي ج 7 ص 382

المنذوحة: السعة والفسحة أو المتسع وعدم المسارعة ويمكن ترك الأمر والعزوب عنه(1).

يوصي الإمام عليه السلام مالكا بعدم المسارعة في معاقبة أحد وهناك فرصة يدرئها والخلاص منها، ويفهم من هذا المعنى القاعدة المعروفة (الحدود تدرأ بالشبهات)، فلا ينبغي للحاكم الإسراع في ردود الفعل وترتيب الأثر عليها وهو في حالة غضب، بل هو مكلف بالبحث عن منافذ شرعية مقبولة لإيقاف العقوبات، لئلا تستشري ظاهرة الجريمة والعقاب، وواضح أن الناس يميلون إلى اعتناق الرأي والحكم المقرون بالرحمة، أكثر من قبولهم بما فيه ما يثير مخاوفهم(2) وتأكيدا لهذا المعنى فقد روي الكثير من الأحاديث والروايات حول الغضب وآثاره السلبية، فعن الإمام الرضا عليه السلام: قال الغضب مفتاح كل شر(3).

وقال (عليه السلام): قال الحواريون لعيسى (عليه السلام): يا معلم الخير أعلمنا أي الأشياء أشد؟ قال: أشد الأشياء غضب الله، قالوا: فيما يتقى غضب الله؟ قال: بأن لا تغضبوا، قالوا: وما بدء الغضب؟ قال: الكبر والتجبر و محقرة الناس(4).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعت أبي عليه السلام يقول: أتى رسول الله صلى الله عليه وآله رجل بدوي فقال: إني أسكن البادية فعلمني جوامع الكلام فقال: أمرك أن لا تغضب فأعاد عليه الاعرابي المسألة ثلاث مرات حتى رجع

ص: 243

1- ينظر تهذيب اللغة: الأزهرى، ج2، ص74

2- الحكم الاسلامي في مدرسة الامام علي عليه السلام: محمد تقي المدرسي: ص82

3- مشكاة الأنوار في غرر الأخبار: علي الطبرسي ص383

4- الخصال: 189/6، روضة الواعظين: 379، البحار: 9/287/14

الرجل إلى نفسه فقال: لا أسأل عن شيء بعد هذا، ما أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله إلا بالخير قال: وكان أبي يقول: أي شيء أشد من الغضب؟ إن الرجل يغضب فيقتل النفس التي حرم الله ويقذف المحصنة(1).

وهذه هي اخلاق الإنسان الكامل المتمثلة برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) واهل بيته، انظر إلى أمير المؤمنين عليه السلام كيف تعامل مع من خرج عليه بحرب في معركة الجمل، فقد اشارت النصوص المستفيضة، بعد انتهاء المعركة لم تفرح بطول النصر ولم يعبر عن هذا النصر بالسعادة، وعندما مروا بجثمان طلحة وهو مقتول وقف الامام عليه السلام على جثمانه وقال: لقد اصبح أبو محمد بهذا المكان غريباً أما والله لقد كنت اكره أن تكون قريش قتلى تحت بطون الكواكب(2).

فيتحصل: ينبغي للحاكم أن لا يتسارع في حكم وهو في حالة غضب، لأن الغضب مفتاح كل شر، إذ يتولد منه الحقد والحسد والشماتة والتحقير والأقوال الفاحشة، وهتك الأستار، والسخرية والطرود والضرب والقتل والنهب ومنع الحقوق إلى غير ذلك مما لا يحصى.

المسألة التاسعة: المسؤولية والاستبداد.

قوله عليه السلام: (وَلَا تَقُولَنَّ إِنِّي مُؤَمَّرٌ أَمْرٌ فَأَطَاعُ فَإِنَّ ذَلِكَ إِدْغَالٌ فِي الْقَلْبِ وَمَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ وَتَقَرُّبٌ مِنَ الْغَيْرِ)(3).

يتحدث الامام عليه السلام في هذا المقطع من العهد حول موضوع الاستبداد بالمسؤولية، فينبغي لكل من يتصدى للمسؤولية ألا يقول أنا مؤمر ويجب أن

ص: 244

1- بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ص 274

2- نهج البلاغة: خطب الإمام علي، ج 2، ص 203، خطبة 219

3- المصدر نفسه، ج 3، ص 85، رسالة 53

أطاع، لكي لا- يقع في مصائد الشيطان ولا- يجعل حب الرئاسة يملكه، لأن في حب الرئاسة سوف تتولد عنده حالة التجبر والتكبر والاستبداد والنجسية فعندما يصاب المسؤول او الحاكم بهذه الأمراض الخلقية يعرض الحكومة للدخول بمطبات ومشاكل لا تحمد عقباها والتاريخ مليء بالعبر عندما يتحدث عن الحكم الاستبدادي والاثار المأساوية المترتبة عليه.

فالإمام عليه السلام يشدد على هذه الأمراض الخلقية التي قد يصاب به الحاكم، وقد تختلف هذه الأمراض من شخص إلى شخص آخر حسب موقع المسؤولية، ويقول عليه السلام لابد من وضع كوابح للسيطرة على النفس وهواها.

ويؤيد هذا المعنى قوله عليه السلام: بس الاستعداد الاستبداد(1).

ويقول عليه السلام في مورد الاستبداد والاثار المترتبة عليه: من استبد برأيه هلك(2).

وعنه عليه السلام: من استبد برأيه زل(3).

وقال عليه السلام: من استبد برأيه خفت وطأته على أعدائه(4).

ويقول عليه السلام: خاطر من استبد برأيه(5).

وعنه سلام الله عليه: الاستبداد برأيك يزلك، ويهورك إلى المهوي(6).

ص: 245

1- غرر الحكم: 3: 6: 256

2- المصدر نفسه: 5: 161

3- المصدر نفسه: 170

4- المصدر نفسه: 170

5- المصدر نفسه: 5: 460

6- المصدر نفسه: 390: 1

إذا يعدد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام جميع هذه السمات سمات خاطئة ولا يمكن ان تحقق النتيجة المطلوبة.

المسألة العاشرة: معالجة أمراض السلطة.

قوله عليه السلام: (وَإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أَبْهَةً أَوْ مَخِيلَةً

فَانظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِكَ اللَّهُ فَوْقَكَ وَقُدْرَتِهِ مَعَكَ عَلَى مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ فَإِنَّ ذَلِكَ يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ وَيَكْفُفُ عَنْكَ مِنْ غَرَبِكَ وَيَقْبِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ

عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ) (1).

يتحدث الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المقطع عن الأمراض التي تصيب السلطة والسلطان، ومن هذه الأمراض الأبهة، والعظمة، والكبرياء، والخيلاء والعجب.

الإمام (عليه السلام) يقول إذا أصيب الوالي أو ظهرت هذه الأمراض في السلطة فلا بد من معالجتها ووضع العلاج المناسب لها، ومن هذه العلاجات هو أن ينظر الوالي أو السلطان أو الحاكم إلى عظمة الله وقدرته فوقه، لأنه لا قيمة للملك الحاكم أمام ملك الله وقدرته وعظمة، فالنظر إلى هذه الأمور يقلل ويهدئ من حالة الطغيان والتمرد التي يشعر بها الحاكم أو المسؤول، ولا ريب أن آفة عقل الوالي التكبر الذي يحدث من سلطانه وملكه، فلا بدله عند ما حدث له أبهة أن يكون ناظرا إلى عظم ملك الذي وسع كرسيه السماوات والأرض وقدره القاهر على عباده الذي بيده ناصية كل شيء، وجبروت الذي بيده ملكوت كل شيء (2).

ص: 246

1- نهج البلاغة خطب الإمام علي، ج 3، ص 85، رسالة 53

2- نهج البلاغة خطب الإمام علي، ج 3، ص 85، رسالة 53

فيحذر الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) كل من يتصدى لموقع المسؤولية، بأن يكون نبها فطنا أمام الأخطار والعوارض، كعوارض السلطة والتكبر وعوارض الجاهات والمواقع والتدافع عليها، فيقول عليه السلام: (وإذا حدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة أو مخيلة، فانظر إلى عظم ملك الله فوقك، وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك، فإن ذلك يطامن إليك من طماحك، ويكف عنك من غربك، ويفي إليك بما عزب عنك من عقلك. وإياك ومساماة الله في عظمته، والتشبه به في جبروته، فإن الله يذل كل جبار، ويهين كل محتال فخور(1)).

ومن عوارض السلطة الوصول إلى حالة الطغيان والتمرد والغدر والمكيدة ونقض العهود والمواثيق، وإشاعة الظلم، واستعباد الناس، وشيوع ظاهرة النفاق، واستهداف المتدينين.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: لولا أن المكر والخديعة في النار لكنت أمكر الناس(2).

قال أمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم وهو يخطب على المنبر بالكوفة: (يا أيها الناس لولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس، ألا إن لكل غدرة فجرة ولكل فجرة كفرة ألا وإن الغدر والفجور والخيانة في النار(3)).

وعن عليّ عليه السلام: من استبد برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها(4).

ص: 247

1- منهاج الصالحين: الشيخ وحيد الخراساني، ج 1، ص 273

2- الوافي: الفيض الكاشاني، ج: 5 ص 923

3- المصدر نفسه، ج: 5 ص 923

4- الوسائل باب: 21 من أبواب أحكام العشرة حديث: 2 و 4 و 6 و 7

فيتحصل: فالحاكم إذا أراد النجاح فعليه أن يبدأ بنفسه، ويعرف قيمتها ومنزلتها وليس كحاكم أو سلطان.

والسبب في ذلك حتى يتمكن من السيطرة ويكون قويا أمام العوارض والأمراض النفسية، فيتلاشى الهوى من نفسه ويمنح القوة للآخرين، فيحقق النجاح حينئذ في المنظومة القيادية، وخلاف ذلك لا يكون النجاح والتوفيق بل الفشل وانهيار المنظومة بجوانبها.

المسألة الحادية عشر: إنصاف الحاكم وظلمه.

قال الإمام علي عليه السلام: (أَنْصِفِ اللّٰهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوَىٰ مِنْ رَعِيَّتِكَ فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلِمُ) (1)

يستعرض الإمام (عليه السلام) مسألة مهمة في عهده المالك الاشتهر (رضوان الله عليه) تعد محورا أساسيا في مفهوم الحكم وهو الانصاف.

فالإنصاف: أن تعطي غيرك من الحق من نفسك مثل الذي تحب أن تأخذه منه لو كنت مكانه، ويكون ذلك بالأقوال والأفعال، في الرضا والغضب، مع من تحب ومع من تكره.... وهو لا- يكون إلا بين اثنين، أو أمرين، أو أمر ذي طرفين. ولعل أروع تعبير ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (حب لأخيك ما تحب لنفسك وإذا احتجت فسله، وإن سألك فأعطه لا تمله خيرا ولا يمله لك، كن له ظهرا فإنه لك ظهر إذا غاب فاحفظه في غيبته وإذا شهد فزره وأجله وأكرمه فإنه منك وأنت منه فإن كان عليك عاتبا فلا تفارقه حتى تسأل سميحته وإن أصابه خير فاحمد الله، وإن ابتلى فاعضده وإن تمحل فأعنه) (2).

ص: 248

1- نهج البلاغة خطب الإمام علي، ج 3، ص 86، رسالة 53

2- النظام السياسي في الإسلام: الشيخ باقر شريف القرشي، ص 229

أولاً: انصاف الله سبحانه وتعالى: لأنه الخالق المنعم على العباد بيده كل شيء، ويتحقق انصافه بتأدية حقوقه، ومن هذه الحقوق حق العبودية له سبحانه وتعالى (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (1) وشكره على نعمه التي لا تحصى (وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) (2)، ومن حقوقه الصبر على بلائه (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين) (3).

ثانياً: انصاف الناس: يعني أداء حقوق الآخرين كاملة غير منقوصة مع رعاية المساواة.

وعن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول مَنْ: تَحَلَّى بِالْإِنصَافِ. بَلَغَ: مَرَاتِبَ الإِشْرَافِ (4).

قال عليه السلام: الإنصاف: عنوان النبيل؛ الإنصاف: شيمة الأشراف؛ الإنصاف: أفضل الفضائل؛ الإنصاف: أفضل الشيم (5).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: ألا إنه: من ينصف الناس من نفسه، لم يزد الله إلا عزاً (6).

ص: 249

1- الذاريات: 51

2- النحل: 18

3- البقرة: 155

4- غرر الحكم ص 394 ح 9111

5- المصدر نفسه 394 ف 4 ح 9093-9124

6- الكافي: ج 4، ح 5. ص 146 ح 12، 13

وقال الإمام الصادق عليه السلام: من يضمن لي: أربعة، بأربعة آيات في الجنة: أنفق: ولا تخف فقرا. وأفش: السلام في العالم. وأترك: المرء وإن كنت محقا. وأنصف: الناس، من نفسك(1).

قال الإمام الصادق عليه السلام: من أنصف: الناس من نفسه. رضي به: حكما لغيره(2).

وقال علي (عليه السلام): الإنصاف: من النفس، كالعدل في الإمرة(3).

وفي أمالي الطوسي عن الصادق - عليه السلام - قال: (من اراد ان يسكنه الله جنته فليحسن خلقه وليعط النصفة من نفسه وليرحم اليتيم وليعن الضعيف وليتواضع لله الذي خلقه)(4).

ويعدّ الانصاف من الامور التي توفر للإنسان السعادة والاطمئنان.

قال الإمام الحسين عليه السلام: أيها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى أعظكم بما يحقّ لكم عليّ، وحتى أعذر إليكم، فإن أعطيتموني النصف كنتم بذلك سعداء وإن لم تعطوني النصف من أنفسكم فأجمعوا رأيكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة ثم اقضوا إليّ ولا تنظرون، إنّ وليّ الله الذي نزل الكتاب وهو يتولّى الصالحين.

ص: 250

1- ج2 ص144 ح1، ح3

2- ح4، ح5. ص146 ح12، 13

3- غرر الحكم: 230: 1

4- الامالي: للطوسي

ومن أحلى الكلام في الإنصاف، قول أمير المؤمنين عليه السلام:

إن كنت تطلب رتبة الأشراف *** فعليك بالإحسان والإنصاف

وإذا اعتدى أحد عليك فخله *** والدهر فهو له مكاف كاف

المسألة الثانية عشر: ظلم العباد وحلول العقوبة الالهية.

قوله عليه السلام: (وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَمَا أَنْ اللَّهُ خَصَّ مَهْ دُونَ عِبَادِهِ وَمَنْ خَاصَّ مَهْ اللَّهُ أَدْحَصَّ حُجَّتَهُ وَكَانَ لِلَّهِ حَرْبًا حَتَّى يَنْزِعَ أَوْ يَتُوبَ،... وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللَّهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةِ عَلَى ظُلْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمُضْطَّهِدِينَ وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ) (1).

يشير الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المقطع من العهد إلى طبيعة ظلم الناس من قبل الحاكم أو المسؤول، فيوصي الإمام (عليه السلام) مالكا بأنصاف الناس وعدم ممارسة حالة التسلط وظلم الناس.

ويتحدث الإمام (عليه السلام) في الفقرة الأولى من هذا المقطع عن أن الله سبحانه وتعالى لا يترك المظلوم حتى يأخذ بحقه.

ويشير في الفقرة الثانية إن الله تعالى هو الذي يتولى أمر الظالم قبل المظلوم، ويدحض الله حجة الظالم وإبطالها وإظهار زيفها.

ومن اقبح الرذائل والأزمئة ان يكون الإنسان في موقع الظلم لعباد الله وخصمه الله سبحانه وتعالى، لأن أشد الخصومات الخصومة مع الله تبارك وتعالى، لأنه عالم بكل شيء وحسابه عسير وعذابه أليم.

ص: 251

1- نهج البلاغة خطب الإمام علي ج 2 ص 73 خطبة 27؛ ديوان الإمام علي مصطفى زماني

والعجب أن الإمام (عليه السلام) يصف من يظلم عباد الله بأنه (وكان الله حرباً) أي أن الظالم ليس في حال خوض الحرب ضد الله، بل هو نفسه عبارة عن حرب ضد الله وهذا التعبير يتضمن المعنى نفسه، كالمقلنا في بيان التوضيح (زيد عادل) وأخرى تقول (زيد عدل) رغم أنها تتضمن مفهوم العبارة (زيد عادل) إلا أنها تقيده أمراً آخر وهو شدة ثبوت العدالة لزيد، واتصافه بأنه كتلة من العدل من دون مخالفة العبارات الأخرى، فالظالم هنا هو كتلة من الحرب تتجسد فيه حرب الله(1).

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله): يقول الله عز وجل: وعزتي وجلالي لأنتقم من الظالم في عاجله وآجله، ولأنتقم ممن رأى مظلوماً فقدر أن ينصره فلم ينصره(2).

وعن سهل بن حنيف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال من أذّلّ عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على أن ينصره أذله الله عز وجل على رؤوس الخلائق يوم القيامة(3).

ويروي العلامة المجلسي: إن أمير المؤمنين عليه السلام صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس أن الذنوب ثلاثة ثم أمسك فقال له حبة العرني يا أمير المؤمنين فسرّهالي فقال ما ذكرتها إلا وأنا أريد أن أفسرها ولكنه عرض لي بهر حال بيني وبين الكلام، نعم الذنوب ثلاثة فذنب مغفور وذنب غير مغفور وذنب نرجو لصاحبه ونخاف عليه، قيل يا أمير المؤمنين فبيّتها لنا، قال نعم،

ص: 252

-
- 1- الدولة الإسلامية شرح لعهد الامام علي (عليه السلام) إلى مالك الأشتر النخعي: محمد فاضل النكراني: ص 83
 - 2- ميزان الحكمة: محمد الريشهري الجزء: 2 ص 1774؛ وينظر: كنز العمال: 7641
 - 3- مجمع الزوائد: الهيثمي الجزء: 7 ص 267

أما الذنب المغفور فعبد عاقبه الله تعالى على ذنبه في الدنيا فالله أحكم وأكرم ان يعاقب عبده مرتين، وأما الذنب الذي لا يغفر فظلم العباد بعضهم لبعض أن الله تعالى وتبارك إذا برز لخلقه أقسم قسما على نفسه فقال وعزتي وجلالي لا يجوز لي ظلم ظالم ولو كلف بكف ولو مسحة بكف ونطحة الشاة القرناء إلى الشاة الجماء فيقتص الله للعباد بعضهم من بعض حتى لا يبقى لأحد عند أحد مظلمة ثم يبعثهم الله إلى الحساب وأما الذنب الثالث فذنب ستره الله على عبده ورزقه التوبة فأصبح خاشعا من ذنبه راجيا لربه فنحن له كاهو لنفسه نرجوله الرحمة ونخاف عليه العقاب(1).

فحينما يستذكر الإمام أمير المؤمنين هذه الأقسام من الذنوب تحصل عنده حالة من الخوف الشديد من الله تبارك وتعالى. من أن لا يغفر له الله تعالى ذنبه، وهذا هو منهج أهل البيت عليهم السلام في تربية الأمة وكيف يكون الحاكم فيها. فيجب على الحكومة الإسلامية والحاكم الإسلامي أن يتأسوا برسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في النزاهة والأمانة أيام إدارة الحكم(2).

لذا نجد التشدد الكبير والتحذير من قبل الباري عز وجل من ممارسة الظلم من قبل الحاكم أو المسؤول، يقول علي (عليه السلام):

ظالم الناس يوم القيامة منكوب بظلمه معذب محروب، ظلم اليتامى والأيتامى ينزل النقم ويسلب النعم(3).

ص: 253

1- بحار الأنوار، ج 3، ص 100

2- فقه العولمة، السيد محمد الحسيني الشيرازي، ص 200

3- عيون الحكم والمواعظ: علي بن محمد الليثي الواسطي، ص 324

ظالم الناس يأتي يوم القيامة منكوس الرأس ومفتضحاً بين الأشهاد كما في تعبير الروايات الشريفة.

لذا يحذر الإمام (عليه السلام) من الظلم الذي يعجل العقوبة لصاحبه، جاء في الرواية سئل الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): أي ذنب أعجل عقوبة لصاحبه؟ فقال (من ظلم من لا ناصر له إلا الله وجاور النعمة بالتقصير واستطال بالبغي على الفقير)(1).

يتحدث الإمام (عليه السلام) من خلال الرواية عن ثلاثة أقسام من الذنوب:

القسم الأول: من الذنوب ظلم من لا ناصر له إلا الله، ويتحقق هذا النوع من الظلم في أكل أموال اليتامى والتعدي عليهم.

القسم الثاني: مجازاة النعم الإلهية بالتقصير ومن النعم الإلهية أن يمن الله على الإنسان بخدمة الناس من خلال الموقع الرئاسي والمنصب الحكومي، ولكن لا يستفيد من هذه النعمة بل يحولها إلى نعمة من خلال ظلم الناس والتعدي عليهم وسلب حرياتهم وحقوقهم.

القسم الثالث: الاستطالة على الفقراء وغصب حقوقهم والبغي عليهم.

يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): يوم العدل على الظالم أشد من يوم الجور على المظلوم(2).

ثم يسترجع الامام (عليه السلام) ويقول ان للظالم توبة اذا رجع وعاد إلى رشده.

ص: 254

1- الاختصاص: الشيخ المفيد، ص 234

2- نهج البلاغة: خطب الإمام علي (عليه السلام)، ج 4، ص 80

كما بيّنه (عليه السلام) بقوله: كان لله حربا حتى ينزع ويتوب(1). ومن كلام اله (عليه السلام) يبين فيه الظلم: يقول ألا وإن الظلم ثلاثة: فظلم لا- يغفر، و ظلم لا يترك، و ظلم مغفور لا- يطلب، فأما الظلم الذي لا يغفر، فالشرك بالله تعالى، قال الله تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به) وأما الظلم الذي يغفر، فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات، وأما الظلم الذي لا يترك، فظلم العباد بعضهم بعضا، القصاص هناك شديد، ليس هو جراحا بالمدى ولا ضربا بالسياط، ولكنه ما يستصغر ذلك معه(2).

فيتحصل: إن ظلم الحاكم هو في حد ذاته حرب مع الله سبحانه وتعالى، كما و اشار الله سبحانه وتعالى في الفقرة (كَانَ لِلَّهِ حَرْبًا) ولم يقل الإمام (عليه السلام) ان المسؤول او الحاكم هو محارب بل استعمل المصدر فقال حربا لشدة تأكيده بالتنكيل، فالحاكم الظالم ليس محاربا لله فقط، بل هو حرب و مسيئ للعباد من خلال استغلال موقعه الحكومي.

المسألة الثالثة عشر: غض النظر والتغافل.

(وَتَغَابَ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَضِحُ لَكَ وَلَا تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌّ وَإِنْ تَسَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ)(3).

يتحدث الإمام (عليه السلام) في هذا المقطع من العهد الشريف عن سمتين لابد من توافرهما في الحاكم وكل من يتصدى إلى المسؤولية.

ص: 255

1- نهج البلاغة: خطب الامام علي (عليه السلام) ج 3 ص 95

2- مستدرک الوسائل: ميرزا حسين النوري الطبرسي الجزء: 12 ص 104

3- نهج البلاغة خطب الإمام علي ج 3 ص 87 رسالة 53

السمة الأولى: غض النظر والتغافل عن الصغائر والتفاصيل الجزئية، يجب على الحاكم أن يتحلى بسعة الصدر والتعامل بعقلانية ويكون ذا أفق واسع ينظر للأمور بعين ثاقبة وتجنب القيل والقال وعدم الوقوف عندها (وَتَغَابَ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَضِيحُ لَكَ)، التغافل عن الأمور التي لا تظهر فيها اساءة إلى القانون والناس، كالأموال الجزئية والقضايا الهامشية فتترك المحاسبة عليها.

السمة الثانية: التصديق بالنامين والوشاة يؤدي إلى انهيار المنظومة القيادية (وَلَا تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ) ثم يعلل الإمام (عليه السلام) عدم تصديق هؤلاء بقوله (فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌّ وَإِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ)، إن النامين والوشاة من طبيعتهم الغش وإظهار للحاكم بمظهر الحرص والنصح، فالإمام عليه السلام يوصي مالكا بعدم ترتب الأثر على أقوال هؤلاء، فعلى الحاكم أن يستحضر الأهداف الكبرى ويغض الطرف عن الجزئيات والصغائر.

يقول (عليه السلام): إن لله عبادا عاملوه بخالص من سره، فشكر لهم بخالص من شكره، فأولئك تمر صحفهم يوم القيامة فرغا، فإذا وقفوا بين يديه مלאها لهم من سر ما أسروا إليه. وقال عليه السلام: ذللوا أخلاقكم بالمحاسن، وقودوها إلى المكارم، وعودوا أنفسكم الحلم واصبروا على الايثار على أنفسكم فيما تجمدون عنه ولا تداقوا الناس وزنا بوزن. وعظمو أقداركم بالتغافل عن الدني من الأمور. وأمسكوا رفق الضعيف بجاهكم وبالمعونة له إن عجزتم عا رجاء عندكم. ولا تكونوا باحثين عياغاب عنكم فيكثر غائبكم. وتحفظوا من الكذب، فإنه من أدنى الأخلاق قدرا وهو نوع عن الفحش وضرب من الدناءة. وتكرموا بالعامي عن الاستقصاء - وروي بالتعامس من الاستقصاء(1).

ص: 256

وعنه (عليه السلام): نصف العاقل احتمال ونصفه تغافل(1): العاقل لا يكون عاقلاً إلا بأمرين التحمل وسعة الصدر وغيض الطرف عن الجزئيات.

وقال (عليه السلام): لا حلم كالتغافل. لا عقل كالتجاهل(2).

وقال أيضاً (عليه السلام): من لم يتغافل ولا يغيض عن كثير من الأمور تنغصت عيشته(3).

فيتحصل: إذا: إن التغافل وغيض النظر عن الجزئيات والصغائر يؤدي إلى التكامل والاستقامة في السلوك القيادي، ودليل القوة في المنظومة القيادية، مما يؤدي إلى تشخيص الأهداف وفق المسارات الصحيحة.

المسألة الرابعة عشر: الاستعانة بأصحاب التجربة والخبرة.

قوله عليه السلام: (إِنَّ شَرَّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِأَشْرَارِ قَبْلِكَ وَزِيْرًا وَمَنْ شَرِكُهُمْ فِي الْإِثْمِ فَلَا يَكُونَنَّ لَكَ بِطَانَةً فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الْأَثْمَةِ وَإِخْوَانُ الظُّلْمَةِ وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلْفِ مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَفَادِهِمْ وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ أَصَارِهِمْ وَأَوْزَارِهِمْ وَأَثَامِهِمْ مِمَّنْ لَمْ يُعَاوَنُ ظَالِمًا عَلَى ظُلْمِهِ وَلَا آثِمًا عَلَى إِثْمِهِ أَوْلِيكَ أَحْفُ عَلَيْكَ مَوْئِنَةٌ وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةٌ وَأَحْنَى عَلَيْكَ عَطْفًا وَأَقْلُ لِعَيْبِكَ إِفْأَاتُخِذْ أَوْلِيكَ خَاصَّةً لِخَلَوَاتِكَ وَحَفَلَاتِكَ)(4).

ص: 257

1- عيون الحكم والمواعظ: 94

2- غرر الحكم: 6: 356

3- غرر الحكم: 4663، 9149، 789

4- نهج البلاغة خطب الإمام علي ج 3 ص 87

يتحدث الإمام (عليه السلام) في هذا المقطع من العهد حول الوزراء السات والخصال التي لابد من توافرها فيهم.

الوزراء: هم أرفع الأفراد الذين يضطلعون بمسؤولية برمجة مشاريع الحكومة، وهم الذين يمكنهم قيادة المسيرة نحو الصلاح والفلاح أو جرّها إلى الفساد والانحراف(1).

والوزير هو المساعد الذي يكون ضمن تشكيلة وهيكلية فريق العمل والحكومة الذي يختاره الحاكم لإدارة البلاد، ويؤكد الإمام (عليه السلام) على ذلك بأن يكون الوزير متوافراً فيه الخصال المطلوبة.

ويحذر الإمام (عليه السلام) من اختيار الوزراء الذين كانوا وزراء في مناصب حكومات جائرة وفسادة، لماذا يحذر الإمام (عليه السلام) من دخول هؤلاء الوزراء في الحكومات العادلة؟ لأن مثل هؤلاء الأفراد قد تأقلموا على الثقافة الفاسدة السائدة في ذلك النظام، فهم لا يتورعون عن الظلم(2).

فهؤلاء ممن اشترك مع الحكام الظلمة السابقين في الآثام، ومن ديدن هؤلاء أنهم لا يقربون أحداً إلا ولطخوه بسوء أفعالهم وسمعتهم، فالإمام (عليه السلام) يحذر مالك الاشر (رضوان الله عليه) من اقتراب وزراء مثل هؤلاء إلى الحكومة، لأنهم يكونون سبباً لظلم الناس والاستحواذ على حقوقهم، ثم يوصي مالكا بعدم تفرق الناس بينه وبين من كان مع الظلمة، يقول له ليس من الضرورة أن تكون أنت بالناس معهم بل اشرك من كان معك في الحكومة أن يكون قريباً من هؤلاء.

ص: 258

1- الدولة الاسلامية شرح لعهد الامام علي إلى مالك الأشر النخعي: محمد الفاضل اللنكراني: ص 100

2- المصدر نفسه، ص 100

ثم أن الإمام (عليه السلام) يفتح لمالك نافذة فيما لو كان في الحكومة السابقة من اصحاب الخبرة والتجربة سابقا ويمكن الاستفادة منه لاحقا ماذا يكون الأمر؟ يقول (عليه السلام): (وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلْفِ) فاذا اضطرت استند ممن لم تلطخ يده بدماء الابرياء، يكون لك عوننا وسندا في ادارة البلاد.

الإمام (عليه السلام) يتحدث قبل الف واربعمائة سنة وهذه الحقائق تتجدد في كل زمان ومكان، لأن الإمام (عليه السلام) وضع دستورا عالميا لكل زمان ومكان.

فيشير الإمام (عليه السلام) ايضا في هذا المقطع إلى بيان كيفية اختيار الوزراء في الحكومة من خلال عنصرين أساسيين، ويعد هذان العنصران دستورا اساسيا في اختيار الكابينة الوزارية ونجاح الحكم في البلاد وهما:

الأول النظر إلى الماضي السياسي النظيف للمسؤول أو الوزير الذي يتم اختياره ليكون أحد افراد فريق العمل الحكومي، ويتجلى هذا العنصر من خلال قول الامام (عليه السلام): (مِمَّنْ لَمْ يُعَاوِنْ ظَالِمًا عَلَى ظُلْمِهِ) يؤكد الامام على التاريخ السياسي النظيف الذي لا بد ان يحمله ممن يتصدى للحكم وإدارة البلاد، ورفع اليد عن من لم يحملوا هذا التاريخ بل كانوا عوناً للظلمة في ظلمهم، لأن الذي يضع يده بيد الظالم ويسير معه يترتب عليه أثر وضعي لا بد من معالجته.

إذا من خلال هذه النقطة يتفرع السؤال الآتي؟ هل يكون الدخول في ولاية الحاكم الجائر جائزا شرعا أولا؟ فاذا كان جائزا فيا هو مقدار مساحة مشروعية الدخول؟ قبل الاجابة عن هذا التساؤل لا بد من ايجاد تعريفٍ للولاية وأقسامها:

الولاية: في اللغة بالفتح والنصب النصر والغلبة، ومنه قوله تعالى: «اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ»(1). والولاية: إما مشترك معنوي، وإما مشترك لفظي، بالدرجة الأولى أن تكون الولاية مشتركاً معنوياً، فمعنى الولاية إذا قيل: فلان ولي فلان، أي فلان هو القائم بأمر فلان، فلان ولي هذه الصغيرة، أي القائم بشؤون هذه الصغيرة، فلان ولي الأمر أي القائم بشؤون هذا الأمر، ولذا يقال للسلطان: ولي. هذا المعنى هو واقع معنى الولاية. ونجد هذا المعنى في جميع موارد استعمال لفظ الولاية ومشتقاته، مثلاً: الصديق وليّ، الجار وليّ، الحليف وليّ، الأب وليّ، الله وليّ، ورسوله وليّ، وهكذا في الموارد الأخرى من الأولياء والولاية أيضاً السلطة التي يمتلكها الإنسان على الشيء، ومنه قيل لكل من السلطان والقاضي ولي، لأنه يملك الحكم على الناس، يقال وليّ الشيء ولي على الشيء ولاية بفتح الواو وكسرهما، إذا ملك أمره وقام عليه... فإنّ المعنى الذي ذكرناه موجود في جميع الموارد، وهو القيام بالأمر(2).

الولاية في اصطلاح الفقهاء، هي: (سلطة شرعية يسوغ لصاحبها التصرف بمحل الولاية تصرفاً نافذاً غير موقوف على إجازة أحد).

وهي قسان: قاصرة ومتعدية، فالقاصرة هي سلطة الإنسان على إنفاذ أقواله وتصرفاته، والمتعدية هي سلطته على إنفاذ تصرفات غيره، وكل من هذين القسمين ينقسم إلى قسمين، ولاية على النفس، وولاية على المال(3).

ص: 260

1- البقرة: 257

2- ينظر: الصحاح 6 / 2030، لسان العرب 15 / 406، تاج العروس 10 / 399، في مادة (ولي)، المغرب في ترتيب المعرب: أبو الفتح المطرزي ج 5 ص 395

3- المكاسب المحرمة، ج 2، ص 159

ثم هناك نصوص صريحة في أنه يجوز الدخول في ولاية الجائر إذا كان سيقوم بمصالح العباد، فقد روى علي بن يقطين قال: قال لي أبو الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام): إن الله تبارك وتعالى مع السلطان أولياء يدفع بهم عن أوليائه(1).

إذا من خلال هذا الكلام الذي استعرضناه في السمة الأولى من السمات التي لا بد من توافرها في الوزراء يتحصل مايلي:

أولاً: يتضح من كلام الإمام (عليه السلام) أنه لا مانع من الاستفادة من اصحاب الخبرة والتجربة ممن كانوا تحت ولاية الحاكم الظلم، ممن لم يعينوا الظالم على ظلمه، ولم يسيروا بسيرته ويسلكوا سلوكه.

السمة الثانية: أن الوزراء الذين كانوا في الحكومات السابقة التي تحمل سمعة سيئة منهم من يعمل بسرية من اجل انقاذ حقوق الناس والانتصار لهم وهذا ما ذكرناه في حديثنا حول الدخول في ولاية الحاكم الظالم أو الجائر، والقسم الآخر وضع يده بيد الحاكم واخذ ينتصر للحاكم على ظلم الناس وسلب حقوقهم.

النظر إلى الجانب الأخلاقي النظيف: يتحدث الإمام (عليه السلام) في جزء آخر من المقطع إلى الجانب الاخلاقي الذي يحمله الوزير او المسؤول الذي يتصدى إلى المسؤولية : يقول (عليه السلام): (وَلَا آثِمًا عَلَيَّ إِثْمِهِ) اشارة إلى الأشخاص الذين لم يرتكبوا المعاصي ولا يعينوا أحدا عليها.

فالإمام (عليه السلام) يوصي عامله (رضوان الله عليه) بطرد عناصر النظام السابق، ثم يرشده إلى العناصر الكفوءة الثورية المجربة لسد الفراغ، خشية أن

ص: 261

تؤدي تلك التصفية إلى قلة الكادر المجرب والمتخصص، ثم يطرد عنه بعض الأفكار الخيالية التي تجعله يعيش هاجس القلق من تلك التصفية، فما إن تطرد تلك العناصر الفاسدة حتى تستبدل بكل سهولة بالعناصر الثورية الصالحة(1).

إذا لابد للحاكم من اعتاد العناصر النزيهة والكفوءة كل حسب موقعه بالسلطة، ثم يبين الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) الخصال الايجابية التي يتمتع بها هؤلاء الوزراء الجدد، ويذكر (عليه السلام) أربعاً من الخصال الايجابية:

أولاً: أنهم أخف مؤونة: (أُولَئِكَ أَخَفُّ عَلَيْكَ مَوْنَةً) أن هؤلاء الأفراد لا يتقلون كاهل الوالي في النفقات، ليس لديهم توقعات و امتيازات كثيرة وعيونهم مفتحة على الخدمة والعمل، وهم كما وصفهم رسول الله (صلى الله عليه واله) بقوله: «لا يكمل المؤمن إيمانه حتي يحتوي على مئة وثلاث خصال: فعل، وعمل، ونية، وباطن، وظاهر. فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): يا رسول الله صلى الله عليه وآله: ما المائة وثلاث خصال؟ فقال: ياعلي من صفات المؤمن (.... قليل المؤونة، كثير المعونة،.....)(2)، لا تكون توقعاته كثيرة، ويساعد الناس كثيراً، يعبرون عنهم بأصحاب الخدمة،

ثانياً: وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً: إن هؤلاء احسن معونة لك في أسهاماتهم في تحمل المسؤولية، ومساعدوك في العمل حيث لا يتوانون يصلون الليل بالنهار مخلصون في سبيل ما يقدمونه من خدمة للناس وللبلاد، فهم اصحاب قضية ومشروع، فعندما يأتي بهم الوالي في إدارة البلاد سوف يسير عمله بصورة صحيحة.

ص: 262

1- الدولة الاسلامية شرح لعهد الامام علي (عليه السلام) إلى مالك الأشتر النخعي: محمد الفاضل اللنكراني: ص 101

2- منهاج الصالحين: الشيخ وحيد الخراساني الجزء 1: ص 525؛ مستدرك الوسائل، ميرزا حسين النوري للطبرسي، ج 11، ص 180

ثالثاً: وَأَخْنَى عَلَيْنِكَ عَطْفًا: ثم يصفهم الإمام (عليه السلام) بوصف ثالث وهو (حسن الولاء) أي يكون حبهم للوالي أكثر من غيره، لأنهم يتفقون معه في الفكر والدوافع والنيات مما يتسبب في فوران محبتهم وشدة تعاطفهم مع الوالي(1).

وكم نحن بأمس الحاجة اليوم إلى مثل هؤلاء الأشخاص الذين تحترق قلوبهم دما على حب الوطن والولاء له، لكي يدفع الله عنا ألوان البلاء.

رابعاً: وَأَقَلُّ لِعَيْرِكَ إِلْفًا: يتحدث الإمام (عليه السلام) في الوصف الرابع عن الوزراء السابقين الذين تكون لهم رابطة مع اعوان الظلمة الماضين، هؤلاء ينتمون إلى شبكة ومنظومة وروابط علاقات اجتماعية يشكلون من خلالها خطراً على الدولة والنظام الجديد.

ومن الجلي أن أنصار الظلمة السابقين ليسوا فقط غير صالحين معهم، بل با أن الناس يعرفون سوابقهم السيئة مما يؤدي إلى ضعف اعتمادهم على الوالي وعدم التعاون معه بشكل جيد.

وجاء في الخبر المرفوع: « ينادي يوم القيامة: أين من بري لهم - أي الظالمين قلما». أتى الوليد بن عبد الملك برجل من الخوارج فقال له ما تقول في الحجاج قال: وما عسيت أن أقول فيه! هل هو إلا خطيئة من خطاياك، وشرر من نارك؟ فلعنك الله ولعن الحجاج معك! وأقبل يشتمها، فالتفت الوليد إلى عمر بن عبد العزيز فقال: ما تقول في هذا؟ قال: ما أقول فيه! هذا رجل يشتمكم، فيما أن تشتموه كما شتمكم، وإما أن تعفوا عنه. فغضب الوليد وقال لعمر: ما أظنك إلا خارجياً! فقال عمر: وما أظنك إلا مجنوناً، وقام فخرج مغضباً، ولحقه خالد ابن الريان صاحب شرطة الوليد، فقال له ما دعاك إلى ما كلمت به أمير المؤمنين!

ص: 263

لقد ضربت بيدي إلى قائم سيفي أنتظر متى يأمرني بضرب عنقك، قال أو كنت فاعلا لو أمرك قال نعم فلا استخلف عمر جاء خالد بن الريان فوقف على رأسه متقلدا سيفه، فنظر إليه وقال: يا خالد، ضع سيفك فإنك مطيعنا في كل أمر نأمرك به - وكان بين يديه كاتب للوليد، فقال له: ضع أنت قلمك، فإنك كنت تضرب به وتنفع اللهم إني قد وضعتها فلا ترفعها، قال: فوالله ما زالا وضيعين مهينين حتى ماتا(1).

ثم إن الإمام (عليه السلام) يوصي الوالي الجديد أن يختار هؤلاء الخاصة خلواته: أي اوقات المشورة خلف الأبواب المغلقة وخاصة حفلاته: تعني اوقات حضوره بين الناس، فتعرفهم الناس بأن هؤلاء اصحاب سيرة حسنة وتاريخ جهادي و سياسي كبير فيحمدون الله على ما هم عليه من واقع يعيشون فيه، وإذا انظروا إلى غيرهم تعتريهم حالة التعجب في كل خبر يتلقونه.

المسألة الخامسة عشر: معيار نجاح الولاية.

قوله عليه السلام (ثُمَّ لِيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلُهُمْ بِمُرِّ الْحَقِّ لَكَ وَأَقْلَهُمْ مُسَاعَدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللَّهُ لِأَوْلِيَائِهِ وَأَقْعًا ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ)(2).

يذكر الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المقطع خصوصيتين أساسيتين يجب توافرها في الوزراء ممن يتم انتخابهم في إدارة الدولة واشراكهم في فريق العمل الحكومي، وهما:

ص: 264

1- شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج 17 ص 43

2- نهج البلاغة خطب الإمام علي ج 3 ص 88

أولاً: النصيحة: يوصي الإمام (عليه السلام) الحاكم والمسؤول أن يكون أقرب الناس إليه هو الأكثر نصحاً، وهذا الأمر يتضح من خلال قوله (عليه السلام): (تُمْ لِيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلُهُمْ بِمُرِّ الْحَقِّ لَكَ).

النصيحة: وهي المشورة بما فيه الحظ والصلاح ونصح الشيء مثل نصع: إذا خلص، ومنه سميت النصيحة، ويقولون أيضاً نصحت الثوب أنصحه نصحا إذا خطته. والناصح: الخياط. والنصاح: الخيط. ويقال نصحت الإبل نصوحا: إذا رويت، وانصحتها أنا إنصاحا. والنصاحات: الجلود، واحداها نصاح(1).

حق المؤمن على المؤمن، أن يحضه النصيحة في المشهد والمغيب كنصيحته لنفسه(2).

عن أبي جعفر عليه السلام قال: (يجب للمؤمن على المؤمن النصيحة)(3).

والنصيحة الصحيحة يكون فيها ازعاج للطرف المقابل، فمن الصعب جدا أن يقف الشخص بوجه الحاكم وينصحه ويتقبل النصح من دون ازعاج وترتيب الاثار على ذلك فعلى الحاكم او المسؤول أن يقرب من هو أكثر الناس صراحة وصدقا معه في قول الحقيقة وبيان أخطائه لأن نجاح المنظومة القيادية لا يكون إلا من خلال الانسجام والصراحة وقول الحق.

ثانياً: عدم الإعانة على الاثم: يوصي الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) الحاكم أو الوالي، أن يقرب الناس أو الأشخاص الذين يكونون أقل اعانة له على الاثم يقول (عليه السلام) منبها الوالي من ارتكاب الاخطاء وعدم قبول النصائح من المقربين والاصابة بالترجسية وعلو حالة الكبرياء في الذات.

ص: 265

1- رسائل الشريف المرتضى، ج 4، ص 78

2- فقه الرضا: علي ابن بابويه القمي، ص 369

3- روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه: محمد تقي المجلسي (الأول)، ج 9 ص 408

يقول (عليه السلام): لو سلكت طريقاً غير صحيح، أو ارتكبت خطأً فإن هؤلاء لا يعينوك على ذلك، أي انهم يملكون آراء وتفكيراً يختلف تماماً مع آراء وافكار الحاكم، فعلى المسؤول أن لا يقدم على الأعمال الخاطئة واتخاذ القرارات الغير مؤثرة، فإنها تؤثر في سير وأهداف المنظومة القيادية، فعليه معالجة الأخطاء ووضع الكوابح التي توقف الإنسان عن الاندفاع نحو الأخطاء والاصابة بهذه الأمراض.

إذا: توجد هناك خصوصيتان أساسيتان يجب ملاحظتها في الوزراء الذين يتصدون لإدارة البلاد وهما الصراحة، وعدم التاشي مع المواقف الخاطئة.

ومن النصوص ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام): إنا يحبك من لا يتملكك ويثني عليك من لا يسمعك من مدحك بما لا يليق فحقيق أن يذمك بما ليس فيك، أبق لرضاك من غضبك، لا يرضى عنك الحسود حتى تموت إذا قدمت الرحمة شبهت بالقرابة، لا تسرع إلى أرفع موضع في المجلس فالموضع الذي ترفع إليه خير من الموضع الذي تحط عنه(1).

وعنه (عليه السلام): ليس الملق من خلق الأنبياء(2).

وقال (عليه السلام): ليس من أخلاق المؤمن الملق ولا الحسد إلا في طلب العلم(3).

فعلى الحاكم أن يحذر من المتملقين، لأن التملق ليس دليل المحبة بل هو الانتهازية والتقرب من السلطان بأي طريقة ووجه كان.

فلذا ينبغي على الوالي أن يقرب من هو صادق في نواياه فيكون صديقاً حقيقياً له.

ص: 266

1- عيون الحكم والمواعظ: علي بن محمد الليثي الواسطي ص 177

2- غرر الحكم: ح 2696

3- بحار الأنوار: ج 75 ص 44 ح 44

ومن كلام لأمير المؤمنين (عليه السلام) يصف فيه العدو الغادر يقول: إنما سمي العدو عدواً لأنه يعدو عليك، فمن داهنك في معايك فهو العدو العادي عليك(1).

المسألة السادسة عشر: صفات المقربين من الحاكم.

قوله عليه السلام (وَأَصْحَابُ الْوَرَعِ وَالصِّدْقِ ثُمَّ رُضُّهُمْ عَلَىٰ الْإِطْرَاقِ وَلَا يَبْجَحُوكَ بِنَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ فَإِنَّ كَثْرَةَ الْإِطْرَاقِ تُحْدِثُ الرَّهْوَ وَتُدْنِي مِنَ الْعِزَّةِ)(2)

يتحدث الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المقطع من العهد الشريف، في مقام الوصية للوالي أو الحاكم والمسؤول عند اختيار من يجعل نفسه لصيقاً بهم، من أفراد حاشيته وأصدقائه وأقاربه، أن تتوافر بهم صفتان أساسيتان هما الورع والصدق.

أولاً: الورع.

هو العفة وحسن السيرة، وهو مرتبة وراء العدالة تبعث على ترك المكروهات والتجنب عن الشبهات والرخص، ويؤيد اعتبارها في المراتب أن العدالة المعتمدة في الإمام تقبل الشدة والضعف، فكما يقدم الأكثر فقهاً والأكثر قرآناً وغيرهما، فكذا الأشد عدالةً، وحيث كانت العدالة معتبرةً في جميع المراتب كانت زيادتها مرجحةً في الجميع. ولأن الإمامة سفارة بين الله تعالى وبين الخلق، فأولاهم بها أكرمهم على الله، وكلما كان الورع أتم كان تحقق العدالة أشدً.(3)

ص: 267

1- عيون الحكم والمواعظ: 177

2- نهج البلاغة خطب الإمام علي ج 3 ص 85

3- روض الجنان في شرح ارشاد الأذهان، الشهيد الثاني ت: 965 هـ تحقيق: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، ط 1، 1922 هـ، ج 2، الناشر: بوستان كتاب قم

ومنه قوله تعالى واصفا عباده: «وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا»(1).

هذه الآيات تشير إلى الورع وتهذيب النفس والخصال الحميدة التي يمتلكها الإنسان الورع التي ذكرتها الآيات المباركة من سورة الفرقان. ومنه قول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): (أصل الورع تجنب الشهوات)(2). وعنه (عليه السلام) أيضاً: أصل الورع تجنب الآثام والتنزه عن الحرام(3).

ويقول (عليه السلام): (إنما الورع التطهير عن المعاصي)(4).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): من لم يكن له ورع يردّه عن معصية الله تعالى إذا خلا بهالم يعبأ الله بسائر عمله، فذلك مخافة الله في السر والعلانية(5). ثم يعد الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) الورع صيانة الإنسان من الرذائل والتحلي بالفضائل.

ص: 268

1- الفرقان: الآيات 63 - 67

2- عيون الحكم والمواعظ: علي بن محمد الليثي الواسطي . تحقيق: الشيخ حسين الحسيني البيرجندي، ط 1، مطبعة دار الحديث

3- عيون الحكم والمواعظ: علي الواسطي، ص 131

4- عيون الحكم والمواعظ: 178

5- ميزان الحكمة: محمد الريشهري، ج: 4 ص 3510

يقول (عليه السلام): (عليك بالورع فإنه خير صيانة. (1) عليك بالورع فإنه عون الدين وشيمة المخلصين) (2).

إذن يتضح مما استعرضناه إن أهم السمات والصفات التي يجب أن يتصف بها من يحيط بالحاكم والمسؤول هو الورع عن محارم الله سبحانه وتعالى.

ثانياً: الصدق.

الصفة الثانية التي يجب أن تتوافر في المقربين وحاشية الحاكم هو الصدق.

والصدق لغة: ضد الكذب، صدق يصدق صدقا وتصادقا، وصدقة: قبل قوله، وصدقه الحديث: أنبأ بالصدق، ويقال: صدقت القوم. أي قلت لهم صدقا وتصادقا في الحديث وفي المودة (3).

ومعنى الصدق اصطلاحاً: (هو الخبر عن الشيء على ما هو به، وهو نقيض الكذب) (4).

وقال الراغب الأصفهاني: (الصدق مطابقة القول الضمير والمخبر عنه معاً، ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقاً تاماً) (5).

ص: 269

1- غرر الحكم: 4 290

2- غرر الحكم: 4: 410

3- لسان العرب: لابن منظور: ج 10 ص 193 وينظر مختار الصحاح، للرازي، ص 174

4- الواضح في أصول الفقه: أبو الوفاء، علي بن عقييل بن محمد بن عقييل البغدادي الظفري، (المتوفي: 513 هـ: ج 1 ص 129 مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1920 هـ - 1999 م

5- مفردات الفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني: ص 270

ووردت آيات كثيرة تبين وتشير إلى الصدق منها:

قوله تعالى «وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ»(1).

قوله تعالى «وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»(2).

وقوله عز وجل «فَقَالَ أَنبِيُّنِي بِأَسْمَاءٍ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»(3).

وكذلك: «الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ»(4).

قوله عز وجل «أَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ»(5).

وقد وردت نصوص كثيرة عن المعصومين (عليهم السلام) في أهمية الصدق في الحياة الاجتماعية، وأنه مسألة أساسية وضرورية: منها ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام): الصدق صلاح كل شيء. الكذب فساد كل شيء(6) الصدق يؤمنك وإن خفته. الكذب يردك وإن اتتمته(7).

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): الجمال صواب القول بالحق، والكمال حسن الفعال بالصدق(8).

ص: 270

1- الاحقاف: 16

2- البقرة: 23

3- البقرة: 31

4- آل عمران: 17

5- البقرة: 280

6- عيون الحكم والمواعظ، علي الواسطي، ص 44

7- المصدر نفسه، ص 44

8- كنز العمال: المتقي الهندي ج 3، ص 344. ح 6853

وعنه (صلى الله عليه وآله): الصدق مبارك، والكذب مشؤوم(1).

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: زينة الحديث الصدق(2).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): عليكم بالصدق، فإنه باب من أبواب الجنة(3).

دلالة هذه الروايات هو إن مفتاح الصلاح في كل الامور هو الصدق، وإذا بدأ الإنسان يقول خلاف الواقع في مسألة معينة، فلا يصدق في المسألة الاخرى فملاك الصدق هو الثقة، وإذا زالت فلا يمكن الاعتماد على هذا الإنسان والتفاهم معه والتواصل معه.

إذن فالورع والصدق صفتان أساسيتان يجب توافرها في من يريد أن يختاره المسؤول بطانة له.

الآثار السلبية المترتبة على مدح الحكام:

من الآثار السلبية التي تدخل الزهو والعجب في قلوب الحكام والمسؤولين هو كثرة الاطراء: كلمات الثناء المبالغ فيها على الشخص، وهو من الأخطار الفادحة على الحكام والأمة. فلهذا يوصي الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) المسؤول أن يحذر المقربين منه من الثناء عليه ومدحه، ويستعمل الامام (عليه السلام) كلمات الترويض والتدريب، لتربية وتدريب الحاشيته على ترك هذه الخصلة المقيتة والعادة السيئة، ويطلب من المسؤول أن يروض ويدرب حاشية على ترك مديحه والثناء

ص: 271

1- بحار الانوار، ج 74، ص 17

2- أمالي الصدوق: ج 1 ص 593؛ بحار الأنوار ج 86 ص 09

3- ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج 2، ص 2751

عليه، ويوصي (عليه السلام) أيضا ترك التبجح بالباطل، ويحذره من المدح والاطراء بالطريقة التي توحى إلى الطرف الآخر أنه شيء مهم وأفكاره مهمة جدا في حين أنه كأحدهم وهو إنسان منهم يعرف الأشياء ويجهل أخرى.

يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): حب الاطراء والمدح من أوثق فرص الشيطان(1).

وروي أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): قال حثوا (أي ارموا) التراب على وجوه المداحين(2).

أي خيبرهم ولا- تعطوهم شيئا لما يحصل لكم العجب من المدح في الحضور أو المدح غير المستحق كما هو الغالب من الإطراء والمبالغة في الأكاذيب سيما إذا كانوا شعرا، وحمل بعضهم على ظاهره ويقول باستحباب رمي التراب بكفه (أو بكفيه) على وجهه(3).

وقال من مدح سلطانا جائرا أو تحفف وتضع له طمعا فيه كان قرينه في النار(4)، وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): إياكم والمدح فإنه الذبح(5)، إشارة إلى أن المديح هو الذبح بعينه، وتغيب كل المعايير الخلقية، كالتواضع والنصح والمشورة.

ص: 272

1- عيون الحكم والمواعظ، علي الواسطي، ص 231

2- روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه: محمد تقي المجلسي (الأول) الجزء: 9 ص 352 وينظر البحار: 70294 ح 1؛ الفروق اللغوية أبو هلال العسكري، ص 202

3- المصدر نفسه

4- الوافي: الفيض الكاشاني ج 5، ص 1037

5- كنز العمال: 6513 ح 8331

يقول (عليه السلام) لو كنت أحب أن يمدحني أحد لتركته تواضعا بين يدي الله تعالى، لأنه أحق به لما هو فيه، ثم يقول (عليه السلام) بالمكافأة إن حب الناس للثناء والمدح والتكريم أمر طبيعي ولكن بعد أن يحققوا إنجازا واقعا يستهدف خدمة الناس وتحقيق طموحاتهم وتطلعاتهم، فيقول (عليه السلام): وربما استحلّى الناس الثناء بعد البلاء فلا تثنوا علي بجميل ثناء لإخراج نفسي إلى الله وإليكم من البقية في حقوق لم أفرغ من أدائها.

الإنسان بفطرته يشعر بحلاوة المدح والثناء عندما يقوم بعمل فيه مصلحة عامة، وهذا ليس سيئا وإنما السيئ عندما ينفلت عنان النفس ويتحول هذا المدح والاطراء إلى العجب والتكبر؛ ثم يوصي (عليه السلام) الناس بترك المدح والثناء عليه، لأنه عليه السلام اعتبر نفسه مقيدا بالحقوق الكبيرة التي أثقلت كاهله، فلا بد أولا من تأدية حقوق الله ومن ثم حقوق الناس. ثم ينتقل (عليه السلام) بعد ذلك في نهاية هذا المقطع من العهد إلى الطلب من الناس عدم التعامل معه كالتعامل مع الجبارة والسلاطين (فلا تكلموني با تكلم به الجبارة، ولا تتحفظوا مني با يتحفظ عند أهل البادرة)، يقول الإمام (عليه السلام) أيها الناس لا تلقبوا علي بن أبي طالب بألقاب الجبارة، ولا تتعاملوا معي كتعاملكم معهم، كما يسمي الناس اليوم كبار المسؤولين فخامة، وسعادة، أو اصالح الله أمر الخليفة، أو القيام بأفعال كالانحناء، أو تقبيل الأيدي والأرجل، أو المشي على الركب للسلطان، يطلب الإمام (عليه السلام) من الناس أن ينسطوا معه في الحديث والمعاملة من دون تكلف و تصنع: ولا تخالطوني بالمصانعة ولا تظنوا بي استتقلا، ولا يعظموه تعظيما، ولا يخبنوا عنه حقيقة، وعدم منعه بمشورة عدل.

فعلى المقربين والمستشارين أن ينبهوا المسؤول على الاخطاء وغيرها، وعلى المسؤولين قبول النصيحة ممن ينصحهم، يقول (عليه السلام): ولا آمن ذلك من فعلي إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني(1).

فيتحصل: على المسؤول أن يتوكل على الله سبحانه وتعالى، وأن تكون علاقته مع الله علاقة محكمة وقوية، فيكون الله في عونته وتوفيقه، ويرشده إلى الطريق الصحيح والقويم، فتكون العناية الإلهية قد ظللت محاسنه وأرفعت شأنه، هذا هو منهج علي بن أبي طالب (عليه السلام) في رسم المنظومة القيادية والعمل الميداني في تحقيق أهداف الامة وتطلعاتها، فهو رمز للإنسانية عامة وللمسلمين خاصة.

المسألة السابعة عشر: ثقة الحاكم بالامة.

قوله عليه السلام: (وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلَى حُسْنِ ظَنِّ رَاعٍ بِرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ وَتَخْفِيفِهِ الْمُنُونَاتِ عَلَيْهِمْ وَتَرْكِ اسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قِبَلَهُمْ فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِرَعِيَّتِكَ فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَبًا طَوِيلًا وَإِنْ أَحَقَّ مَنْ حَسَنَ ظَنُّكَ بِهِ لِمَنْ حَسَنَ بِلَاؤُكَ عِنْدَهُ وَإِنْ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لِمَنْ سَاءَ بِلَاؤُكَ عِنْدَهُ)(2).

يشير الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المقطع من الوثيقة التاريخية الاسلامية، إلى مسألة حسن ظن الحاكم بالشعب وبناء علاقة المودة والمحبة والثقة بينه وبين الناس المسؤول عنهم، والوسائل التي من خلالها يمكن تحقيق هذا الهدف، ويعد الإمام (عليه السلام) هذه المسألة من المسائل المهمة ولها الصدارة ومقدمة على كل الامور الادارية.

ص: 274

1- نهج البلاغة خطب الإمام علي عليه السلام، ج 2، ص 201

2- نهج البلاغة خطب الإمام علي، ج 3، ص 88

وهنا نقطة مهمة أيضا، وهي أن الإمام (عليه السلام) يتحدث عن عوامل حسن الظن للوالي برعيته لاحسن ظن الرعية بالوالي، إن الولاة وزعماء الامة يسدون الخير والمعروف للرعية إلى درجة أنهم يطمنون إلى تأييدهم ووفائهم لهم(1).

المسألة الثامنة عشر: وسائل تحقيق حسن ظن الحاكم بالرعية.

أولاً: الإحسان للرعية:

إن على الحاكم ومن يتصدى لأي موقع من مواقع المسؤولية أن يحسن الظن بمن يتحمل المسؤولية إزاءهم، يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): الاحسان محبة(2).

وعنه (عليه السلام): وعنه (عليه السلام): «أحق الناس بالإحسان من أحسن الله إليه وبسط بالقدرة يديه»(3).

وفي رواية أخرى عنه (عليه السلام): «من كثر إحسانه أحبه إخوانه»(4).

أي من خلال الاحسان إلى الناس يكون محبوبا بينهم ويكون أعوانه كثيرون، قال (عليه السلام): «سبب المحبة الإحسان»(5).

وعنه (عليه السلام): «من أحسن إلى الناس استدام منهم المحبة».

ص: 275

1- نفحات الولاية شرح نهج البلاغة: مصدر سابق: ص 347

2- عيون الحكم والمواعظ، علي الواسطي ج 10 ص 37

3- غرر الحكم 3369

4- عيون الحكم، والمواعظ: 460

5- غرر الحكم: 109، 7601

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله): جبلت القلوب على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها(1).

ومن كلام لأمير المؤمنين (عليه السلام) أوجز فيه معنى الاحسان: عنه (عليه السلام): احتج إلى من شئت تكن أسيره، واستغن عمن شئت تكن نظيره، وأفضل على من شئت تكن أميره(2).

وقال علي (عليه السلام): إن إحسانك إلى من كادك من الأضداد والحساد، الأغيظ عليهم من مواقع إساءتك منهم، وهو داع إلى صلاحهم(3).

وعنه (عليه السلام): أحسن إلى المسيء تملكه(4).

فيتحصل: من مفهوم هذه الروايات إن الإحسان إلى الناس منهج تربوي اجتماعي في البناء والتركية.

ثانياً: تخفيف المؤمن

من الوسائل التي تحقق العلاقة المتبادلة بين الحاكم والأمة هو تخفيف المؤمن عليهم؛ تخفيض الضرائب و أجور الخدمات العامة، كأجور شبكات المياه والكهرباء والصحة، وعدم تحميلهم باللا يطيقون، لأن التحميل بما لا يطاق مذموم عقلاً و شرعاً.

ص: 276

1- تحف العقول: 37

2- الإرشاد، الشيخ المفيد، ج 1، ص 303

3- عيون الحكم والمواعظ، علي الواسطي ص 651

4- غرر الحكم، ص 385، 386، 388

فرسالة الأمام (عليه السلام) لمالك الأشتر عندما ولاه مصر هي عبارة عن استحضار تاريخ مصر العريق، وما فعله الحكام السابقين في هذه البلاد، من نهب خيراتها والتسلط على أهلها بالقوة من خلال فرض الضرائب المملكة التي كانت تفوق كل إيراداتهم المالية مما اضطرهم إلى بيع بعض السلع المنزلية لتسديد هذه الضرائب.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «علامة رضا الله عز وجل في خلقه عدل سلطانهم ورخص أسعارهم وعلامة غضب الله تبارك وتعالى على خلقه جور سلطانهم وغلاء أسعارهم»(1).

إذا كان الحاكم عادلاً يكون الله راضياً عنه، فيسلط عليهم من يرحمهم، وعلامات رحمته ترخيص الأسعار، وعلامة غضب الله سبحانه وتعالى على خلقه جور السلاطين وغلاء الأسعار، فإذا كانت الأسعار غالية لا يستطيع أحد أن يشتري الحاجة فيكون في عناء.

وقوله (عليه السلام): آفة العمران جور السلطان(2).

فالإمام (عليه السلام) يعطي درساً كبيراً وأسلوباً رائعاً في كيفية نجاح المنظومة القيادية، وهو المطالبة بما هو ممكن و منطقي، وعدم تحميل الناس أكثر من طاقتهم.

ص: 277

1- الوافي: الفيض الكاشاني، ج 1، ص 295

2- الغرر والدرر 3 / 109، الحديث 3954

ثالثا: عدم الإكراه على الأعمال الشاقة والسخرة.

قوله (عليه السلام): (وترك استكراهه إياهم على ما ليس له قبلهم)، حيث يوصي الإمام صلوات الله وسلامه عليه مالكا (رضوان الله عليه) بأن لا يطلب من الناس أن يقوموا بأعمال ومهام خارج حدود مسؤولياتهم وطاقاتهم، كما هو متعارف في المجتمعات القديمة، فيما يتقل عن المجتمع المصري حيث كان الفراعنة يأخذون الناس بالقهر والقوة، ويستخدمونهم في مجالات شتى من دون أجور، حتى أن البعض منهم كان يموت من شدة المشقة الكبيرة التي يتعرضون لها.

تسمى هذه الأعمال السخرة (ما يسمى عند البعض من الناس بالمجهود الحربي. ويسمى في عند بعض الدول كما في روسيا والصين (معسكرات العمل) وهو استخدام الطاقة البشرية من دون مقابل.

قال الإمام أمير المؤمنين لجنده في حرب صفين (قد كنت أمس اميرا فأصبحت اليوم مأمورا و كنت أمس ناهيا فأصبحت اليوم منها وقد احببتكم البقاء وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون)(1).

فالحاكم الذي يريد ان يوطد ويقوي العلاقة بينه وبين الأمة فعليه أن لا يحملهم بما لا يطيقون، أو يطلب منهم ما هو خارج عن قدراتهم الجسدية والمادية. فالعناصر الثلاثة التي ذكرناها هي ضمان لنجاح الحكم في المنظومة القيادية، وتحقيق حالة حسن الظن والثقة المتبادلة بينها وبين عموم الأمة.

من هنا تتضح ثمرة العلاقة بين الحاكم والرعية من خلال قول الإمام (عليه السلام): (حسن الظن يقطع عنك نصبا طويلا) إن حسن الظن بالرعية يؤدي إلى

ص: 278

تخفيف الأعباء في إدارة البلاد، لأن من خلالها يعيش الحاكم مرتاح البال خالياً من هواجس الخوف والقلق التي تسببه الإدارات الفاشلة والتعلق بالسلطة وكرسي الحكم.

فيتحصل مما ذكر ما يلي:

الملاحظة الأولى درجات ثقة الحاكم بالرعية:

من الطبيعي أن الحاكم لا تصبح ثقته بالأمة مطلقة وبدرجة واحدة، فقد يحظى البعض بدرجة عالية، والبعض الآخر لا ينال إلا درجة متوسطة من الثقة، والبعض تكون ثقة الحاكم به ضعيفة جداً، فالإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) يعطينا ميزاناً ومعياراً في كيفية نيل ثقة الوالي بالرعية، وطريقة منح الثقة لمن حوله، يقول (عليه السلام): (وإن أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده).

الملاحظة الثانية تأصيل الثقة بالناس لأنها الاصل:

الملاحظة الثانية التي نريد ان نبينها هنا وهي إن الأصل هو الثقة، ولكن ليست الثقة العمياء، وإنما الثقة التي تحتوي على التوازن من خلال منح الفرص للآخرين أن يعبروا عن ذواتهم ومكنونهم، لتصل الحالة عند الحاكم بأن الجميع لو منحوا فرصاً أكثر سينجحون في الاختبارات وتكون نتائج نجاحهم مرضية، هذه الرؤية موضوعية ومتوازنة، تحمل فيها حسن الظن والثقة والعلاقات الانسانية، ومن خلال هذه الرؤية تنبثق رؤية أخرى تحذر من وجود النتوءات والاستثناءات وحالات الشواذ من الناس الذين لا يستحقون ثقة الحاكم، يقول الإمام (عليه السلام) في كلام له كلم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة وقد عتبا عليه من ترك مشورتها، والاستعانة في الأمور بهما: (...فَلَمَّا أَفْضَتْ إِلَيَّ نَظَرْتُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَ مَا وَضَعَ لَنَا وَ أَمَرَنَا بِالْحُكْمِ بِهِ فَاتَّبَعْتُهُ وَ مَا اسْتَنَّ النَّبِيُّ

ص: 279

(صلى الله عليه وآله) فَأَقْتَدَيْتُهُ فَلَمْ أَحْتَجْ فِي ذَلِكَ إِلَى رَأْيِكُمْ وَلَا رَأْيِ غَيْرِكُمْ وَلَا وَقَعَ حُكْمٌ جَهْلْتُهُ فَأَسْتَشِيرُ كَمَا وَإِخْوَانِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَ لَوْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ أَرْغَبْ عَنْكُمْ وَلَا عَنْ غَيْرِكُمْ (1). فيتحصل من خلال الملاحظتين النتائج الآتية:

أولاً: نجاح العلاقة بين الحاكم والامة:

نجاح العلاقة بين الحاكم والامة تنشأ عبر مد جسور المودة والثقة بينهما لأن العلاقة الإنسانية هي التي تستطيع أن تنجح العمل.

ثانياً: توفير المحبة والمودة:

يكتسب المسؤول المحبة من قبل الشعب من خلال الاحترام الذي يبديه للجمهور، فتتحقق من خلال هذه المحبة علاقة رصينة قائمة على الاحترام والثقة المتبادلة، يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): من حسن ظنه بالناس حاز منهم المحبة (2)، وكيف تتحقق هذه المحبة بانعدام الثقة؟ ولكن اذا كان الحاكم منضبطاً ومرتزناً ومنفتحاً على الجمهور ويعتمد على سلوكياتهم وانطباعاتهم في الاداء، حينئذ ينال هذه المحبة.

ثالثاً: اكتشاف الأكفاء وتنمية المواهب والطاقات:

إن عنصر الثقة وحسن الظن بالجمهور يساعد الوالي على اكتشاف الطاقات والمواهب من بين عامة الناس، والاعتماد عليهم في إدارة الحكم، ومن خلال عملية الاكتشاف يستطيع الحاكم أن يقف على فرصة توزيع الحقوق بالعدالة، وإعطاء كل

ص: 280

1- نهج البلاغة: 322

2- غرر الحكم: 379 5

ذي حق حقه، أما اذا لم يكن للحاكم ثقة بالجمهور فيعمد إلى تقريب الناس من حاشيته وممن يعرفهم، ويترك الطاقات والاكفاء خوفا من الناس.

إذن المنهج الذي وضعه الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) منهج اسلامي قائم على اسس وقواعد الاحترام والثقة بالطرف الآخر ومنهج يتبنى الاصول العلمية والأخلاقية للاختبارات و تحقيق النتائج و حسابها في القدرة على الأداء.

قال (عليه السلام): الرجل السوء لا يظن بأحد خيرا، لأنه لا يراه إلا بوصف نفسه(1).

المسألة التاسعة عشر: المعيار في حسن الظن وسوء الظن:

قوله (عليه السلام): وإن أحق من حسن ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده، وإن أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده(2).

يتحدث الإمام (عليه السلام) في هذا المقطع من عهده المالك الأشتر (رضوان الله عليه) عن المعيار الاساسي في حسن الظن وسوء الظن، أي متى نحسن الظن، ومتى نسيء الظن، فيذكر الإمام (عليه السلام) بأن الإنسان لا يكون دائما في مستوى التغافل، فعندما يريد ان يحسن الظن بكل أحد ليس معناه العمى إغاض العيون عن الفئة الفاشلة والمفسدة التي تريد تغيير الاهداف الصحيحة عن مسارها الصحيح لابد أن يكون هناك توازن في رؤية الحاكم إزاء الأمة، وهذا ما يعبر عنه بالكياسة والفتانة يقول (صلى الله عليه وآله): المؤمن كيس، فظن، حذر(3).

ص: 281

1- غرر الحكم: 2175، 1903

2- نهج البلاغة: خطب الإمام علي ج 3 ص 98 رسالة 53

3- مستدرک الوسائل ج 3 ص 489؛ بحار الأنوار العلامة المجلسي، ج 64 ص 307

وفي رواية عن أمير المؤمنين (عليه السلام) يؤكد بها على القول بالحق عند الناس فيشتون بلاء كل ذي بلاء منهم ليثق أولئك بعلمك ببلائهم : (ثم اعرف لكل امرئ منهم ما أبلى ولا تضمن بلاء امرئ إلى غيره ولا تقصرنّ به دون غاية بلائه وكاف كلام منهم بما كان منه واخصه منك بهزة. ولا يدعونك شرف امرئ إلى أن تعظم من بلائه ما كان صغيرا ولا ضعة امرئ على أن تصغر من بلائه ما كان عظيما. ولا يفسدن امرءا عندك علة إن عرضت له ولا نبوة حديث له، قد كان له فيها حسن بلاء، فإن العزة لله يؤتية من يشاء والعاقبة للمتقين)(1).

يريد الإمام (عليه السلام) أن يبين قضية مهمة للمسؤولين وهي النظر فيمن كان عاملا- واحتساب انجاز عمله له لا لغيره، او تسجيل الانجازات جميعها للمسؤول وتضييع حقوق الآخرين، أو يتساوى الإنسان العامل والإنسان الفاشل، هذا لا يجوز جميعه في حدود الشريعة المقدسة، والقاعدة الفقهية تقول من له الغنم فعليه الغرم(2)، أي من له الفائدة فإن عليه التبعات. فالمسؤول يكون هو مسؤولاً عن الانجاز و مسؤولا عن الفشل، ثم أن الإمام (عليه السلام) يؤكد على عدم التقليل والاستهانة من أهمية العمل وإن كان صغيرا (ولا تقصرن به دون غاية بلائه).

ثم يحذر (عليه السلام) الحاكم والمسؤول من التمييز بالتعامل بين الناس فقال (ولا يدعونك شرف امرئ إلى أن تعظم من بلائه ما كان صغيرا) فيما لو كان الشخص مؤخرا فيقدم لوجهة، عندما يكون هذا الشخص من مقربي الحاكم أو

ص: 282

1- تحف العقول عن آل الرسول (ص): ابن شعبة الحراني ص 134

2- نهج الفقاهة: السيد محسن الحكيم ص 124

أقربائه، فيشار إليه بالبنان والاحترام، وفي مقابل ذلك يوصي الإمام (عليه السلام) مالكا بأن لا يحجم عمل أحد من عامة الناس يقول (ولا ضعة امرئ على أن تصغر من بلاته ما كان عظيما) أي وضع وإهمال الإنسان البسيط ذي الانجازات الكبيرة.

وعنه صلوات الله وسلامه عليه يقول: (إذا استولى الصلاح على الزمان وأهله ثم أساء رجل الظن برجل لم تظهر منه خزية فقد ظلم، وإذا استولى الفساد على الزمان وأهله فأحسن رجل الظن برجل فقد غرر، لا تظنن بكلمة خرجت من أحد سوء وأنت تجد لها في الخير سيلا(1).

يتحدث الإمام (عليه السلام) مشيرا إلى نقطة مهمة وهي حينما تكون الأجواء أجواء إيمانية، فلا يمكن لأحد أن يسيء الظن بأحد، فإذا حدث مثل ذلك يكون ظلما لنفسه ولغيره، أما إذا غلب زمان الجور والفساد على زمان الايمان والعدالة، وأحسن رجل الظن برجل دون أن يجد منه ما يستحق فقد غره، أي غرر بنفسه فيكون المعيار الأساسي الذي تبنى عليه قاعدة حسن الظن وسوء الظن هو البيئة اذا كانت سليمة ونظيفة فيكون حسن الظن واقعا، واذا كانت غير نظيفة وغير سليمة، فيحل محل حسن الظن سوء الظن، ويؤيد ذلك قوله (عليه السلام): إذا كان الزمان زمان جور وأهله أهل غدر فالطمأنينة إلى كل أحد عجز(2). وفي مانحن فيه ورد عنه عليه السلام: من عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن(3).

فيتحصل: إن ثقة الحاكم بالأمة يجب أن تكون وفق المعايير المنطقية والسلوكيات الصحيحة، المبنية على الأسس العلمية والاخلاقية.

ص: 283

1- ، الحكمة 1144

2- تحف العقول عن آل الرسول (ص): ابن شعبة الحراني، ص 357:

3- الوافي: الفيض الكاشاني الجزء: 5 ص 984

الفصل الثالث: الأهداف العامة للحكم قوله (عليه السلام):

«جِبَايَةَ خَرَايجِهَا وَجِهَادَ عَدُوِّهَا وَاسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا»

ص: 285

يتحدث الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المقطع عن الاهداف العامة للقيادة المركزية والحكم، وقد حدد الإمام (عليه السلام) أربعة أهداف المالك حين ولاه مصر وعلينا أن نعتبر هذه الأهداف كأهداف استراتيجية في إدارة أي منظومة قيادية أخرى وأي مشروع على المستويات المختلفة.

وقد قسمنا الفصل على أربعة مباحث، لنقف عندها من خلال التفصيل الآتي:

المبحث الأول: (السياسة المالية توفير الإيرادات المالية).

قوله عليه السلام: (جباية خراجها). المبحث الثاني: (السياسة الحربية المتمثلة بالجهاد)؛ (توفير الأمن والدفاع). قوله عليه السلام: (وَجِهَادَ عَدُوِّهَا) المبحث الثالث: (التنمية البشرية)؛ (الإصلاح الاجتماعي).

قوله عليه السلام: (وَاسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا). المبحث الرابع: (التنمية الاقتصادية). قوله عليه السلام: (وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا)

المبحث الأول السياسة المالية توفير الإيرادات المالية

قوله عليه السلام: (جِبَايَةُ خَرَاجِهَا).

يتحدث الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المقطع من العهد الشريف، عن السياسة المالية للدولة والإيرادات المالية.

- جباية الخراج الذي يتكون من:

المسألة الأولى: الخمس والزكاة.

المسألة الثانية: الجزية.

المسألة الثالثة: الركاز (المعادن). المسألة الرابعة: الفيء.

المسألة الخامسة: الغنائم.

المسألة السادسة: أموال الخراج والمقاسمة.

المسألة السابعة: سياسة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في الخراج. المسألة الثامنة: سياسة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيت

مال المسلمين ومصارفة.

ص: 289

أولاً: الخراج في العرف الشرعي:

الخراج هو الضريبة المالية التي فرضها الإسلام على غلة الأرض(1).

ويعني الضرائب الموضوعة على الأراضي المفتوحة عنوة بيد المسلمين، ولكنها في هذا المورد تمتد لدائرة واسعة وتشمل جميع الأمور المالية المتعلقة بالحكومة الإسلامية، أعم من الخراج والزكاة والجزية والخمس وأمثال ذلك(2).

وهو من أهم الواردات المالية للدولة الإسلامية في عصر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته وصحبه، وقد بين الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في كلامه أن صلاح الخراج صلاح لأهله، وصلاح لعامة الناس، لأنهم جميعاً في نظر الإمام عيال عليه.

ويطلق على الخراج في الاصطلاح الفقهي على الأراضي التي يسيطر عليها المسلمون بالقوة دون الصلح بالأراضي المفتوحة عنوة، ومثل هذه الأراضي ملك لجميع المسلمين، وعلى ضوء ذلك فإن الحاكم الإسلامي يقوم وطبقاً للمصالح الإسلامية بتقسيم هذه الأراضي على المسلمين على أن يأخذ منهم مبالغ سنوية، ويطلق على هذه المبالغ من الناحية الفقهية اسم الخراج(3).

ثانياً: الخراج في الرؤية القرآنية والسنة النبوية المطهرة:

قال تعالى في كتابه الكريم: «وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَا كِنٍّ اللَّهُ يُسِّرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»(4).

ص: 290

1- مجمع البحرين: مادة خرج

2- نفحات الولاية شرح نهج البلاغة: مصدر سابق: ص 290

3- المكاسب: للشيخ الأنصاري: 2 ص 239

4- الحشر: 6

وقال تعالى: «مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» (1)

ثم قال تعالى: «لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصَرُّونَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ» (2)

تحدث هذه الآيات المباركة عن غنائم الحرب، يقول صاحب مجمع البيان: إن بعد اندحار يهود بني النضير وخرجهم من المدينة، بقيت بساتينهم وأراضيهم وبيوتهم وقسم من أموالهم في المدينة، فأشار بعض شيوخ المسلمين على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تماشيا مع سنة جاهلية، بأن يأخذ الصفوة من أموالهم وربع ممتلكاتهم، أن يترك المتبقي كي يقسم بين المسلمين، ثم إن الله أعلن صراحة، إن هذه الغنائم التي لم تكن بسبب قتال، ولم تكن نتيجة حرب، فإنها جميعا من مختصات الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) موضعه رئيسا للدولة الإسلامية، ويتصرف بها كما يشاء وفقا لما يقدر من مصلحة في ذلك.

وسنلاحظ أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قسم هذه الأموال بين المهاجرين الفقراء في المدينة وعلى قسم من الأنصار من ذوي القربى (3).

ثالثاً: أهمية الخراج في السنة المطهرة:

نستنتج أهمية الخراج في الدين الإسلامي من خلال الروايات الواردة عن العترة الطاهرة سلام الله عليهم أجمعين. يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)

ص: 291

1- الحشر: 7

2- الحشر: 8

3- مجمع البيان في تفسير القرآن: للطبرسي: في ذيل الآيات المباركة 6، 7، 8 من سورة الحشر

في كتاب بعثه إلى امراء الخراج يبين فيه سياسته الاسلامية في التعامل مع جباية الخراج، يقول (عليه السلام) فيه: ((أما بعد؛ فإن من لم يحذر ما هو صائر إليه لم يقدم لنفسه ما يحرزها، واعلموا أن ما كلفتم به يسير وأن ثوابه كثير، ولو لم يكن فيما نهى الله عنه من البغي والعدوان عقاب يخاف لكان في ثواب اجتنابه ما لا عذر في ترك طلبه، فأنصفوا الناس من أنفسكم واصبروا لحوائجهم فإنكم خزان الرعية ووكلاء الأمة وسفراء الأئمة، ولا تحشموا أحداً عن حاجته، ولا تحبسوه عن طلبته، ولا تبيعن للناس في الخراج كسوة شتاء ولا صيف، ولا دابةً يعتملون عليها ولا عبداً، ولا تضربن أحداً سوطاً لمكان درهم، ولا تمسن مال أحد من الناس مصل ولا معاهد، إلا أن تجدوا فرساً أو سلاحاً يُعدى به على أهل الإسلام فإنه لا ينبغي للمسلم أن يدع ذلك في أيدي أعداء الإسلام فيكون شوكةً عليه، ولا تدخروا أنفسكم نصيحةً ولا الجند حسن سيرة ولا الرعية معونةً ولا دين الله قوةً وأبلوا في سبيل الله ما استوجب عليكم فإن الله سبحانه قد اصطنع عندنا وعندكم أن نشكره بجهدنا وأن ننصره بما بلغت قوتنا ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)) (1).

وروى إسماعيل بن مهاجر عن رجل من ثقيف قال: استعملني علي بن أبي طالب (عليه السلام) على بانقيا وسواد من سواد الكوفة فقال لي، والناس حضور: «انظر خراجك فجد فيه، ولا تترك منه درهما، فإذا أردت أن تتوجه إلى عمك فمر بي. قال: فأتيته، فقال: إن الذي سمعت مني خدعة، إياك أن تضرب مسلماً، أو يهودياً، أو نصرانياً في درهم خراج، أو تبيع دابة عمل في درهم، فإننا أمرنا أن نأخذ منهم العفو. ولا تجمع بين متفرق، ولا تفرق بين مجتمع، يعني في الملك على ما قدمناه، والمعنى في ذلك: أنه لا يؤخذ من الشريكين صدقة إذا بلغ ملكها جميعاً مقدار ما يجب فيه الزكاة، ولا تسقط الزكاة عن المالك وإن كان ملكه

ص: 292

1- نهج البلاغة، الرسائل: 51 من كتاب له (عليه السلام) إلى عماله على الخراج

في الأماكن على الافتراق. وإن أخذ المصدق حقه من الأنعام فباعها فيمن يريد فطلبها المتصدق بالثمن فهو أحق بها»(1).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصية له كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات:

«انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له، ولا ترو عن مسلما ولا تجتازن عليه كارها، ولا تأخذن منه أكثر من حق الله في ماله، فإذا قدمت على الحي فأنزل بئهم من غير أن تخالط أبياتهم، ثم امض إليهم بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم، ولا تخدج بالتحية لهم، ثم تقول: عباد الله أرسلني إليكم ولي الله وخليفته لآخذ منكم حق الله في أموالكم، فهل الله في أموالكم من حق فتؤدوه إلى وليه؟ فإن قال قائل لا، فلا تراجع، وإن أنعم لك منعم فانطلق معه من غير أن تخيفه أو توعده أو تعسفه أو ترهقه، فخذ ما أعطاك من ذهب أو فضة. فإن كان له ماشية أو إبل فلا تدخلها إلا بإذنه، فإن أكثرها له، فإذا أتيتها فلا تدخل عليها دخول متسلط عليه ولا عنيف به، ولا تنفرن بهيمة ولا تفزعنها ولا تسوئن صاحبها فيها، واصدع المال صدعين ثم خيره، فإذا اختار فلا تعرضن لما اختاره. ثم اصدع الباقي صدعين ثم خيره، فإذا اختار فلا تعرضن لما اختاره. فلا تزال كذلك حتى يبقى ما فيه وفاء لحق الله في ماله فاقبض حق الله منه. فإن استقالك فأقله ثم اخلطها ثم اصنع مثل الذي صنعت أولا حتى تأخذ حق الله في ماله، ولا تأخذن عودا ولا هرمة ولا مكسورة ولا مهلوسة ولا ذات عوار، ولا تأمنن عليها إلا من تثق بدينه رافقا بال المسلمين حتى يوصله إلى وليهم فيقسمه بينهم،

ص: 293

ولا توكل بها إلا ناصحاً شفيقاً وأميناً حفيظاً، غير معنف ولا مجحف، ولا ملغب ولا متعب، ثم احذر إلينا ما اجتمع عندك نصيره حيث أمر الله به.

فإذا أخذها أمينك فأوعز إليه ألا يحول بين ناقة وبين فصيلها ولا يمصر لبنها فيضرب ذلك بوليدها، ولا يجهدنها ركوباً. وليعدل بين صواحباتها في ذلك وبينها، وليرفه على اللاعب. وليستأن بالنقب والظالع. وليوردها ما تمر به من الغدر ولا يعدل بها عن نبت الأرض إلى جواد الطريق، وليروحها في الساعات وليمهلها عند النطاف والأعشاب حتى تأتينا بإذن الله بدنا منقيات غير متعبات ولا مجهودات، النقسمها على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، فإن ذلك أعظم أجرك وأقرب لرشدك إن شاء الله (1).

يوصي الإمام (عليه السلام) واليه على الصدقات بأمر متعددة، تعدّ ميزاناً ومعياراً لآداب و اخلاق التصرف مع الأمة في جميع مجالات الحياة، وواحدة من هذه المجالات وهي جباية زكاة ما يسمى بالخراج.

المسألة الأولى: الخمس والزكاة.

الخمس: هو حق مالي فرضه الله مالك الملك بالأصالة على عباده، فالخمس في مال منخصص له ولبنني هاشم الذين هم رؤسائهم وسواهم وأهل الفضل والاحسان عليهم عوض إكرامه إياهم بمنع الصدقة والاوزاخ عنهم (2)، ويتعلق بأمور: منها: غنائم الحرب، والمعادن، والكنز، والغوص، والمال الحلال المخلوط بالحرام، والأرض التي يمتلكها الذمي من المسلم، وأرباح المكاسب كأرباح التجارة والراتب الذي يستلمه الموظف أو العامل وما شابهه.

ص: 294

1- نهج البلاغة: خطب الإمام علي (عليه السلام) الجزء: 3

2- جواهر الكلام، ج 16، ص 2

والروايات الدالة على وجوبه كثيرة: وروى الكليني والشيخ، عن محمد بن زيد الطبري قال: كتب رجل من تجار فارس من بعض موالي أبي الحسن الرضا عليه السلام يسأله الإذن في الخمس فكتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم إن الله واسع كريم ضمن على العمل الثواب، وعلى الضيق بهم، لا- يحل مال إلا من وجه أحله الله وإن الخمس عوننا على ديننا (يمكن قراءته بالفتح والكسر) وعلى عيالاتنا وعلى موالينا وما نبذله ونشتري من أعراضنا ممن نخاف سطوته فلا تزووه عنا ولا تحرموا أنفسكم دعاءنا ما قدرتم عليه، فإن إخراجهم مفتاح رزقكم وتمحيص ذنوبكم وماتمهدون لأنفسكم ليوم فاقتكم والمسلم من يفى الله بها عاهد إليه وليس المسلم من أجاب باللسان وخالف بالقلب والسلام، وعن محمد بن زيد الطبري قال قدم قوم من خراسان على أبي الحسن الرضا عليه السلام فسألوه أن يجعلهم في حل من الخمس، فقال: ما أحل؟ هذا؟ تمحضونا بالمودة بألسنتكم وتزوون عنا حقا جعله الله لنا وجعلنا له وهو الخمس لا نجعل، لا نجعل، لا نجعل لأحد منكم في حل(1).

ومنها: ما ورد عن مولانا الصادق (عليه السلام): أنه قال: إني لأخذ من أحدكم الدرهم، وإني لمن أكثر أهل المدينة مالا، ما أريد بذلك إلا أن تطهروا(2).

يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) من يقن بالخلف جاد بالعطية(3)، وفي مورد آخر يقول (عليه السلام): لا تجعلوا علمكم جهلا وبقينكم شكا اذا علمتم فاعملوا واذا تيقنتم فأقدموا(4).

ص: 295

1- الكافي كتاب الحجّة باب الفيء والأفقال وتفسير الخمس خبر - 26؛ والتهديب باب الزيادات، خبر 19

2- الوسائل باب 1 حديث 3 من أبواب ما يجب فيه الخمس ص 291

3- نهج البلاغة: حكمة 138

4- نهج البلاغة 274

ومن خطبة له (عليه السلام) يصف فيها الزكاة وأهميتها:

يقول (عليه السلام): ثم إن الزكاة جعلت مع الصلاة قربانا لأهل الإسلام فمن أعطاها طيب النفس بها فإنها تجعل له كفارة، ومن النار حجازا ووقاية. فلا يتبعنها أحد نفسه، ولا يكثرن عليها لهفه. فإن من أعطاها غير طيب النفس بها يرجو بها ما هو أفضل منها فهو جاهل بالسنة مغبون الأجر، ضال العمل، طويل الندم(1).

ويقول (عليه السلام) إن أفضل ما توسل به المتوسلون إلى الله سبحانه الإيمان به وبرسوله والجهاد في سبيله، فإنه ذروة الاسلام، وكلمة الإخلاص فإنها الفطرة.

وإقام الصلاة فإنها الملة. وإيتاء الزكاة فإنها فريضة واجبة(2).

وقال (عليه السلام): ومن ذلك ما حرس الله عباده المؤمنين بالصّـلوات والزّكوات... تسكيناً لأطرافهم، وتخشيعة لأبصارهم، وتخفيضاً لقلوبهم... مع ما في الزّكاة من صرف ثمرات الأرض، وغير ذلك من أهل المسكنة والفقير(3).

وقوله (عليه السلام): حصنوا أموالكم بالزّكاة(4).

والزكاة تتعلق بأشياء تسعة هي: الغلات الأربع أي الحنطة والشعير والتمر والزبيب، والأنعام الثلاثة أي الإبل والبقر والغنم، والنقدان أي الذهب والفضة، ثم إن الخمس نسبة 20٪ والزكاة نسبتها 10٪ وهو فيما سقت السماء من الغلات، وأدناها الواحد في المائة نصاب الشياه، إذ في كل أربعين شاة شاة واحدة، وهذان الحقان يشكلان العمود الفقري للآلية الإسلامية، وعادة ما يشكلان

ص: 296

1- نهج البلاغة: خطبة 199

2- نهج البلاغة: خطب الإمام علي عليه السلام، ج 1، ص 215، خطبة 110

3- المصدر نفسه، ج 3، ص 149، خطبة 193

4- المصدر نفسه، ج 2، حكمة 146؛ الوافي، الفيض الكاشاني ج 1، ص 43. خطبة 110

ربع الموارد، أي إذا جمعنا الخمس والزكاة معا يصبح في الميزانية العامة ما يقارب الخمس والعشرين في المائة(1).

هذا ويقسم الخمس على قسمين: الأول للإمام المعصوم (عليه السلام) ونائبه في عصر الغيبة، وهذا ما يسمى بسهم الإمام، الثاني لذرية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويسمى بسهم السادة، وقد ورد ذكر ذلك في الآية الشريفة في قوله عز وجل: «وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّبَعِ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»(2)، فيما كان لله والرسول والإمام المعصوم هو سهم ذوي القربى، أي قربي الرسول (صلى الله عليه وآله) ويسمى بسهم الإمام ويعطى له في حالة حضوره، وفي حالة غيبة الإمام (عليه السلام) يعطى إلى نائبه وهو الفقيه الجامع للشرائط ليصرفه في مصالح المسلمين، وما كان لليتامى المعوزين والفقراء المساكين وأبناء السبيل المنقطعين يسمى بسهم السادة، ويصرف في مصرف هؤلاء ممن لا يقدر على العمل ولا وارد له(3).

وأما الزكاة فتقسم على ثمانية أقسام كما ذكرت الآية الشريفة مواردنا في قوله تعالى (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)(4).

الاول: الفقير ويراد به من له حاجة لا يتمكن من سدها، الثاني: المسكين، وهو من أقعده الفقر وأسكنه عن فعل شيء، فهو أسوأ حالا من الفقير، والثالث:

ص: 297

1- ينظر: فقه الدولة: للشيخ فاضل الصفار، ج 2، ص 462

2- الانفال: 41

3- ينظر: فقه الدولة: الشيخ الصفار: ج 2 ص 462

4- التوبة: 60

وهو العامل عليها أي من يجبي الزكاة للإمام المعصوم (عليه السلام) أو الفقيه الجامع للشرائط، والرابع: المؤلفلة قلوبهم، وهم الكفار، إذ يعطون المال لأجل تقريبتهم إلى الإسلام، ويشمل أيضا المسلم الضعيف الإيمان، فيعطي المال لأجل تقوية إيمانه، والخامس: الغارمون، وهم الذين لهم دين لم يصرفوه في عصيان الله، ولا يقدر على أدائه أحياء كانوا أو أمواتا، كما ليس لهم ما يصرفه الورثة في أداء ديونهم، السادس: الرقاب، وهم العبيد الذين هم تحت الشدة من جهة الأسياد، فيشترى من الزكاة ويعتقون، السابع: وهو في سبيل الله عز وجل، والمراد به كل ما كان فيه مصلحة للإسلام والمسلمين مما ينطبق عليه عنوان سبيل الله عز وجل، والمراد به كل ما كان فيه مصلحة للإسلام والمسلمين مما ينطبق عليه عنوان سبيل الله سبحانه، والثامن: هو ابن السبيل، والمراد به من انقطع في السفر فلا يجد ما يوصله إلى أهله(1).

فيتحصل: وجوب الخمس والزكاة في الشريعة الإسلامية، فكلاهما من الأمور المالية التي تأخذ ممن له مال خاص ويصرفان: في مصالح المسلمين، والفقراء المعوزين.

المسألة الثانية: الجزية.

إن لفظ (الجزية) عند أكثر اللغويين والمفسرين لفظ عربي محض، مشتق من مادة (الجزاء) وهو عبارة عن مال تأخذه الحكومة الإسلامية من أهل الذمة. في قبال أن يمنحوا الأمن، جاء في القاموس: (الجزية بالكسر خراج الأرض وما يؤخذ من الذمي جمعه جزى وجزى وجزاء) وفي الصحاح: (الجزية ما يؤخذ من أهل الذمة والجمع الجزى مثل لحية ولحي(2)).

ص: 298

1- ينظر: فقه الدولة: للصفار مصدر سابق: ص 463

2- لسان العرب، ابن منظور ج 3 ص 311؛ مختار الصحاح، الرازي، ج 1، ص 50

وقال صاحب مجمع البيان: إن الجزية فعلة من جزی يجزي مثل القعدة والجلسة(1).

وذكر القرطبي في تفسيره: إن الجزية وزنها فعلة من جزی يجزي إذا كفاً عما أسدي إليه فكأنهم أعطوها جزاء ما منحوا من الأمن، وهي كالقعدة والجلسة(2).

الجزية مبالغ مالية تؤخذ من أهل الذمة لبيت مال المسلمين وهي الخراج المجعول عليهم والجزية على وزن فعلة من جزي يجزي إذا كفاً عما أسدي إليه فكأنها أعطيت جزاء ما منحوا من الأمن بحفظ ارواحهم واموالهم واعراضهم وعدم ايدائهم ما اوفوا بعهدهم ولم ينكثوا(3).

وفي الاصطلاح تعني: ضريبة يدفعها أهل الكتاب بصفة عامة، ويدفعها المجوس في آراء أغلب الفقهاء، والمشركون في رأي بعضهم، نظير أن يدافع عنهم المسلمون، وإن فشل المسلمون في الدفاع عنهم، ترد إليهم جزيتهم، ثم إنهم ذكروا في وجه تسمية هذا المال المخصوص ب (الجزية) و جوها أهمها أمران:

- كونها جزاء عما منحوا من الأمن والحماية لهم والدفاع عنهم من غير تكليفهم التجند للقتال مع المسلمين. وبكلمة أخرى: جزاء اعطاء الذمي حقوق المسلمين ومساواتهم بأنفسهم في حرية النفس والمال والعرض.

- كونها جزاء على تمسكهم بالكفر وعدم قتلهم بذلك(4) وظاهر قوله تعالى: «فَاتْلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ

ص: 299

1- مجمع البيان: للطبرسي ج 5 ص 2

2- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ج 8، ص 11

3- الموسوعة العربية العالمية: ص 1

4- الأحكام السلطانية، ص 153

صَاغِرُونَ»(1)، هو الوجه الثاني، حيث جعل اعطاء الجزية غاية لقتالهم، المستفاد منه إن هذا المال عقوبة على بقائهم في الكفر: وإنما سمي هذا المال جزية لأن معناها الاقتطاع، وفيه نوع من الضغط النفسي او الاجتماعي او الادبي، لأن الزكاة معناها النمو، والخمس معناه الجزء من المال، وأما الجزية فمعناها القطع من الكافر، وكأن ماله لا احترام له فيقطع منه(2)، ولكن المستفاد من بعض النصوص هو الوجه الأول. منها ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: (واعلم أن الرعية طبقات، لا يصلح بعضها إلا بعض، ولا غنى ببعضها عن بعض، فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها أعمال الانصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة)(3).

ففرض سبحانه على نبيه (صلى الله عليه وآله) أخذ الجزية من كفار أهل الكتاب، وفرض ذلك على الأئمة من بعده عليهم السلام، إذا كانوا هم القائمين بالحدود مقامه، والمخاطبين في الأحكام باخطوب به، وجعلها تعالى حقنا الدمائهم، ومنعا من استرقاقهم، ووقاية لما عداها من أموالهم(4).

وتعدّ الجزية نوعاً من الضغط كسائر الضغوط المحرجة لأجل أن يرجع عقلاؤهم إلى أنفسهم، ويلتفتوا إلى بطلان عقائدهم بواسطة فتح الحوار مع المسلمين، فبالحوار يتوصلون إلى أن عقيدتهم خرافية، وأن نظامهم ليس صحيحاً، ولو كانوا من المنصفين لتوصلوا إلى احقية الإسلام وصحة عقيدته وعدالة نظامه، ويكون لهم الداعي في الإيمان بالإسلام(5).

ص: 300

1- التوبة 29

2- فقه الدولة: للصفار مصدر سابق ص 463

3- نهج البلاغة خطب الإمام علي عليه اسلام ج 3 ص 90

4- المقنعة: الشيخ المفيد ص 269

5- ينظر: فقه الدولة: للصفار، ج 2 ص 464

- أصناف أهل الجزية:

والواجب عليه الجزية من الكفار ثلاثة أصناف: اليهود على اختلافهم، والنصارى على اختلافهم، والمجوس على اختلافهم. وقد اختلف فقهاء العامة في الصابئين ومن ضارهم في الكفر سوى من ذكرناه من الأصناف الثلاثة: فقال مالك بن أنس والأوزاعي: كل دين بعد دين الإسلام سوى اليهودية والنصرانية فهو مجوسية، وحكم أهله حكم المجوس. وروي عن عمر بن عبد العزيز أنه قال: الصابئون مجوس. وقال الشافعي وجماعة من أهل العراق: حكمهم حكم المجوس. وقال بعض أهل العراق: حكمهم حكم النصارى. فأما نحن فلا تجاوز بإيجاب الجزية إلى غير من عددناه، لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله فيهم، والتوقيف الوارد عنه في أحكامهم. وقد روي عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه وآله أنه قال: المجوس إنها الحقوا باليهود والنصارى في الجزية والديات، لأنه قد كان لهم فيما مضى كتاب(1).

- مقدار الجزية:

وليس في الجزية حد مرسوم لا يجوز تجاوزه إلى ما زاد عليه ولا حطّه عما نقص عنه، وإنما هي على ما يراه الإمام في أموالهم، ويضعه على رقابهم على قدر غناهم وفقيرهم(2).

وقدر الجزية كما يقرره الإسلام بدون أن تؤخذ من النساء والأطفال و الرهبان والمقعدين والفقراء منهم، بحسب ما يراه الحاكم الشرعي من المصلحة(3).

ص: 301

1- المصدر نفسه: ص 269

2- المقنعة: الشيخ المفيد: ص 272

3- فقه الدولة: للصفار مصدر سابق ص 464

عن زرارة قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما حد الجزية على أهل الكتاب وهل عليهم في ذلك شيء موظف لا ينبغي أن يجوزوا إلى غيره؟ فقال: ذاك إلى الإمام أن يأخذ من كل إنسان منهم ما شاء على قدر ماله بما يطيق (1).

وكان أمير المؤمنين عليه السلام قد جعل على أغنيائهم ثمانية وأربعين درهما، وعلى أوساطهم أربعة وعشرين درهما، وجعل على فقرائهم اثني عشر درهما. وكذلك صنع عمر بن الخطاب قبله، وإنما صنعه بمشورته عليه السلام (2).

- مصروف الجزية:

وكانت الجزية على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله عطاء المهاجرين، وهي من بعده لمن قام مع الإمام مقام المهاجرين، وفيما يراه الإمام من مصالح المسلمين

روى محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام: أنه سأله عن خراج أهل الذمة وجزيتهم إذا أدوها من ثمن خمورهم، وخنازيرهم، و ميّتهم أيحل للإمام أيأخذها، وتطيب للمسلمين؟ فقال: ذلك للإمام والمسلمين حلال، وهي على أهل الذمة حرام، وهم المحتملون لوزره (3).

وقال عليه السلام: لا يجوز رفع الجزية، لأنها عطاء المهاجرين، والصدقة لأهلها المسلمين في القرآن، وليس لهم من الجزية شيء. ثم قال: ما أوسع العدل: إن الناس يستغنون إذا عدل بينهم، وتنزل عليهم السماء رزقها، وتخرج الأرض بركاتها بإذن الله عز وجل (4).

ص: 302

- 1- النجعة في شرح اللمعة: الشيخ محمد تقي التستري، ج: 2، ص 161
- 2- الوسائل، ج 11، الباب 68 من أبواب جهاد العدو، ح 8، ص 116
- 3- الوسائل، ج 11، الباب 70 من أبواب جهاد العدو، ح 2، ص 118
- 4- الوسائل، ج 11، الباب 69 من أبواب جهاد العدو، ح 1 و 2، ص 116

المسألة الثالثة: الركاز والمعادن.

من الموارد المالية التي تعتمد عليها الحكومة الاسلامية هو الركاز.

والركاز لغة: هو كنوز الجاهلية المدفونة في الأرض، وقيل إنها المعادن، والقولان تحتملها اللغة، لأن كلا منها مركز في الأرض، أي ثابت، من: ركزه يركزه ركزا: إذا دفنه(1).

ويشترط في تملك الركاز أن يكون في أرض الحرب، سواء كان عليه أثر الجاهلية، أو أثر الإسلام كذكر النبي صلى الله عليه وآله، أو أحد ولاية الإسلام

والواجب بالركاز الخمس، لقوله عليه السلام (في الركاز الخمس)، وهو على إطلاقه، ولأنه مال كافر فلم يعتبر فيه النصاب كالغنيمة(2).

وقال أبو جعفر الباقر عليه السلام «كل ما كان ركازا ففيه الخمس»(3).

المسألة الرابعة: الفيء.

من الإيرادات التي تعتمد عليها الحكومة الاسلامية هو الفيء.

والفيء: الغنيمة التي تنال من دون قتال، والجمع أفياء، وفيء(4).

وقال الأزهري: الفيء: ما رده الله على أهل دينه من أموال من خالف أهل

ص: 303

1- تاج العروس للزبيدي: ج 15 ص 159 - 160

2-المعتبر: المحقق الحلبي ج 2 ص 125

3- التهذيب 4: 122 / 347

4- المعجم الوسيط: مادة (فيء)

دينه بلا قتال، إما بأن يجلوها عن أوطانهم ويخلوها للمسلمين، أو يصلحوا على جزية يؤدونها عن رؤوسهم، أو مال غير الجزية يفتدون به من سفك دمانهم(1).

- مشروعية الفية:

قال تعالى: «وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أُجِفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَا كِنٍّ اللَّهُ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»(2).

وقوله تعالى: «مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ»(3). ويقول العلامة الطبرسي في مجمع البيان: ذكر سبحانه حكم الفية فقال: (مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى) أي من أموال كفار أهل القرى (فلله) يأمركم فيه بما أحب (وللرسول) بتمليك الله إياه (ولذي القربى) يعني أهل بيت رسول الله، وقربته، وهم بنو هاشم (واليتامى والمساكين وابن السبيل) منهم، لأن التقدير ولذي قربه، ویتامی أهل بيته، ومساكينهم، وابن السبيل منهم(4).

- موارد الفية:

فموارد الفية كثيرة، نشير إليها باختصار منها:

ما جلا عنه الكفار خوفا من المسلمين من الأراضي والعقارات، ما تركه الكفار وجلوا عنه من المنقولات، ما أخذ من الكفار من خراج أو أجرة عن الأراضي التي ملكها المسلمون ودفعت بالإجارة لمسلم أو ذمي، أو الأراضي التي

ص: 304

1- تفسير الرازي: 10 ج: ص 505 506

2- الحشر: 6

3- الحشر: 7

4- مجمع البيان ج 9: 431

أقرت بأيدي أصحابها من أهل الذمة صلحا أو عنوة على انها لهم ولنا عليها الخراج والجزية، ومن موارد الفيء عشور أهل الذمة، وما صلح عليه الحربيون من مال يؤدونه إلى المسلمين.

ومن موارد الفيء أيضاً:

مال المرتد إن قتل أو مات، مال الذمي إن مات ولا وارث له وما فضل من ماله عن وارثه فهو فيء، وهناك مصاديق أخرى للفيء كالاراضي المغنومة بالقتال وهي الأراضي الزراعية عند من يرى عدم تقسيمها بين الغانمين.

- مصارف الفيء:

أما مصرفه: فهو في مصالح المسلمين بحسب ما يراه الإمام كرزق القضاة، والمؤذنين، والأئمة، والفقهاء، والمعلمين وغير ذلك من مصالح المسلمين؛ وفي المغازي للواقدي بسنده: « فقال عمر: يا رسول الله، ألا تحمس ما أصبت من بني النضير كما خمست ما أصبت من بدر؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): لا أجعل شيئاً جعله الله - عزَّ وجلَّ - لي دون المؤمنين بقوله: «ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى» (الآية، كهيئة ما وقع فيه السهمان للمسلمين)»⁽¹⁾. ولا يخفى أن مقصود عمر في سؤاله تخميس المال وتقسيم البقية، كما في الغنائم. والرواية شاهد على وقوع التخميس في غنائم بدر، ولهذا ذكر الله تعالى كل فئات المسلمين في معرض بيان مصارف الفيء فقال سبحانه وتعالى: «مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ»، فيأخذ منه الإمام من غير تقدير، ويعطي القرابة باجتهاد، ويصرف الباقي في مصالح المسلمين.

ص: 305

وقد تعدّى ذلك إلى ما وهبه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأهل بيته من أموال الفيء، ومن مصاديقه فديكا، وهي قرية بناحية الحجاز، بينها وبين المدينة يومان، وأرضها كانت لليهود، فأفأها الله تعالى على رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) صلح سنة 7 هـ دون أن يوجف عليها المسلمون بنخيل ولا ركاب.

وقد ورد إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) منح فديكا إلى ابنته الزهراء (عليها السلام) في حياته حينما نزلت الآية (وآت ذا القربى حقه) على ما رواه المحدثون والمفسرون عن أمير المؤمنين (عليه السلام) وابن عباس وأبي سعيد الخدري، وحينما توفي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وضعت سلطة الخلافة المزعومة يدها على نحلة الزهراء (عليها السلام) في فديكا، وأخرجت وكيلها منها، وجعلتها من مصادر بيت المال و موارد ثروة الدولة كما زعمت (1).

ويظهر الفرق بين الغنيمة والفيء من خلال: الغنيمة ما غنمه المسلمون واستولوا عليه من أموال العدو ومعداتهم... بالقوة والقتال..

فهذا يقسم بين المقاتلين بعد خصم خمسه وجعله في بيت مال المسلمين لصفه في المصالح العامة.

قال الله تعالى: «وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ...» (2)، وأما الفيء فهو ما حصل عليه المسلمون من أموال بدون قتال. وهذا مرجعه إلى بيت المال واجتهاد ولي أمر المسلمين، قال الله تعالى: مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي

ص: 306

1- تفسير الدر المنثور: السيوطي 5: 272؛ وينظر مجمع الزوائد: الهيثمي 7: 49؛ وينظر كنز العمال: المتقي الهندي 3: 767 / 8696؛

وينظر مجمع البيان: الطبرسي 6: 634؛ وينظر الشافي: المرتضى 4: 90 و 98

2- الأنفال: 41

الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ..(1).

المسألة الخامسة: الغنائم.

الغنيمة: ما يؤخذ من المحاربين في الحرب فهرا والجمع غنائم(2).

الغنائم اصطلاحاً المال الذي يصيبه المسلمون من أعدائهم من خلال القتال والعنوة.

ويقصد بالغنائم: كل ما يحصل عليه الجيش الإسلامي في ميدان الحرب، بعد انتهاء المعارك، من أموال ودواب وسلاح وملابس، وأسرى من المحاربين، والسبي من النساء والأطفال، ويعرّف الفقهاء الغنائم: بأنها ما غلب عليه المسلمون من أموال أهل الحرب حتى يأخذه عنوة، يعني: بالسلاح والقتال.

وتعدّ الغنائم التي حازها المسلمون من أعدائهم، مورداً حسناً لبيت المال وللمقاتلين، ومن المعلوم أن القرآن نص على توزيع الغنائم بين الدولة والمقاتلين، ولم يترك ذلك لاجتهاد الدولة، فجعل للجيش الذي غنمها أربعة أخماسها، واحتفظ بالخمس يصرفه الرسول أو خليفته في مصالح الدين والدولة، ومرافق المسلمين العامة.

وفي ذلك يقول الله تعالى: «وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ أَجْمَعِينَ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»(3).

ص: 307

1- الحشر: 7

2- ينظر التعريفات: الجرجاني، ج 1، ص 52

3- الأنفال: 41

وكل ما أفاده الناس فهو غنيمة، لا فرق بين الكنوز والمعادن والغوص ومال الفيء الذي لم يختلف فيه، وهو ما ادعي فيه الرخصة، وهو ربح التجارة وغلة الضيعة، وسائر الفوائد من المكاسب والصناعات والمواريث وغيرها، لأن الجميع غنيمة وفائدة من رزق الله تعالى(1).

وإذا غنم المسلمون شيئاً من أهل الكفر بالسيف قسمه الإمام على خمسة أسهم، فجعل أربعة منها بين من قاتل عليه، وجعل السهم الخامس على ستة أسهم، منها ثلاثة له عليه السلام: سهان وارثة من الرسول صلى الله عليه وآله، وسهم بحقه المذكور، وثلاثة للثلاثة أضافه من أهله: فسهم لأيتامهم، وسهم لمساكينهم، وسهم لأبناء سبيلهم، فيقسم ذلك بينهم على قدر كفايتهم في السنة ومؤونتهم، فما فضل عنها أخذه الإمام منهم، وما نقص منها تممه لهم من حقه، وإنما كان له أخذ ما فضل لأن عليه إتمام ما نقص(2).

وروى أبو بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: كل شيء قوتل عليه على شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله فإن لنا خمسة، ولا يحل لأحد أن يشتري من الخمس شيئاً حتى يصل إلينا نصيبنا(3).

وفي رواية علي بن مهزيار، فإن فيها: (فأما الغنائم والفوائد فهي واجبة عليهم في كل عام قال الله تعالى * (واعلموا) *. الآية. إلى أن قال (عليه السلام): والغنائم والفوائد يرحمك الله فهي الغنيمة يغنمها المرء والفائدة يفيدها والجائزة من الإنسان للإنسان التي لها خطر والميراث الذي لا يحتسب من غير أب ولا ابن(4).

ص: 308

1- فقه الرضا: علي ابن بابويه القمي ص 294

2- المقنعة: الشيخ المفيد ص 278

3- الوسائل، ج 6، الباب 2 من أبواب ما يجب فيه الخمس، ح 5، ص 339 مع تفاوت. والباب 3 من أبواب الأنفال، ح 9، ص 378 عن الكتاب

4- الوسائل، ب 8 من أبواب ما يجب فيه الخمس، ح 5. وسورة الأنفال، الآية 41

عن الامام الصادق (عليه السلام): وللإمام قبل القسمة من الغنيمة ماشاء على ما قدمناه في صفو الأموال، وله أن يبدأ بسد ما ينويه بأكثر ذلك المال. وإن استغرق جميعه فيما يحتاج إليه من مصالح المسلمين كان ذلك له جائزا، ولم يكن لأحد من الأمة عليه اعتراض. وجاء في حديث عن الامام أبي الحسن عليه السلام: قال وليس لمن قاتل معه شيء من الأرضين، ولا ما غلبوا عليه إلا ما احتوى عليه العسكر.

المسألة السادسة: أموال الخراج والمقاسمة.

من الموارد المالية الذي تأخذه الدولة وتعتمد عليه، هو المال الذي تأخذه الحكومة في قبال إجارة الأراضي المفتوحة لمن استأجرها منها. وهما ضربيتان مضرورتان على من يعمل في الأراضي التي فتحها المسلمون بالقتال وسبب ذلك أن هذه الأراضي ملك لعامة المسلمين فلا بد أن تصرف عائداتها في مصالحهم بعد أن يكون للعامل فيها ومحيتها حصّة لقاء عمله. (1)

والمقاسمة: حصّة من حاصل الأرض، تؤخذ عوضا عن زراعتها. والخراج: مقدار من المال يضرب على الأرض أو الشجر حسبما يراه الحاكم. ونبة بقوله باسم المقاسمة واسم الخراج على انهما لا يتحققان إلا بتعيين الإمام العادل (2).

وعليه فإن قدرّت الدولة مقدارا خاصا من المال في مقابل الاجارة سمي ذلك خراجا، لأنه خرج من كيس الزارع ونحوه إلى كيس الدولة، وإن قدرّت الدولة نسبة خاصة ولم تعين مقدارا كالثلث والربع والنصف من الارباح سمي حينئذ مقاسمة، لأن الدولة والعامل يتقاسمان الربح (3).

ص: 309

1- مفاهيم القرآن: الشيخ جعفر السبحاني: ج 2 ص 582 - 583

2- الحقائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة: المحدث الشيخ يوسف آل عصفور البحراني ص 244

3- فقه الدولة: للصفار ص 465

المسألة السابعة: سياسة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في الخراج.

تعتمد سياسة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في جباية الخراج على إجراءات مرنة وتعامل الاسلامي الحقيقي، حيث يؤكد الإمام (عليه السلام) على إن الاهتمام في هذا الأمر يساعد على حل مشكلة الفقر والعوز عند الناس، حيث يعد هذا العطاء استقامة واستقراراً لهم في تحقيق أهدافهم في الحياة الاجتماعية، ومن هذا المنطلق نستعرض سياسته (عليه السلام) من خلال رسالته التي بعثها البعض عماله يحثه على الالتزام بالسلوكيات العامة للقيادة في المنظومة القيادية

يقول (عليه السلام):

«انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له، ولا ترؤعن مسلماً، ولا تجتازن عليه كارهاً، ولا تأخذن منه أكثر من حق الله في ماله. فإذا قدمت على الحيي فانزل بمائهم من غير أن تحالط أبيائهم، ثم امض إليهم بالسكينة والوقار، حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم، ولا تخرج بالتحية لهم، ثم تقول: عباد الله، أرسلني إليكم ولي الله وخليفته، لاخذ منكم حق الله في أموالكم، فهل لله في أموالكم من حق فتؤدوه إلي وليه؟ فإن قال قائل: لا فلا تراجع، وإن أنعم لك منعم فانطلق معه من غير أن تحيفه أو تعسه أو ترهقه، فخذ ما أعطاك من ذهب أو فضة، فإن كانت له ماشية أو إبل فلا تدخلها إلا بإذنه، فإن أكثرها له، فإذا أتيتها فلا تدخلها دخولاً مفسداً عليه ولا عفيف به، ولا تنفرن بهيمة ولا تفر عنها، ولا تسوءن صاحبها فيها، واصدع المال صدعين، ثم خيره، فإذا اختار فلا تعرضن لما اختاره، ثم اصدع الباقي صدعين، ثم خيره، فإذا اختار فلا تعرضن لما اختاره، لما تزال بذلك حتى يبقى ما فيه وفاء لحق الله في ماله، فأقبض حق الله منه، فإن

ص: 310

اسد تَمَّالِكَ فَاقْلُهُ، ثُمَّ اخْلِطُهُمَا، ثُمَّ اصْنَعْ مِثْلَ الْاَيْدِي صَدَّعْتَ اَوْلًا حَتَّى تَأْخُذَ حَقَّ اللّٰهِ فِي مَالِهِ. وَلَا تَأْخُذَنَّ عَوْدًا، وَلَا هَرِمَةً، وَلَا مَكْسُورَةً، وَلَا مَهْلُوسَةً، وَلَا ذَاتَ عَوَارٍ. وَلَا تَأْمَنْنَ عَلَيْهَا اِلَّا مَنْ تَثِقُ بِدِينِهِ، رَافِقًا بِمَالِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يُوصِدَ لَهٗ اِلَى وَلِيِّهِمْ فَيَقْسِمَ مَهٗ بَيْنَهُمْ. وَلَا تُوَكِّلْ بِهَا اِلَّا نَاصِرًا حَاسِدًا فَيَقْتُلُ، وَامِينًا حَفِيظًا، غَيْرَ مُعْتَفٍ وَلَا مُجْحَفٍ، وَلَا مُلْغِبٍ وَلَا مُتْعِبٍ. ثُمَّ الْحُدُزُ اِلَيْنَا مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ، نَصِيْرُهُ حَيْثُ اَمَرَ اللّٰهُ بِهِ. فَاِذَا اَخَذَهَا اَمِيْنُكَ فَاَوْعِزْ اِلَيْهِ: اَلَا يَحُوْلُ بَيْنَ نَاقَةِ وَبَيْنَ فَصِّ بَيْلِهَا، وَلَا يَمْصُرُ لَبَنَهَا فِي ذَلِكَ بَوْلِهَا، وَلَا يَجْهَدَنَّهَا رُكُوبًا، وَلِيَعْدِلَ بَيْنَ صَوَاحِبَاتِهَا فِي ذَلِكَ وَيَبَيِّنَهَا، وَلِيُرْفَهُ عَلَى اللّٰغِبِ، وَلِيَسِدَّ تَانِ بِالْتَّقَبِ وَالظَّالِعِ، وَلِيُوْرِدُهَا مَا تَمُرُّ بِهِ مِنَ الْعُدْرِ، وَلَا يَعْدِلُ بِهَا عَنْ نَبْتِ الْاَرْضِ اِلَى جَوَادِّ الطَّرِيقِ، وَلِيُرْوِحَهَا فِي السَّاعَاتِ، وَلِيُْمَهِّلَهَا عِنْدَ النُّطَافِ وَالْاَعْشَابِ، حَتَّى تَأْتِيْنَا بِاِذْنِ اللّٰهِ بَدْنًا مُنْقِيَاتٍ، غَيْرِ مُتْعَبَاتٍ وَلَا مَجْهُودَاتٍ، لِنَقْسِمَ مَهَهَا عَلَى كِتَابِ اللّٰهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ (عليه السلام) فَاِنَّ ذَلِكَ اَعْظَمُ لِاجْرِكَ، وَاَقْرَبُ لِرُشْدِكَ، اِنْ شَاءَ اللّٰهُ»(1).

اشتمل خطاب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) على جملة من التعاليم الاسلامية في جباية الخراج، اذ يعطي (عليه السلام) درسا اخلاقيا وتربويا في كيفية وطريقة أخذ الخراج من الناس وتوزيعها، فيتحدث سلام الله عليه في جملة من القيم والمبادئ السامية والرفيعة، لا بد ان يتحلى بها القائد أو الوالي أو من توكل اليه مهمة جباية الخراج، فخطاب الإمام (عليه السلام): يدل بوضوح على المسيرة الرائدة للنبي (صلى الله عليه واله) في تعيين الإمام قائدا لأمته وخليفة من بعده، ومن المؤكد أن هذه الأحكام الرفيعة لا تصدر إلا من وصي نبي منحه الله تعالى الحكمة وفصل الخطاب(2).

ص: 311

1- نهج البلاغة: 52

2- مناهج حكومة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): باقر شريف القرشي ص 116

يوصي الامام (عليه السلام) الوالي أو عامله على جباية الخراج بالتقوى (انْطَلِقْ عَلَيَّ تَقْوَى اللَّهِ وَحَدَّةَ لَا شَرِيكَ لَهُ)، يبين الإمام إن التقوى مفتاح لكل الاعمال التي يريد الإنسان أن يقدم عليها، لأنها الغطاء الذي يحفظ الإنسان من الاخطار والوقوع في الرذائل، وهي مفتاح النجاح والتوفيق والتسديد، فيؤكد الامام (عليه السلام) في منهجه وسياسة على كل من يتصدى لمسؤولية معينة ان يتحلى بالتقوى. يقول (عليه السلام): فإن تقوى الله مفتاح سداد، وذخيرة معاد وعتق من كل ملكة، ونجاة من كل هلكة. بها ينجح الطالب، وينجو الهارب، وتنال الرغائب(1).

ومن كلام له (عليه السلام) يصف فيها فوائد التقوى: فإن تقوى الله دواء داء قلوبكم، وبصر عمى أفندتكم، وشفاء مرض أجسادكم، وصلاح فساد صدوركم، وطهور دنس أنفسكم، وجلاء غشاء أبصاركم، وأمن فزع جأشكم، وضياء سواد ظلمتكم(2).

يؤكد الامام (عليه السلام) في وصية (وَلَا تُرَوِّعَنَّ مُسْلِمًا، وَلَا تَجْتَازَنَّ عَلَيْهِ كَارِهًا، وَلَا تَأْخُذَنَّ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِي مَالِهِ، فَإِذَا قَدِمْتَ عَلَيَّ الْحَيِّ فَاَنْزِلْ بِمَائِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخَالِطَ أَيْتَانَهُمْ)

يتحدث الإمام عليه السلام في هذا الجزء من الوصية عن الأبعاد الانسانية التي يجب أن تتوافر في المسؤول والحاكم، وهو عدم ادخال الفزع على قلوب الناس وتخويفهم والتطاول عليهم، من خلال سلب حقوقهم وتحميلهم أكثر من طاقتهم والابتعاد عن منازلهم مخافة انزال الذعر فيهم:

ص: 312

1- نهج البلاغة: خطب الإمام علي ج 2 ص 223

2- شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج 10 ص 188

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً (1). في هذا الحديث دلالة أنه لا يجوز ترويع المسلم حتى في صورة المزح.

وهناك اساليب أخرى لترويع الناس وتخويفهم:

منها اشهار السلاح بوجههم، كما في قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): من أشار إلى أخيه المسلم بسلاحه لعنته الملائكة حتى ينحيه عنه. (2)

ومنها أن تنظر اليهم بنظرة مخيفة:

في رسالة الصادق (عليه السلام) إلى النجاشي: وإياك أن تخيف مؤمناً، فإن أبي حدثني عن أبيه، عن جده علي بن أبي طالب (عليهم السلام) أنه كان يقول: من نظر إلى مؤمن نظرة ليخيفه بها، أخافه الله يوم لا ظل إلا ظله، وحشره في صورة الذر لحمه وجسده وجميع أعضائه حتى يورده مورده (3).

ومنها تخويفهم من خلال الحاكم أو السلطان:

عن الصادق (عليه السلام): من روع مؤمناً بسلطان ليصيبه منه مكروه فلم يصبه فهو في النار. ومن روع مؤمناً بسلطان ليصيبه منه مكروه فأصابه، فهو مع فرعون وآل فرعون في النار (4).

ص: 313

1- نيل الأوطار: الشوكاني، ت: 1255،: 1973: دار الجيل - بيروت لبنان، ج 6، ص 62 ص 62

2- جامع أحاديث الشيعة: السيد البروجردي، ج: 16 ص 358

3- مستدرک سفينة البحار: الشيخ علي النمازي الشاهرودي، ج: 3 ص 227

4- المصدر نفسه: ص 228

عنه (صلى الله عليه وآله): من أحزن مؤمنا ثم أعطاه الدنيا لم يكن ذلك كفارته ولم يؤجر عليه(1).

وفي حديث مناجاة موسى (عليه السلام) قال تعالى: واعلم أن من أخاف لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، ثم أنا الثائر لهم يوم القيامة(2).

ثم يوصي (عليه السلام) الوالي بأن لا يأخذ منهم أكثر مما فرض الله تعالى عليه من الحق؛ قوله (عليه السلام): «ثُمَّ امْضِ إِلَيْهِمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ، حَتَّى تَقُومَ بَيْنَهُمْ فَتَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ، وَلَا تُخْرِجْ بِالتَّحِيَّةِ لَهُمْ، ثُمَّ تَقُولُ: عِبَادَ اللَّهِ، أُرْسَلْتُ إِلَيْكُمْ وَإِلَى اللَّهِ وَخَلِيفَتُهُ، لَا مِنْكُمْ حَقٌّ لِلَّهِ فِي أَمْوَالِكُمْ، فَهَلْ لِلَّهِ فِي أَمْوَالِكُمْ مِنْ حَقٍّ فَتَوَدُّوهُ إِلَىٰ وَلِيِّهِ؟ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: لَا، فَلَا تُرَاجِعْهُ، وَإِنْ أَنْعَمَ لَكَ مُنْعِمٌ فَانْطَلِقْ مَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخِيفَهُ أَوْ تُوعِدَهُ أَوْ تُعْسِدَ فَمَهُ أَوْ تُرْهِقَهُ، فَخُذْ مَا أَعْطَاكَ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، فَإِنْ كَانَتْ لَهُ مَانِيَةٌ أَوْ إِبِلٌ فَلَا تَدْخُلْهَا إِلَّا بِإِذْنِهِ، فَإِنَّ أَكْثَرَهَا لَهُ، فَإِذَا أَتَيْتَهَا فَلَا تَدْخُلْهَا دُخُولَ مُتَسَلِّطٍ عَلَيْهِ وَلَا عَنِيْفٍ بِهِ، وَلَا تُتْفِرَنَّ بِهِمَةً وَلَا تُفْزِعَنَّهَا، وَلَا تَسُوءَنَّ صَاحِبَهَا فِيهَا، وَاصْدَعْ الْمَالَ صَدْعَيْنِ، ثُمَّ خَيْرُهُ، فَإِذَا اخْتَارَ فَلَا تَعْرِضَنَّ لِمَا اخْتَارَ، فَلَا تَزَالُ بِذَلِكَ حَتَّى يَبْقَى مَا فِيهِ وَفَاءً لِحَقِّ اللَّهِ فِي مَالِهِ، فَاقْبِضْ حَقَّ اللَّهِ مِنْهُ، فَإِنَّ اسْمَ تَمَالِكَ فَأَقْلَهُ، ثُمَّ اخْلِطْهُمَا، ثُمَّ اصْنَعْ مِثْلَ الَّذِي صَنَعْتَ أَوْلَىٰ حَتَّى تَأْخُذَ حَقَّ اللَّهِ فِي مَالِهِ».

ص: 314

1- البحار: ج 75 ص 150 / 13 و ص 54 / ح 19

2- المصدر نفسه: ص 228

يتحدث الامام (عليه السلام) عن آداب أخرى للتعامل مع الناس، كأداء التحية عليهم بالآداب والخلق العظيم وتعريفهم بمن بعثه اليهم، وعدم مزاحمتهم اذا لم يكونوا متمكنين من ان يدفعوا اليه شيئاً، واذا كانوا متمكنين فيذهب معهم ليرى ماذا عندهم من حق، فاذا كان الحق الذي يدفعونه ينقسم إلى قسمين، القسم الاول التقدين الذهب والفضة، والقسم الثاني الانعام الثلاثة، الغنم، الابل، البقر فاذا كان من القسم الاول يؤخذ منهم برفق ورعاية، واذا كان من القسم الثاني فيقسم المال إلى قسمين، فيجعل الخيار في أيديهم من اختيار أحد القسمين.

ويؤكد الإمام (عليه السلام) في هذا المقطع عن أهمية الزكاة والحث عليها وعدم التهاون فيها.

قال عليه السلام لمعاذ (أعلمهم أن عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم)(1).

- قوله (عليه السلام): وَلَا تَأْخُذَنَّ عَوْدًا، وَلَا هَرْمَةً، وَلَا مَكْسُورَةً، وَلَا مَهْلُوسَةً، وَلَا ذَاتَ عَوَارٍ.

يوصي الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) عامله بوصايا أخرى في التعامل الانساني، أن لا يأخذ الهرمة والمكسورة وذات العوار يقول له يجب ان تميز بين الانعام في طريقة جبايتها وأخذها، ولا تؤخذ مريضة من الصحاح، ولا هرمة، ولا ذات عوار أي: ذات عيب، لقوله تعالى: (ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون). وقال النبي صلى الله عليه وآله: (لا تخرج في الصدقة هرمة ولا ذات عوار ولا تيس إلا ما شاء المصدق) أي: العامل(2).

ص: 315

1-المعتبر: المحقق الحلي ج: 2 ص 565

2- صحيح البخاري 2: 147

وعن الصادق عليه السلام: ولا تؤخذ هرمة، ولا ذات عوار، إلا أن يشاء المصدق، يعد صغيرها وكبيرها(1).

. ولا تأمن عليها إلا من ت. بدينه، رافق بالي المسلمين حتى يوصله إلى وليهم .

يقول (عليه السلام) على الشخص الذي توكل اليه مهمة جلب الصدقات إلى الامام (عليه السلام) أن يكون أميناً ثقة ومخلصاً، لا يستبيح للدولة والرعية حقاً من حقوقها، حتى يقسمها بالتساوي بين المسلمين، ويأخذ هو كنصيب واحد منهم ولا يفضل عليهم.

ثم يبين (عليه السلام) طبقات الناس الذين يستحقون العطاء؛ يقول (عليه السلام): «ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين، وأهل البؤس والزماني فإن في هذه الطبقة قانعاً ومعتراً؛ واحتفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم، واجعل لهم قسماً من بيت مالك، وقسماً من غلات صوافي الإسلام في كل بلد. فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى، وكل قد استرعيت حقه، فلا يشغلنك عنهم بطر، فإنك لا تعذر بتضييعك التافه لأحكامك الكثير المهم فلا تشخص همك عنهم، ولا تصغر خدك لهم. وتفقّد أمور من لا يصل إليك منهم، ممن تقتحمة العيون وتحقره الرجال ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع، فليرفع إليك أمورهم، ثم اعمل فيهم بالإعذار إلى الله يوم تلقاه. فإن هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الانصاف من غيرهم. وكل فاعذر إلى الله في تأدية حقه اليه. وتعهد أهل اليتيم، وذوي الرقة في السن ممن لا حيلة له ولا ينصب للمسألة نفسه»(2).

ص: 316

1- التهذيب 4: 20 / 52، الاستبصار 2: 19 / 56 و 23 / 62

2- نهج البلاغة ص 438، الرسالة 53 وينظر اقتصادنا: السيد محمد باقر الصدر ص 667

ثم يقول (عليه السلام): «وَلَا تُوَكَّلْ بِهَا إِلَّا نَاصِيحًا شَدِيدًا، وَأَمِينًا حَفِيظًا، غَيْرَ مُعَنَّفٍ وَلَا مُجَحِّفٍ، وَلَا مُلْغِبٍ وَلَا مُتَعَبٍ. ثُمَّ أَحَدُرْ إِلَيْنَا مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ، نُصَدِّقُهُ حَيْثُ أَمَرَ اللَّهُ بِهِ. فَإِذَا أَخَذَهَا أَمِينُكَ فَأَوْعِزْ إِلَيْهِ: أَلَا يَحُولُ بَيْنَ نَاقَةِ وَبَيْنَ فَصِيلِهَا، وَلَا يَمْضُرُ لَبَنَهَا فَيَضُرَّ ذَلِكَ بَوْلِدَهَا، وَلَا يَجْهَدُ دَنَّتَهَا رُكُوبًا، وَلْيَعْدِلْ بَيْنَ صَوَاحِبَاتِهَا فِي ذَلِكَ وَبَيْنَهَا، وَلْيُرْفَهُ عَلَى الْأَغْبِ، وَلْيَسْتَأْنِ بِالنَّقَبِ وَالظَّلَالِ، وَلْيُورِدْهَا مَا تَمُرُّ بِهِ مِنَ الْغُدْرِ، وَلَا يَعْدِلْ بِهَا عَنْ نَبْتِ الْأَرْضِ إِلَى جَوَادِّ الطُّرُقِ، وَلْيُرَوِّحَهَا فِي السَّاعَاتِ، وَلْيُمَهِّلْهَا عِنْدَ النَّطْفِ وَالْأَعْشَابِ، حَتَّى تَأْتِيَنَا بِإِذْنِ اللَّهِ بِدَنَا مُنْقِيَاتٍ، غَيْرِ مُتَعَبَاتٍ وَلَا مَجْهُودَاتٍ، لِنَقْسِمَهَا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ (عليه السلام) فَإِنَّ ذَلِكَ أَعْظَمُ لِاجْرِكَ، وَأَقْرَبُ لِرُشْدِكَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ»(1).

يوصي الإمام (عليه السلام) عامله على الخراج بالرفق في الحيوان رفقاً رقيقاً على وجه العموم، فلا يرهقه في المسير ولا الحمل والركون، ولا يحرم الصغير من لبن أمه، وتجب مراعاة الهزيل والمريض بما يستدعيه ضعفه ومرضه، ولا يجار عليه إذا تلاكأ في السير. قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): للدابة على صاحبها خصال ست: أن يبدأ بعلفها إذا نزل، ويعرض عليها الماء إذا مر به، ولا يضرب وجهها، ولا يقف على ظهرها إلا في سبيل الله، ولا يحملها فوق طاقتها، ولا يكلفها من المشي إلا ما تطيق(2)، وليس هناك من البر بالحيوان مثل الذي ذكره الامام (عليه السلام).

أقول: تعد هذه الوصايا والبند التي أوردناها من نص خطاب الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) دستوراً حقيقياً في التعامل الاسلامي في المجتمع، وحاكيا عن الرأفة والرحمة بالناس البسطاء الذين يعيشون على كد أيديهم ووفرة أنعامهم، وكثير ما واجه هؤلاء مرارة العيش وظلم السلاطين.

ص: 317

1- نهج البلاغة: خطب الإمام علي عليه السلام، ج 3 ص 25

2- في ظلال نهج البلاغة: محمد جواد مغنية، ج 3 ص 449

ويقول (عليه السلام) في قسم من العهد:

وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله، وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرج البلاد وأهلك العباد ولم يستقم أمره إلا قليلاً فإن شكوا ثقلاً أو علةً أو انقطاع شرب أو بالة أو إحالة أرض اغتمرها غرق أو أجحف بها عطش خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم، ولا يثقلن عليك شيء خففت به المئونة عنهم فإنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك مع استجلابك حسن ثنائهم وتبجحك باستفاضة العدل فيهم، معتمداً فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من إجمامك لهم والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم ورفقك بهم، فربما حدث من الأمور ما إذا عولت فيه عليهم من بعد احتملوه طيبةً أنفسهم به، فإن العمران محتمل ما حملته وإنما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها وإنما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع وسوء ظنهم بالبقاء وقلة انتفاعهم بالعبر(1).

يؤكد الامام (عليه السلام) في هذا المقطع من العهد، إن الدولة التي تعتمد على الضرائب والخراج، لا بد لها ان توفر مقدماته وتهيئة السبل أمامه.

ويركز الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) على الطبقتين الاقتصادية والاجتماعية، وهما المكلفتان بدفع الخراج، اي المستثمرين الزراعيين وغيرهم من المنتجين في الأرض التي عليها الخراج وهي أراضٍ واسعة تتميز بخصوبة تربتها، وبزراعتها لمحاصيل استراتيجية مهمة كالحنطة والشعير والتمر والزبيب ... وغيرها،

ص: 318

والذين يعملون فيها شريحة واسعة من المجتمع، حيث يعد النشاط الزراعي، النشاط الأول بالاقتصاد القومي، ومن ثم فهو السبب الرئيسي في العمارة حتى إن هذه الأراضي الخراجية تسمى بأرض السواد، وهي أرض العراق وبلاد الشام ومصر، إضافة إلى أرض بلاد فارس وأرض خيبر وغيرها من الأراضي الخراجية التي تحقق للدول الإسلامية موارد مالية كبيرة مقارنة بالموارد المالية الأخرى، لذلك نلاحظ أن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) أكد على أهمية تقعد أمر الخراج، أي متابعته تفصيلية وشاملة لكل من الخراج وأهل الخراج، أي دراسة كافية لحقوق الدولة وحقوق أهل الخراج على حد سواء وآثارهما على من سواهم (المجتمع). وبعد ذلك بمثابة وضع نظام مالي متوازن بالخراج يخدم أهل الخراج (المنتجين الزراعيين)، أي يعمل على تحفيزهم وحثهم على الاستمرار في العمل في النشاط الزراعي وعلى زيادة الإنتاج، سواء كان من خلال زيادة الإنتاجية الكلية أو من خلال زيادة المساحة المزروعة، أي خلق حالة من المنافسة بين هؤلاء المنتجين الزراعيين على توسيع الإنتاج الزراعي واحساسهم بأهمية الإنتاج الذي يقومون بتحقيقه، وانهم شريحة مهمة في المجتمع، حيث يعتمد عليهم في إصلاح بقية المجتمع بعد أن يتحقق الإصلاح في الخراج وأهل الخراج، ولا يتحقق الإصلاح ببقية فئات المجتمع وبقيّة النشاطات الاقتصادية الأخرى إلا بعد أن تصلح كل من الخراج وأهل الخراج، وذلك لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله(1).

فضلاً عن تقديم الإعانة للمزارعين وسد احتياجاتهم وتخفيف المؤن (الخراج) عنهم: لأن الزراعة من أهم وسائل التنمية والاكتفاء الذاتي، فقد ورد في الاخبار ما يدل على استحباب الزراعة، وفي الوقت نفسه أباح إحياء الأرض وحياسة المباحات فيها: روى سيابة أن رجلاً سأل الصادق (عليه السلام): أسمع قوماً

ص: 319

1- الإمام علي بن أبي طالب وسياسته في الخراج لمعالجة السكن والاعمار: رضا صاحب أبو حمد: ص 121

يقولون: إنَّ الزراعة مكروهة، فقال: «ازرعوا واغرسوا، فلا والله ما عمل الناس عملاً أحلَّ ولا أطيّب منه، والله لنزرعنّ الزرع ولنغرسنّ غرس النخل بعد خروج الدجال(1)».

وسأل هارون بن يزيد الواسطي الباقر (عليه السلام) عن الفلاحين، فقال: هُم الزارعون كنوز الله في أرضه، وما في الأعمال شيء أحبّ إلى الله من الزراعة، وما بعث الله نبياً إلاّ زارعاً، إلاّ إدريس (عليه السلام) فإنّه كان خياطاً(2).

سئل النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أي الأعمال خير؟ قال زرع زرعه صاحبه وأصلحه وأدى حقه يوم حصاده قال فأبي المال بعد الزرع خير؟ قال رجل في غنم له قد تبع بها مواضع القطر يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة قال فأبي المال بعد الغنم خير قال البقر تغدو بخير وتروح بخير قال فأبي المال بعد البقر خير؟ قال الراسيات في الوحل المطعمات في المحل نعم المال النخل من باعها فإنما ثمنه بمنزلة رماد على رأس شاهق اشتدت به الريح في يوم عاصف إلا أن يخلف مكانها(3).

وعن الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال «أيما قوم احيوا شيئاً من الأرض او عمروها فهم أحقّ بها، وسئل الإمام أبو عبد الله الصادق (عليه السلام) عن الرجل يأتي الأرض فيستخرجها، ويجري أنهارها ويعمرها (ويزرعها، ماذا عليه؟ قال (عليه السلام): الصدقة، قلت: فإن كان يعرف صاحبها: قال فليؤد إليه حقه فالأرض لله ولمن يقوم بعمارتها، لا لمن تركها وخربها»، وفي الحديث الشريف من أحيأ أرضاً ميتاً من المسلمين، فليعمرها وليؤد خراجها إلى الإمام من

ص: 320

1- الكافي 5: 260 / 3، التهذيب 6: 384 - 385 / 1139

2- التهذيب 6: 386 / 1138

3- الوافي: الفيض الكاشاني الجزء: 17 ص 131

أهل بيتي وله من أكل منها، فإن تركها أو خربها، فأخذها رجل من المسلمين من بعده فعمرها وأحياها فهو أحق بها من الذي تركها فليؤد خراجها. (1)

وهذا يعني أن هناك حثاً من الشارع المقدس على العمل وعلى إحياء الأرض واستثمارها والاستفادة منها، فيتولد من هذا الاستثمار زيادة في الدخل الفردي للمواطن، فيرتب على هذه توفير الرفاهية والسعادة والرخاء، ويعد هذا الاستثمار العنصر الأساسي في القضاء على عامل البطالة، والأرض لمن أحياها وهي له طالما يقوم بإعمارها والعمل فيها في أحد النشاطات التي يحتاجها المجتمع، وعندما يتركها يحق للآخرين الاستفادة منها.

ويجوز لكل أحد إحياء أراضي الموات، فلو أحياها كان أحق بها من غيره سواء أكان في دار الإسلام، أم في دار الكفر، وسواء أكان في أرض الخراج أم في غيرها، وسواء أكان المحيي مسلماً أم (كافراً، وليس عليه دفع الخراج أو أجره الأرض إذا كان مؤمناً). (2).

فيتحصل من كلامه (عليه السلام) في سياسة في جباية الخراج أمور بالغة الأهمية تعد دستوراً في القيادة والادارة:

أولاً: يتحدث الامام (عليه السلام) في بداية كلامه عن تقوى الله سبحانه وتعالى وإطاعة أمره واجتناب معاصيه، مما لا ريب فيه أن التقوى تحكم الإنسان وتمنعه من ارتكاب المعاصي، وتجعله يمارس حياته بكل سعادة وطمأنينة، ويسعد الناس فيما لو كان حاكماً عليهم.

ص: 321

1- هدى الطالب إلى شرح المكاسب: جعفر مروج الجزائري:، ط 2، انتشارات دار المجتبي ج 6، ص 475،

2-، تفسير مجمع البيان، الطبرسي، المجمع العالمي لأهل البيت، ج 1،

ثانياً: يؤكد الامام (عليه السلام) في وصيته لعماله بعدم التحميل بما لا يطاق، أي تكليف الناس فيما يجبونه فوق طاقتهم، ويوصيهم ايضاً بأن يتحدثوا معهم بالمعروف بما هو واقع.

ثالثاً: ويوصي (عليه السلام) عماله بالإنصاف بين الناس، والسعي في قضاء حوائجهم، ويعتبرهم الإمام (عليه السلام) خدام الرعية وأمناءها وخزان أموالها.

رابعاً: عدم الاحتجاب ومنع الناس من الالتقاء بالوالي او المتصدي لهذه المسؤولية، فإن ذلك مما يولد النفرة والبغضاء بين الحاكم والمحكوم او الراعي والرعية.

خامساً: إلغاء مبدأ الضمان بين الناس، أي يؤخذ أحدهم بجرم غيره أو كفيل عنه.

سادساً: يؤكد الامام (عليه السلام) على الاهتمام بأعمال المواطنين وانجازها بالوقت المحدد من دون تأخيرها.

المسألة الثامنة: سياسة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيت مال المسلمين ومصارفه.

بيت المال: هو ذلك المكان الذي يتم فيه جمع كل ما يأتي إلى الدولة الاسلامية، من الخمس والزكاة والجزية والخراج وغيرها: سواء كانت أموالاً نقدية أو عينية، كالأغنام والابل والابقار والتمور وسائر الغلات، ويجب على الحاكم (1).

- مشروعية بيت المال:

نستطيع أن نعرف مشروعية بيت المال من خلال القرآن الكريم وروايات أهل البيت (عليهم السلام) حيث ذكر في كتاب الله وظائف مالية عديدة متفرعة

ص: 322

1- ينظر: فقه الدولة: للصفار، ج 2، ص 452

عن بيت المال، وأشارت آيات كثيرة بدلالة مفهومها العام إلى مشروعية بيت المال حيث أمر الله تعالى بأخذ الزكاة وتوزيعها، وحدد أصحاب الفيء، وأوضح طرق صرف الأموال المأخوذة في مصالح الأمة عامة، ولا يتم ذلك إلا من خلال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وولي الأمر من بعده، فضلاً عن مورد الغنائم وخمسها. من هذه الآيات، ما ورد في قوله تعالى: «خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ»(1).

حيث يخاطب الله سبحانه وتعالى نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) ويحثه على العطاء والأخذ، وأخذه و عطاؤه صلى الله عليه وآله وسلم هو أخذ ولي بيت المال.

ومن الآيات الأخرى الدالة على بيت المال، ما ورد في قوله تعالى: «إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ»(2).

إشارة إلى موارد صرف الصدقات التي تخرج من بيت المال، والعاملون عليها هم مكلفون من قبل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بشخصيته المعنوية المتولوية الشؤون المسلمين عامة، وكذلك الأمر بالنسبة لمن خلفه من الأوصياء.

ومن الآيات قوله تعالى: (مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)(3).

ص: 323

1- التوبة: 103

2- التوبة: 60

3- الحشر الآية 8

إشارة إلى أن الفيء مال عاد للمسلمين من أعدائهم حصلوا عليه من دون قتال، فمن يقوم برعايته؟ ولا ريب أنه بحاجة إلى جمع وإحصاء وحفظ وتوزيع وهذا بالجملة ما يقوم به بيت المال.

وقال تعالى: (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّفَافِي الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)(1).

بينت الآية المباركة خمس الغنيمة في مصارف محددة أما ما يتبقى فيأخذه الغانمون، والخمس المتروك هو حق للرسول صلى الله عليه وسلم ولولي أمر الأمة من بعده للتصرف فيه بأشخاصهم المعنوية، وهذا في الحقيقة من مهام بيت المال.

هذه أهم مهام يقوم بها بيت المال في الحكومة الإسلامية وتحديد مشروعياته وفق النظرية القرآنية.

وأما الروايات التي تدل على بيت المال، فعلى الرغم من كثرة وجود لفظ في روايات أهل البيت يدل على بيت المال، ولكن هناك إشارة واضحة على أن هناك وظائف لبيت المال كانت قائمة، تدل صراحة عليه، منها ما ورد في حديث جابر ابن عتيك، عن النبي [صلى الله عليه وآله وسلم] قال:

(سياتيكم ركبٌ مبعضون، فإن جاءكم فرحبوا بهم، وخلوا بينهم وبين ما يبتغون، فإن عدلوا فلاأنفسهم، وإن ظلّموا فعليها، وأرضوهم، فإن تمام زكّاتكم رضاهم، وليدعوا لكم)(2).

ص: 324

1- الأنفال: 41

2- الفتوحات المكية (ط.ج): ابن عربي الجزء: 8 ص 364

ولقد ثبت عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه كان يوكل بعض أصحابه بحفظ مال الصدقة وحراسته مما يدل على إباحة حفظ مال الأمة في أي مكان يراه ولي الأمر، ومن ذلك ما ورد في صحيح البخاري، والحديث مرفوع عن أبي هريرة قال:

(وَكَلَّنِي رَسُولُ اللَّهِ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ] بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ فَأَتَانِي آتٌ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتَهُ فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(1).

وذكر البخاري عن عائشة أن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أرسلت إلى أبي بكر تسأل ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله) مما أفاء الله عز وجل بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خبير، فقال أبو بكر إن رسول الله صلى الله عليه وآله) قال لا نورث ما تركناه صدقة، إنما يأكل آل محمد في هذا المال وإني والله لا أغير شيئاً من صدقة رسول الله صلى الله عليه وآله) عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله) ولأعملن فيها بما عمل به رسول الله صلى الله عليه وآله) وسلم(2).

- في مصارف بيت المال:

من هنا نتحدث عن مصارف بيت مال المسلمين، ما في نهج البلاغة من كلام لمولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) كلم به عبد الله بن زمعة لما قدم عليه يطلب منه مالا، فقال (عليه السلام):

«إن هذا المال ليس لي ولا لك، وإنما هو فيء للمسلمين وجلب أسياهم، فإن شركتهم في حربهم كان لك مثل حظهم، وإلا فجناة أيديهم لا تكون الغير أفواهم»(3).

ص: 325

1- صحيح البخاري، ج 3، ص 63

2- روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه: محمد تقي المجلسي (الأول) ج 8

3- نهج البلاغة، فيض / 728 عبده / 2 / 253 لح / 203، الخطبة 232

ويؤكد الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) الالتزام بالمبادئ العامة عند الصرف من بيت مال المسلمين واعتماد مبدأ التسوية في العطاء. ومن كتاب له عليه السلام إلى مصقلة بن هبيرة الشيباني وهو عامله على أردشير خره: (بلغني عنك أمر إن كنت فعلته فقد أسخطت إلهك وأغضبت إمامك: أنك تقسم فيء المسلمين الذي حازته رماحهم وخيولهم وأريقت عليه دماؤهم فيمن اعتامك من أعراب قومك. فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لئن كان ذلك حقا لتجدن بك علي هوانا، ولتخفن عندي ميزانا. فلا تستهن بحق ربك، ولا تصلح دنياك بمحق دينك فتكون من الأخسرين أعمالا، ألا وإن حق من قبلك وقبلنا من المسلمين في قسمة هذا الفيء سواء يردون عندي عليه ويصدرون عنه)(1).

وقال (عليه السلام) لطلحة والزبير:

«وأما ما ذكرتما من أمر الأسوة فإن ذلك أمر لم أحكم أنا فيه برأيي ولا وليته هوى مني، بل وجدت أنا وأنتما ما جاء به رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد فرغ منه، فلم أحتج إليكما فيما فرغ الله من قسمه وأمضى فيه حكمه. فليس لكما والله عندي ولا لغيركما في هذا عتبي. أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحق، وألهمنا وإياكم الصبر»(2).

وفي الوسائل في رواية مروان بن الحكم، قال: (لما هزمنا علي (عليه السلام) بالبصرة.. فقال له قائل: يا أمير المؤمنين، أقسم الفيء بيننا و السبي)(3).

ويؤكد الامام (عليه السلام) في مورد مصروف (بيت المال) كرواتب لموظفي الدولة، للولاة والقضاة والجنود.

ص: 326

1- نهج البلاغة: خطب الإمام علي (عليه السلام) ج: 3 ص 68

2- المصدر نفسه، ج: 2 ص 185

3- الوسائل 11 / 76، الباب 35 من أبواب جهاد العدو، الحديث 2

كما جعل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) راتباً لأسيد حينما جعله حاكماً على مكة، وكان عمر يعطي الراتب لكل من سلمان حينها ولاه المدائن وعمار حينما أرسله إلى الكوفة(1)، كما فصل الفقهاء مسألة رزق القاضي من بيت المال(2).

بالنسبة للولادة: يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): ثم أسبغ عليهم الأرزاق فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم وحجة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك(3).

وأما بالنسبة للقضاة: يقول (عليه السلام): وافسح له في البذل ما يزيح علته وتقل معه حاجته إلى الناس، وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره(4).

وبالنسبة إلى الجنود: ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به في جهاد عدوهم، ويعتمدون عليه فيما يصلحهم، ويكون من وراء حاجتهم(5)..... وليكن أثر رؤوس جنودك عندك من واساهم في معونته وأفضل عليهم من جدته با يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف أهلهم حتى يكون همهم همماً واحداً في جهاد العدو(6). ويؤخذ من بيت المال في سد حاجات الناس، وقد ورد في الاخبار أن مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) مر بشيخ مكفوف كبير يسأل، فقال أمير المؤمنين ما هذا؟ فقيل له: يا أمير المؤمنين انه نصراني. فقال الإمام: استعملتموه حتى إذا كبر وعجز منعتموه!! انفقوا عليه من بيت المال(7)،

ص: 327

-
- 1- فقه الدولة: للصفار ج 2 ص 52
 - 2- الجواهر: الشيخ حسن النجفي ج 4 ص 51
 - 3- نهج البلاغة خطب الإمام علي ج 3 ص 99 رسالة 53
 - 4- المصدر نفسه، ج 3 ص 70
 - 5- المصدر نفسه، ج 3 ص 71
 - 6- نهج البلاغة : 53
 - 7- الوسائل ج 11، ص 49، الحديث 1997. وينظر كتاب اقتصادنا، السيد محمد باقر الصدر، ص 669

حيث أن ضان الدولة لا يختص بالمسلم فقط دون غيره، فالذمي الذي يعيش في كنف الدولة الإسلامية إذا كبر وعجز عن الكسب، كانت نفقته من بيت المال

وقال (عليه السلام) لثتم بن عباس عامله على مكة:

(وانظر إلى ما اجتمع عندك من مال الله فاصرفه إلى من قبلك من ذوي العيال والمجاعة مصيبا به مواضع الفاقة والخلات، وما فضل عن ذلك فاحمله إلينا لتقسمه فيمن قبلنا)⁽¹⁾.

وإذا بقي في بيت المال شيء وكان غالبا ما يبقى قسمه الحاكم بين المسلمين بالتساوي، كما كان يفعل الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم حرقه عمر باجتهاد خاطئ، وزاد فيه عثمان حيث وزعه بين عشيرته وقبيلته دون المسلمين⁽²⁾ ولكن في عهد الإمام علي (عليه السلام) أرجع مصارفة الزائدة إلى ما كانت في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، يقول (عليه السلام) فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان: والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الإمام لرددته، فإنّ في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق⁽³⁾.

يظهر من كلام الإمام (عليه السلام) أنّ من وظائف الحاكم الإسلامي ردّ الأموال العامّة المغصوبة المتعلقة بالمجتمع إلى أهلها، والسبب للزوم التقسيم بالسوية بين المسلمين أنهم جميعا جنود الاسلام، واللازم أن يعطوا بالتساوي، ولذا ورد في زيارة مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) (وأنت القاسم بالسوية)، حيث الاستفادة من سيرته (عليه السلام) أنه قسم الزائد من بيت مال المدينة بالسوية،

ص: 328

1- نهج البلاغة خطب الإمام علي، ج 3، ص 128

2- الفقه: السيد محمد حسين الشيرازي: ج 108، كتاب الاقتصاد، ص 51

3- نهج البلاغة: خطب الإمام، ج 1 ص 46، كتاب 15

فأعطى لكل إنسان ثلاثة دنانير كما قسم بيت مال البصرة لكل إنسان خمسمائة درهم، وقسم بالسوية في الكوفة فيما جاءه من المال، حيث جعله سبعة أسباع كل محلة سبعا حتى جعل الخبز الذي كان مع المال سبعة أقسام، ثم أقرع بينها، وكل اسم خرج على واحد من هذه الاسماء أعطاه إياه(1).

ويستفاد أيضا أنه كان لكل بلد بيت مال، وكان بيت المال يقسم بين أهالي البلد بالسوية بعد استخراج الوظائف والطوارئ، ولا يلاحظ في التقسيم بالسوية الغني والفقير وغيرهما، والتقسيم في كل بلد بحسب ضروراته، ويدل عليه بالإضافة إلى ما عرفته من سيرة أمير المؤمنين (عليه السلام) في المدينة والبصرة والكوفة.

والروايات في هذا المجال متضاربة، منها ما ورد عن الهاشمي عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) في حديث أنه قال لعمر بن عبيد (ما تقول في الصدقة)؟ فقرأ عليه الآية (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا)، إلى آخر الآية، قال نعم فكيف تقسمها؟ قال أقسمها على ثمانية أجزاء فأعطي كل جزء من الثمانية جزءا قال وإن كان صنف منهم عشرة آلاف وصنف منهم رجلا واحدا أو رجلين أو ثلاثة جعلت لهذا الواحد مثل ما جعلت للعشرة آلاف؟ قال: نعم، قال: وتجمع صدقات أهل الحضرة وأهل البوادي وتجعلهم فيها سواء قال نعم قال (فقد خالفت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في كل ما قلت، في سيرته كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقسم صدقة أهل البوادي في أهل البوادي وصدقة أهل الحضرة في أهل الحضرة ولا يقسمه بينهم بالسوية وإنما يقسمه على قدر ما يحضره منهم(2)).

ص: 329

1- فقه الدولة: للصفار: ج 2 ص 454

2- الوافي، الفيض الكاشاني، ج: 15 ص 87؛ وينظر الكافي، ج 5، ص 26 ح 1؛ وينظر الوسائل، ج 9 ص 265 ح 11987 باب 28 من أبواب المستحقين للزكاة

ويستفاد من هذه الرواية أمور ثلاثة:

- إن صدقات كل بلد ومنطقة تصرف لأهلها.

- يكون التقسيم حسب الأفراد لا بحسب الاصناف.

- يكون التقسيم وفق الحاجة الفعلية من دون النظر إلى المستقبل.

ومن هذه الروايات وغيرها نفهم سياسة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيت المال وفي الموارد التي تجبى إليه، واحتياطه في أموال الدولة، إن الحاكم يجب أن يكون أميناً ووصياً على بيت المال ولا يحق له التصرف به إلا وفق الأطر الشرعية، وخلاف ذلك يعد خائناً ويجب معاقبته.

وروي عنه (عليه السلام) أنه لم يمنح أي شيء من بيت المال لسبطي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنه عاملهم بغير ما عامل به أبناء المسلمين.

يقول (عليه السلام): في مورد وفود أخيه عقيل عليه: (والله لقد رأيت عقيلاً وقد أملق حتى استماحني من بركم صاعاً)، ورأيت صبيانه شعث الشعور، غير الألوان من فقرهم، كأنما سودت وجوههم بالعظم، وعاونني مؤكداً، وكرر علي القول مردداً، فأصغيت إليه بسمعي، فظن أنني أبيع ديني وأتبع قياده مفارقاً طريقتي، فأحميت له حديدة، ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها، فضج ضجيج ذي دنف من ألمها، وكاد أن يحترق من ميسمها. فقلت له: نكلتك الثواكل، يا عقيل! أتئن من حديدة أحماها إنسانها للعبه، و تجرني إلى نار سجرها جبارها لغضبه! أتئن من الأذى ولا أتئن من لظى؟! وأعجب من ذلك طارق طرقتنا بملفوفة في وعائها،

ص: 330

ومعجونة شنتتها، كأنما عجنت بريق حية أوقيتها. فقلت: أصدقة أم نذر أم زكاة؟ وكل ذلك محرم علينا أهل البيت. فقال: لا ولا ذلك، ولكنها هدية، فقلت: هبلتك الهبول! أعن دين الله أتيتني لتخدعني؟ أمخبط أنت أم ذو جنة أم تهجر؟ والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها واسترق لي قطانها مدعنة بأملاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة فألوكها ما قبلت ولا أردت. وإن دنياكم عندي أهون من ورقة في فم جرادة تقضمها، ما لعلي ونعيم يفنى، ولذة لا تبقى! نعوذ بالله من سبات العقل، وقبح الزلل، وبه نستعين(1).

فيتحصل: مما سبق عرضه: إن الإيرادات المالية للدولة الإسلامية كانت عند الامام (عليه السلام) هدفا أساسيا يجب أن يمارسه القائد والحاكم في أي دولة، وتمثل هذه المسألة مدخلا مهما لنظام الحكم والادارة في النظرية الإسلامية

فضلاً عن أن جباية الخراج والضرائب من قبل الدولة في قبال تأمين الخدمات وسد احتياجات الناس، وتعد هذه المسألة مؤشرا مهما على المسؤوليات الخطيرة الملقاة على عاتق الدولة.

ص: 331

المبحث الثاني السياسة الحربية المتمثلة بالجهاد توفير الأمن والدفاع

قوله عليه السلام: (وَجِهَادَ عَدُوِّهَا).

يتحدث الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المقطع من العهد الشريف عن السياسة الحربية المتمثلة بالجهاد، يعني توفير الأمن للمواطنين والدفاع عن البلاد ضد الاعتداءات الخارجية، (وَجِهَادَ عَدُوِّهَا)(1).

ونلاحظ أن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) يؤكد في كلامه على موضوع الأمن والدفاع وموضوع الجهاد، ويعدّه من الركائز الأساسية في القيادة والإدارة، ومن المهام الرئيسية للحاكم، لكي تبقى الدولة مصانة ومحترمة.

المسألة الأولى: مفهوم الجهاد لغة وشرعا.

الجهاد: على وزن فعال، وهو مأخوذ من الجهد (بالفتح) وهو بذل الوسع والمشقة أو الجهد (بالضم)، العمل ببذل الطاقة(2).

وباصطلاح الشرع: هو بذل النفس والمال والوسع في إعلاء كلمة الاسلام وإقامة شعائر الإيان(3)، وإقامة شعائر الإيان(4).

ص: 333

1- نهج البلاغة خطب الإمام علي، ج 3، ص 38، رسالة 35

2- لسان العرب: ج 3 ص 133 مادة (جهد)؛ وينظر: مفردات الفاظ القرآن الكريم: ص 99 مادة (جهد)

3- جواهر الكلام: الشيخ النجفي ج 21، ص 3

4- فقه الصادق: السيد محمد صادق الروحاني، ج 13، ص 9؛ وينظر مسالك الأفهام: للشهيد الاول، كتاب الجهاد ج 1 ص 148؛ منهاج

الصالحين، السيد الخوئي، ج 1، ص 63

وبهذا المعنى العام تقوم الأديان السماوية حدوثا وبقاء بالنسبة إلى الأفراد والأنواع، فليس قوام الدين بالجهاد في جهة خاصة فقط، وهي المجاهدة مع الكفار، بل هو متقوم به بمعناه العام فردا أو نوعا، وكما أنه علة محدثة للدين علة مبقية له أيضا(1).

قال تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيُسَّ الْمَصِيرُ»(2).

المسألة الثانية: أهمية الجهاد في الإسلام.

وهو من أعظم أركان الإسلام وأفضل الأفعال بعد الفرائض(3)، والجهاد أفضل الأعمال بعد العقائد الإسلامية والايمانية حتى الصلوات اليومية وإن كان لها في نفسها مزيد فضل عليه لكنه أفضل بحسب الجهات الخارجية لأن الطاعة لله والعبودية له فرع محبته والعمل بجميع التكاليف مرجعها إلى حب الله لأن المحب الحقيقي يتلذذ بخدمة المحبوب(4)، وإطلاق كلماتهم في غايته يشمل ما كان لأجل بسط الإسلام العزيز أو الدفاع عنه أو إنقاذ المستضعفين موقوف على الجهاد.

أما الأول والثاني فواضحان، وأما الثالث فلأن نصرة المظلوم انتصار للحق، وهو من كلمات الإسلام العليا، قال تبارك وتعالى: «وَمَا لَكُمْ لَأَ تَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا»(5).

ص: 334

1- مهذب الأحكام في بيان الحلال والحرام: السيد عبد الأعلى السيزواري ج 15 ص 78

2- التوبة: 73

3- فقه الدولة: للصفار مصدر سابق ج 2 ص 489

4- كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء (ط.ق): الشيخ جعفر كاشف الغطاء ج 2 ص 382

5- النساء: 75

وكذا محاربة البغاة، فإن البغاة إذا تغلبوا لم تكن كلمة الله هي العليا، بل كانت الكلمة للشيطان(1).

فالجهاد هو وسيلة للحياة، وهو مدخل لتحقيق الحرية، وهو مدخل لتحقيق الكرامة الإنسانية، وهذه ثلاثة واجبات ومهات أساسية للجهاد، وبه تتحقق هذه السمات الثلاث الأساسية، يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): (إن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه، إلى أن قال هو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة، وجنته الوثيقة، فمن تركه، ألبسه الله تعالى الذلة ولشملة البلاء والصغار وقد قلت لكم وأمرتكم أن تغزوا هؤلاء القوم قبل أن يغزواكم، فإنه ماغزي قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا)(2)، فهو مدخل للحياة ومدخل للحرية ومدخل للكرامة الإنسانية، وعنه عليه السلام: (إن الله فرض الجهاد، وعظّمه، وجعله نصره وناصره، والله ماصلحت دنيا ولا دين إلا به)(3).

وعن مولانا الباقر (عليه السلام): إنّه كتب في رسالته إلى بعض خلفاء بني أمية: (ومن ذلك ما صنع في الجهاد الذي فصّله الله عزّ وجلّ على الأعمال، وفضّل عامله على العمّال تفضيلاً في الدرجات، والمغفرة والرحمة لأنّه ظهر به الدين، وبه يدفع عن الدين، وبه اشترى الله من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنة، يبعاً مُفْلِحاً مُنْجِحاً، اشترط عليهم فيه حفظ الحدود، وأوّل ذلك الدعاء إلى طاعة الله تعالى من طاعة العباد، وإلى عبادة الله من عبادة العباد، وإلى ولاية الله من ولاية العباد)(4).

ص: 335

1- فقه الدولة: للصفار ج 2 ص 490

2- نهج البلاغة: خطب الإمام علي ج، ص 67، خطبة 27

3- الكافي ج 5: ص 8 ح 11، هداية الأمة 5: 19 ح 3، الوسائل 11: 9 أبواب جهاد العدو ج 1 ح 15

4- الكافي ج 5: ص 3 ح 4، تفسير نور الثقلين 2: 299 ح 356، الوسائل 11: 6 أبواب جهاد العدو ج 1 ح 8، وفيه: ما ضيّع الجهاد

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق»(1).

وعن أبي عبد الله عليه السلام: (لكل شيء زكاة، وزكاة الأجسام الصوم(2). وفرض الجهاد سياحة للأمة، وبابا للجنة، وعزا للآباء، ومجدا للآباء، فعن عثمان بن مظعون: (قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن نفسي تحدثني بالسياحة وأن الحق بالجبال، فقال: يا عثمان، لا تفعل، فإن سياحة أمتي الغزو والجهاد(3).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (اغزوا تورثوا أبناءكم المجد(4).

وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم): (الخير كله في السيف وتحت السيف(5).

وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم): (خيول الغزاة خيولهم في الجنة(6).

المسألة الثالثة: أقسام الجهاد.

يقسم الجهاد تقسيماً أولياً إلى:

أولاً: الجهاد الأصغر.

ثانياً: الجهاد الأكبر.

ص: 336

1- منتهى الطلب، العلامة الحلي ج 2، ص 898

2- الوافي، الفيض الكاشاني، ج 11، ص 25

3- الوسائل، ج 3، ص 16

4- الوسائل، ج 11، ص 9

5- المصدر نفسه. المكان نفسه

6- الوسائل، ج 11: ص 120

ويعرف الاول: بجهاد الكفار والبغاة، وهو مقاتلة ومجاهدة الكفار الذين يرتدون عن الاسلام، والبغاة هؤلاء الذين يخرجون على المسلمين، كقتال أهل القبلة.

وفي قرب الإسناد عن جعفر عن أبيه عليهم السلام «إن عليا عليه السلام لم يكن ينسب أحدا من أهل البغي إلى الشرك ولا إلى النفاق، ولكن كان يقول: إخواننا بغوا علينا»(1).

وفي الدعائم عن علي عليه السلام: «أنه سئل عن الذين قاتلهم من أهل القبلة أكافرون هم؟ قال: كفروا بالأحكام وكفروا بالنعم، ليس كفر المشركين الذين دفعوا النبوة ولم يقرؤا بالإسلام، ولو كانوا كذلك ما حلت لنا مناكحتهم ولا ذبائحهم ولا مواريتهم»(2).

إلى غير ذلك من النصوص الدالة على جريان حكم المسلمين على البغاة من حيث البغي في زمن الهدنة، فضلا عما هو المعلوم من تتبع كتب السير من مخالطتهم وعدم التجنب عن أسئرتهم وغير ذلك من أحكام المسلمين، وإن وجب قتالهم على الوجه الذي ذكرناه، لكن ذلك أعم من الكفر، نعم الخوارج منهم قد اتخذوا بعد ذلك دينا، واعتقدوا اعتقادات صاروا بها كفارا لا من حيث كونهم بغاة، وأما تغسيلهم ودفنهم والصلاة عليهم فقد فرعه بعضهم على الكفر وعدمه، ولكن قد يقال بعدم وجوب ذلك وإن لم نقل بكفرهم حال حياتهم، ولكن لهم حكمهم بعد موتهم كما سمعته سابقا في مطلق منكر الإمامة(3).

ص: 337

1- جواهر الكلام: الشيخ الجواهري ج 21 ص 338

2- المستدرک - الباب - 34 - من أبواب جهاد العدو - الحديث 14، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، حبيب الله الخوئي، ج 4، ص

3- جواهر الكلام: الشيخ الجواهري، ج 21، ص 338

ويعرف الثاني: جهاد النفس: - وهو تحميل النفس على أداء الواجبات والالتيان بالخيرات وترك المحرمات والشرور، وهو واجب عيني أي يجب على كل مسلم ومسلمة.

فعن أبي عبد الله عليه السلام، أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعث بسرية فلا رجعوا قال: مرحبا بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر قيل: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس(1).

وقال عليه السلام: أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه(2).

وقال عليه السلام: المجاهد من جاهد نفسه(3).

ويقسم الجهاد تقسيماً ثانياً حسب التكليف: -

أولاً: الجهاد العيني: جهاد النفس، اذا قام به أحد لا يسقط عن الآخر.

ثانياً: الجهاد الكفائي: جهاد الكفار والبغاة والخوارج وأهل الذمة والنواصب، اذا قام به أحد يسقط عن الآخر.

يقسم الجهاد تقسيماً ثالثاً حسب الموضوعية: -

أولاً: الجهاد الابتدائي: عبارة عن تحشيد الجيوش وتعبئتهم وفق الشروط الخاصة لمحاربة الكفار. مثل قوله تعالى: «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمْ

ص: 338

1- الوافي: الفيض الكاشاني، ج 15، ص 62

2- هداية الأمة إلى أحكام الأئمة (عليه السلام): الحر العاملي ج 5، ص 535

3- المصدر نفسه: ج 5، ص 535

اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ»(1)، والآية تنص على أن الغاية الأساسية من الإعداد والاستعداد هي إيجاد الرهبة الرادعة عن العدوان، فإذا لم يرتدع العدو كان المسلمون على استعداد لمقاومته، وهذا يتناسب مع مبدأ مشروعية الحرب الدفاعية(2).

ثانياً: الجهاد الدفاعي: وهو محاربة المعتدين دفاعاً عن المسلمين وعن الوطن الإسلامي، وقد شرعه سبحانه وتعالى بقوله تعالى: «فَمَنْ أَعَدَّ دَيْ عَالِيكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ»(3)، يستفاد من الآية المباركة عدم انحصار العدوان بالقضايا الشخصية من جهة الانصراف كما يشهد له الإطلاق والسياق ولسان الخطاب الموجه إلى الجماعة، كما في قوله تعالى:

«كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ»(4)، بناء على ورود الماضي المجهول للإخبار لا- الانشاء، فإنه عليه يكون إخباراً عن الواقع، وتحمل الكتابة على الغرض الخارجي من قبل الأعداء، وعلى الثاني يكون في مقام أصل الجعل وتشريع حكم الجهاد، وعلى الأول تكون الآية صريحة في إن المجتمع المسلم لا يتعدى بالحرب، وإنما إذا استهدف بالعدوان الخارجي فحينئذ يتعين عليه القتال، وبهذه الآية شرع الله عز وجل للمسلمين أن يقاتلوا دفاعاً عن أنفسهم وعن المجتمع الإسلامي ودولته ضد من يعتدي عليهم من القوة المعادية، والخطاب

ص: 339

1- سورة الأنفال: 60

2- فقه الدولة: ج 2 مصدر سابق: ص 491

3- سورة البقرة: 194

4- سورة البقرة: 216

لم يوجه إلى فئة خاصة من المجتمع وإنما إلى الأمة بنحو عام(1)، وروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه أنه قال: «الجهاد فرض على جميع المسلمين لقول الله تعالى «كتب عليكم القتال»(2)، وروي عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: عليكم بالجهاد في سبيل الله مع كل إمام عادل، فالجهاد في سبيل الله مع كل إمام عادل باب من أبواب الجنة»(3)

ويقسم الجهاد تقسيماً ثالثاً حسب الأهداف: -

أولاً: جهاد النصر: وهو الذي شرعه الله سبحانه وتعالى، وأمر بالإعداد والاستعداد له على مستوى أخذ اليقظة والحذر، والدخول فيه فيما إذا فرضه العدو على المسلمين أو غيرهم، وقد صرح القرآن الكريم بذلك في مثل قوله تعالى: «أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ»(4)، ويفهم من إطلاق الآية عدم انحصار الأمر بفئة أو جماعة معينة، بل كل من تعرض إلى الظلم والاضطهاد والتهجير، وهو المستفاد من قوله تعالى: «وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ»(5)

والآية على عمومها فإنها صريحة في أن المسلمين لم يبدأوا بقتال أحد عدواناً عليه، وإنما يقاتلون دفاعاً عن بيضة الإسلام.

ص: 340

1- فقه الدولة: ص 492

2- الوسائل، ج 11، الباب 1 من أبواب جهاد العدو، ص 8، الحديث 11

3- المستدرک، ج 2، الباب 1 من أبواب جهاد العدو، الحديث 30

4- سورة الحج: 39 - 41

5- سورة البقرة: 190

ثانياً: جهاد الصلح: هو عبارة عن الهدنة والمعاهدات التي توضع للصلح والسلام، فيما لو ادعي وضع القتال وترك الحرب إلى مدة من غير عوض، وهذه من السياسات المتبعة من قبل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حينما صالح قريشا عام الحديبية على ترك القتال عشر سنين. منه قوله تعالى: «وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»⁽¹⁾، وخاطب الله سبحانه وتعالى نبيه في قوله تعالى: «قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ * لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ»⁽²⁾، والآيات هنا دالة لظهورها على أن كف الكفار عن حرب المسلمين والعدوان يقود إقامة حالة سلام بينهم وبين المسلمين⁽³⁾، حيث إن دلالة الآية المباركة على إن أحد مبادئ الاسلام هو مبدأ العفو والتسامح.

ولمثل هذا اشار الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) في عهده المالك الأشتر (رضوان الله عليه) «وَلَا تَدْفَعَنَّ صَلْحًا دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ وَاللَّهُ فِيهِ رِضًا فَإِنَّ فِي الصَّلْحِ دَعَاً لِحُجُودِكَ وَرَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ وَأَمْنًا لِبِلَادِكَ وَلَكِنْ الْحَذَرُ كُلُّ الْحَذَرِ مِنْ عَدُوِّكَ بَعْدَ صُلْحِهِ فَإِنَّ الْعَدُوَّ زَيْمًا قَارِبٌ لِيَتَغَفَّلَ فَيُخَذَ بِالْحَزْمِ وَانْتِهِمْ فِي ذَلِكَ حُسْنَ الظَّنِّ وَإِنْ عَقَدْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوِّكَ عُقْدَةً أَوْ أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ ذِمَّةً فَحُطَّ عَنْكَ بِالْوَفَاءِ وَأَزَعَ ذِمَّتَكَ بِالْأَمَانَةِ وَاجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً دُونَ مَا أُعْطِيَتْ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ شَيْءٌ النَّاسُ أَشَدُّ عَلَيْهِ اجْتِمَاعًا مَعَ تَفَرُّقِ أَهْوَائِهِمْ وَتَشَدُّتِ آرَائِهِمْ مِنْ تَعْظِيمِ الْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ وَقَدْ لَزِمَ ذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ دُونَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا اسْتَوْبَلُوا

ص: 341

1- سورة الأنفال: 61

2- سورة الأنفال: 39 38

3- فقه الدولة: مصدر سابق ج 2 ص 493

مِنْ عَوَاقِبِ الْعُدْرِ فَلَا تَغْدِرَنَّ بِدِمَّتِكَ وَلَا تَخِيْسَنَّ بِعَهْدِكَ وَلَا تَخْتَلِنَنَّ عَدُوَّكَ فَإِنَّهُ لَا يَجْتَرِي عَلَى اللَّهِ إِلَّا جَاهِلٌ شَقِيٌّ وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ عَهْدَهُ وَدِمَّتَهُ
أَمْنًا أَفْضَاهُ بَيْنَ الْعِبَادِ بِرَحْمَتِهِ وَحَرِيمًا يَسْكُنُونَ إِلَى مَنْعَتِهِ وَيَسْتَفِيضُونَ إِلَى جَوَارِهِ فَلَا إِدْعَالَ وَلَا مُدَالَسَةَ وَلَا خِدَاعَ فِيهِ»(1).

إن الأصل في الإسلام هو الصلح والسلام، فلا يتبع المسلمون سياسة أخذ الثأر أو تعقب المشركين ومحاسبتهم بما قد سلف منهم من أعمال أو عدوان، فيما لو عادوا فإنهم سيقابلون بالحرب، ويفهم من مجموع الآيات المباركة إن هناك خطابان، تارة الخطاب موجهاً إلى الأمة كالخطاب الذي يأمر بالحرب وتشريع الجهاد والأمر به، وتارة يكون الخطاب موجه إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يأمر بإبرام المعاهدات ومواثيق الصلح، ويعد هذا من حقوق الحاكم في المنظومة القيادية، لأن موضوعات الصلح وإبرام المعاهدات تحتاج إلى مشورة أصحاب الخبرة، وهذا هو المستفاد من بعض الروايات.

منها: في تحف العقول: رواه الحسن بن علي بن شعبة وفيه: (لا تدفعن صلحا دعاك إليه عدوك فيه رضى، فإن في الصلح دعة لجنودك، وراحة من همومك، وأمناً لبلادك، ولكن الحذر كل الحذر من مقاربة عدوك في طلب الصلح، فإن العدو ربا قارب ليتغفل، فخذ بالحزم وتحصين كل مخوف توتى منه، وباللثة الثقة في جميع الأمور، وإن لجت بينك وبين عدوك قضية عقدت له بها صلحا أو ألبسته منك ذمة) إلى آخره(2).

ص: 342

1- نهج البلاغة خطب الإمام علي ج 3 ص 601 رسالة 35

2- مستدرک الوسائل: ميرزا حسين النوري الطبرسي، ج 11، ص 45

وفي دعائم الاسلام: عن علي (عليه السلام)، أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) عهد إليه عهداً، وكان مما عهد فيه: (ولا تدفعن صلحا دعاك إليه عدوك فإن في الصلح دعة للجنود، ورخاء للهموم، وأمناً للبلاد، فإن أمكنتك القدرة والفرصة من عدوك، فانبذ عهدك إليه، واستعن بالله عليه، وكن أشد ما تكون لعدوك حذراً عندما يدعوك إلى الصلح، فإن ذلك ربما يكون مكرراً وخديعة، وإذا عاهدت فحط عهدك بالوفاء، وارع ذمتك بالأمانة والصدق)(1).

وعن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: (ذمة المسلمين واحدة، يسعى بها أدناهم)(2).

وعنه (عليه السلام) في باب تحريم الغدر والقتال مع الغادر أنه قال: (خطب رسول الله (صلى الله عليه وآله) في مسجد الخيف، فقال: رحم الله امرءاً مقالتي فوعاها، وبلغها إلى من ليسمعها، فرب حامل فقهه وليس بفقير، ورب حامل فقهه إلى من هو أفقر منه، (وقال): ثلاث لا يغفل عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة لأئمة المسلمين، وللزوم لجماعتهم، فإن دعوتهم محيطة من ورائهم، والمسلمون إخوة تكافئت دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، فإذا أمن أحد من المسلمين أحداً من المشركين، لم يجب أن تخفر ذمته)(3).

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: (إذا أوماً أحد من المسلمين، أو أشار بالأمان إلى أحد من المشركين، فنزل على ذلك فهو في أمان)(4).

ص: 343

1- دعائم الاسلام: ج 1، ص 378

2- مستدرک الوسائل: ج 11، ص 45

3- المصدر نفسه، ج 11، ص 45

4- المصدر السابق: ص 45

في دعائم الاسلام: عن علي (عليه السلام)، أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال له فيها عهد إليه: (وإياك والغدر بعهد الله والاختفار لذمته، فإن الله جعل عهده وذمته أماناً أمضاه بين العباد برحمته، والصبر على ضيق ترجو انفراجة، خير من غدر تخاف (أوزاره وتبعاته) وسوء عاقبته)(1).

وفي نهج البلاغة: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (الوفاء توأم الصدق، ولا أعلم جنة أوفى منه، وما يغدر من علم كيف المرجع، ولقد أصبحنا في زمان قد اتخذ أكثر أهله الغدر كيساً، ونسبهم أهل الجهل فيه إلى حسن الحيلة، ما لهم قاتلهم الله! قديري الحول القلب وجه الحيلة ودونه مانع من أمر الله ونهيه، فيدعها رأي عين بعد القدرة عليها، وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدين)(2).

ويقسم الجهاد تقسيماً رابعاً:

أولاً: الجهاد الإنقاذي: وهو واجب لأجل إعلاء كلمة الله عز وجل، أو لأجل إنقاذ المستضعفين

ثانياً: وجهاد دفاعي وهو ما يكون لردع العدوان الذي يتعرض إليه المسلمون.

المسألة الرابعة: الأدلة في فضيلة الجهاد.

إن للجهاد فضلاً عظيماً وثواباً كبيراً وفوائد كثيرة عند الباري سبحانه وتعالى، فقد وردت في فضله وثوابه والحث عليه آيات من الكتاب الكريم والسنة المطهرة والاجماع والعقل:

ص: 344

1- دعائم الاسلام: ج 1 ص 368

2- نهج البلاغة ج 1 ص 88 رقم 40

أولاً: ما ورد في القرآن الكريم.

قوله تعالى: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ»(1).

وقال تعالى في فضل الجهاد: «أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ»(2).

وقال تعالى في سورة الأنفال: «وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّكُوكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ»(3).

وفي باب الدعاء والاستغاثة:

قوله تعالى: «إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُّمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ»(4).

وفي باب ادخال السرور والبشرى على قلوب المؤمنين:

قال تعالى: «وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ»(5).

ص: 345

1- سورة البقرة: 216

2- سورة الحج 39

3- سورة الأنفال: 7

4- سورة الأنفال: 9

5- سورة الأنفال: 126

قال تعالى: «فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» (1).

ومنه قوله تعالى: «فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا» (2).

وفي آية أخرى يبين سبحانه وتعالى الهدف من مقاتلة ومجاهدة العدو ومثله قوله تعالى: «وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ انْتِهَاءَ فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» (3).

وفي باب التأكيد والحث على الجهاد، فإن الله سبحانه وتعالى يخاطب نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم): «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ» (4).

وقال تعالى في التأكيد على القتال وعدم التهاون به: «وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ» (5).

وقوله تعالى: «قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ» (6).

ص: 346

- 1- سورة الأنفال: 17
- 2- سورة النساء: 74
- 3- سورة الأنفال: 39
- 4- سورة الأنفال: 65
- 5- سورة التوبة: 36
- 6- سورة التوبة: 29

وفي أهمية الجهاد قال تعالى: «انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ»(1).

وفي اعتبار الجهاد تجارة منجية من عذاب أليم، قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ»(2).

وهناك آيات جليلة وكثيرة وردت في سور عديدة من القرآن الكريم تبين فضل الجهاد والمجاهدين عند الله تعالى، نكتفي بهذا القدر لغرض الشاهد والتأييد.

ثانياً: السنة المطهرة فالروايات في هذا المجال كثيرة ومتواترة.

منها قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال: (حملة القرآن عرفاء أهل الجنة والمجاهدون في سبيل الله قوادها والرسول سادة أهل الجنة)(3).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من ختم له بجهاد في سبيل الله ولو قدر فواق ناقة دخل الجنة)(4).

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (أصل الإسلام الصلاة وفرعه الزكاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله)(5).

ص: 347

1- سورة التوبة: 41

2- سورة الصف: 11

3- دعائم الاسلام: ج 1 ص 343، مستدرك الوسائل: ج 11 ص 7

4- مستدرك الوسائل: ج 11 ص 8، جامع أحاديث الشيعة: ج 7 ص 103

5- دعائم الإسلام: ج 1 ص 342، مستدرك الوسائل: ج 11 ص 15

وقال (عليه السلام): (جاهدوا في سبيل الله بأيديكم، فإن لم تقدرُوا فجاهدوا بألسنتكم، فإن لم تقدرُوا فجاهدوا بقلوبكم(1)).

ومن خطبة له عليه (عليه السلام) يذكر فيها أهمية وفضل الجهاد: قال: ألا وإن الشيطان قد ذمر حزبه واستجلب جلبه، ليعود الجور إلى أوطانه، ويرجع الباطل إلى نصابه، والله ما أنكروا علي منكرًا، ولا جعلوا بيني وبينهم نصفًا وإنهم ليطلبون حقا هم تركوه، ودما هم سفكوه، فلئن كنت شريكهم فيه فإن لهم النصيبهم منه ولئن كانوا ولّوه دوني فإيا التبعة إلا عندهم، وإن أعظم حجتهم لعلى أنفسهم يرتضعون أما قد فطمت، ويحيون بدعة قد أميتت، يا خيبة الداعي، من دعا وإلام أجيب وإني لراض بحجة الله عليهم، وعلمه فيهم، فإن أبوا أعطيتهم حد السيف. وكفى به شافيا من الباطل وناصرًا للحق، ومن العجب بعثهم إلي أن أبرز للطعان، وأن أصبر للجلاذ هبلتهم الهول لقد كنت وما أهدد بالحرب ولا أرهب بالضرب، وإني لعلى يقين من ربي. وغير شبهة من ديني(2).

ويقول (عليه السلام) في خطبة ذكر فيها الجهاد والحث عليه: فقاتل بمن أطاعه من عصاه. يسوقهم إلى منجاتهم، ويبادر بهم الساعة أن تنزل بهم(3).

وفي تاريخ الطبري عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال «إني سمعت عليا عليه السلام يوم لقينا أهل الشام يقول: أيها المؤمنون إنه من رأى عدوانا يعمل به ومنكرا يدعى إليه فأنكره بقلبه فقد سلم ومن أنكره بلسانه فقد أوجر وهو أفضل من صاحبه ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله العليا وكلمة الظالمين السفلى فذلك أصاب سبيل الهدى وقام على الطريق ونور في قلبه اليقين(4).

ص: 348

- 1- المصدر نفسه، المكان نفسه
- 2- نهج البلاغة: خطبة 22
- 3- المصدر نفسه: خطبة 103
- 4- نهج البلاغة: خطبة 365

فيتحصل من مجموع الآيات الشريفة والروايات المباركة إن للجهاد فضلاً عند الله سبحانه وتعالى، لأن فيه عزا للإسلام.

ثالثاً: الإجماع.

وأما قيام الإجماع عليه مسلّم، بل عليه اجماع فرق المسلمين، بل هو مما قامت عليه ضرورة الدين(1) على الجهاد في سبيل الله والدفاع عن حياض العقيدة مع نصره الحق أينما كان.

رابعاً: العقل.

فيستقل العقل بحسنه ولزومه لقطع دابر الكفر والظلم والفساد، وإقامة العدل الإلهي والأحكام الشرعية المحققة للنظام البشري في الدين والدنيا(2).

ويشير إلى هذا المعنى قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): الخير كله في السيف وتحت ظل السيف ولا يقيم الناس إلا السيف والسيوف مقاليد الجنة والنار(3)، ولعل مضمون الرواية يدل على أن الحق ينتصر بالسيف، وبه يبقى، والسيف كناية عن القوة والقدرة، (السيف) في الرواية إما أن يكون ممن يفتح الطريق أمام الحق، (تحت ظل السيف) يكون الحق يعمل به مازال تحت راية السيف والقوة.

ومضمون الرواية (السيوف مقاليد الجنة والنار) هو عبارة عن التمييز بين سيف الحق وسيف الباطل، فسيف الحق مفتاحه الجنة، وسيف الباطل مفتاحه النار.

ص: 349

1- كشف الغطاء: ج 4 ص 296 وينظر مذهب الاحكام 15 ص 18

2- فقه الدولة: ج 2 ص 495

3- الوسائل ج 11 / ص 5، الباب 1 من أبواب جهاد العدو، الحديث 1

سلوكيات الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في الجهاد:

تتمثل سلوكيات الإمام (عليه السلام) في الجهاد بالجوانب الآتية:

الجانب الأول: الإعداد والاستعداد العقائدي والروحي.

يعد الإعداد والاستعداد في الجهاد من العوامل المهمة في المواجهة مع الاعداء وطرق التعامل معهم، قال تعالى: «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ»⁽¹⁾. يؤكد الامام أمير المؤمنين على هذه الجوانب، وبتحققها ينتصر المجاهدون في المعركة، فالمجاهد إذا أراد أن يستعد للجهاد في هذا الطريق، يتأهب ويعد العدة له، يجب أن يتأهب في الجوانب العقائدية والاخلاقية.

أولاً: التعبئة العقائدية.

من العناصر الأساسية التي يتحلى بها المجاهدون الايمان والعقيدة التي تحقق أسمى غايات الجهاد بكل آفاقه، حينما يتحول إلى قتال تطهير النفس من الريب، قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ»⁽²⁾. هذا ما يسمى بالتجارة المعنوية مع الله سبحانه وتعالى.

ويقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): الله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم فإنما يجاهد رجالان إمام هدى أو مطيع له مقتد بهداه⁽³⁾.

ص: 350

1- سورة الأنفال: 60

2- سورة التوبة: 111

3- الكافي: الشيخ الكليني، ج 7 ص 52

ويقول (عليه السلام): (أيها الناس استعدوا للمسير إلى عدو في جهاده القربة إلى الله، ودرك الوسيلة عنده)(1).

ومن الصفات الهامة أيضاً في هذا المجال: صفة الثبات والصمود ومنزلة المجاهدين عند الله تعالى.

ومن كلام له عليه السلام لابنه محمداً بن الحنفية لما أعطاه الراية يوم الجمل (تزول الجبال ولا تزل، عض على ناجذك، أعر الله جمجمتك. تد في الأرض قدمك، أرم ببصرك أقصى القوم، وغض بصرك واعلم أن النصر من عند الله سبحانه)(2).

وعن الصادق (عليه السلام)، قال: جاء رجل إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: يا رسول الله، إني راغب في الجهاد نشيط. قال: فجاهد في سبيل الله، فإنك إن تقتل كنت حياً عند الله ترزق، وإن مت فقد وقع أجرك على الله، وإن رجعت خرجت من الذنوب كما ولدت(3).

ثانياً: التعبئة الاخلاقية.

وفي صحيفة الرضا: عن آبائه (عليهم السلام)، عن علي بن الحسين (عليهما السلام)، قال: (بينما أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليهما السلام) يخطب الناس ويحضهم على الجهاد، إذ قام إليه شاب فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن فضل الغزاة في سبيل الله، فقال علي (عليه السلام): كنت رديف رسول الله (صلى الله عليه وآله) على ناقته العضباء، ونحن قافلون من غزوة ذات السلاسل، فسألته عما سألتني عنه، فقال: إن الغزاة إذا هموا بالغزو كتب الله لهم براءة من النار، (فإذا

ص: 351

1- مصباح البلاغة (مستدرک نهج البلاغة): الميرجهاني ج 1 ص 110

2- نهج البلاغة: خطب الإمام علي (عليه السلام)، ج 1 ص 43

3- الأمالي: الشيخ الصدوق، ص 547

تجهزوا لغزوهم) باهي الله تعالى بهم الملائكة، فإذا ودعهم أهلوهم بكت عليهم الحيطان والبيوت، ويخرجون من ذنوبهم كما تخرج الحية من سلخها، ويوكل الله عز وجل بكل رجل منهم أربعين ألف ملك، يحفظونه من بين أيديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، ولا يعملون حسنة إلا ضعفتم له، ويكتب له كل يوم عبادة ألف رجل يعبدون الله ألف سنة، كل سنة ثلاثمائة وستون يوماً، اليوم مثل عمر الدنيا، وإذا صاروا بحضرة عدوهم انقطع علم أهل الدنيا عن ثواب الله إياهم، وإذا برزوا لعدوهم وأشرعت الأسنة وفوّقت السهام وتقدم الرجل إلى الرجل، حفتهم الملائكة بأجنحتهم ويدعون الله تعالى لهم بالنصر والتثبيت، ونادى مناد: الجنة تحت ظلال السيوف، فتكون الطعنة والضربة أهون على الشهيد من شرب الماء البارد في اليوم الصائف، وإذا زال الشهيد من فرسه بطعنة أو بضربة، لم يصل إلى الأرض حتى يبعث الله عز وجل زوجته من الحور العين فتبشره بما أعدّ الله عز وجل له من الكرامة، فإذا وصل إلى الأرض تقول له: مرحبا بالروح الطيبة التي خرجت من البدن الطيب، أبشر فإن لك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ويقول الله عز وجل: أنا خليفته في أهله، ومن أرضاهم فقد أرضاني، ومن أسخطهم فقد أسخطني، ويجعل الله روحه في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث تشاء، تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة بالعرش، ويعطى الرجل منهم سبعين غرفة من غرف الفردوس، سلوك كل غرفة ما بين صنعاء والشام، يملأ نورها ما بين الخافقين، في كل غرفة سبعون باباً، على كل باب ستور مسبلة، في كل غرفة سبعون خيمة، في كل خيمة سبعون سريراً من ذهب قوائمها الدر والزبرجد، مرصوفة بقضبان الزمرد، على كل سرير أربعون فراشا، غلظ كل فراش أربعون ذراعاً، على كل فراش سبعون زوجاً من الحور العين عرباً أتراباً، فقال الشاب: يا أمير المؤمنين أخبرني عن التربة ما هي؟ قال: هي الزوجة الرضية المرضية الشهية، لها سبعون ألف وصيف وسبعون ألف

وصيفة، صفر الحلي، بيض الوجوه، عليهم تيجان اللؤلؤ، على رقابهم المناديل، بأيديهم الأكوبة والأباريق، وإذا كان يوم القيامة يخرج من قبره شاهراً سيفه تشخب أوداجه دماً، اللون لون الدم والرائحة رائحة المسك، يحضر في عرصة القيامة، فوالذي نفسي بيده لو كان الأنبياء على طريقهم لترجلوا لهم مما يرون من بهائمهم، حتى يأتوا على موائد من الجوهر فيقعدون عليها ويشفع الرجل منهم في سبعين ألفاً من أهل بيته وجيرته، حتى أن الجارين يختصمان أيهما أقرب، فيقعدون معي ومع إبراهيم (عليه السلام) على مائدة الخلد، فينظرون إلى الله تعالى في كل بكرة وعشية(1).

إذن.. فالمجاهد يعرف أن جهاده في سبيل الله ومن أجل رضوانه، ولهذا فهو يمضي قدماً في درب الجهاد لا يبالي بالموت وقع عليه أو وقع هو على الموت.

الجانب الثاني: الإعدادات العسكرية (سلوكيات الامام عليه السلام في الحرب).

أولاً: إنه لا يبدأ القوم بقتال، ولا يقاتل إلا من بدأ الحرب.

يقول (عليه السلام): لابنه الحسن عليه السلام «لا تدعون إلى مبارزة، وإن دعيت إليها فأجب، فإن الداعي باغ والباغي مصروع»(2).

وفي خبر عمرو بن جميع عن أبي عبد الله عليه السلام سئل «عن المبارزة بين الصنفين بغير إذن الإمام عليه السلام فقال: لا بأس ولكن لا يطلب إلا بإذن الإمام عليه السلام: «ولعله قال الشيخ في النهاية لا بأس بالمبارزة بين الصنفين في حال القتال، ولا يجوز له أن يطلب المبارزة إلا بإذن الإمام عليه السلام ونحوه(3).

ص: 353

1- مستدرک الوسائل: ميرزا حسين النوري الطبرسي ج 11 ص 10

2- نهج البلاغة خطب الإمام علي ج 4 ص 52 خطبة 225

3- جواهر الكلام المؤلف: الشيخ الجواهري، ج 21 ص 86

ويقول (عليه السلام) في موضع آخر يوصي جنده في كل موطن: «لا تقاتلوا القوم حتى يبدأوكم فإنكم بحمد الله على حجة وترككم إياهم حتى يبدأوكم حجة أخرى(1)».

قال (عليه السلام) في وصيته لمالك الاشر (رضوان الله عليه): ولا يستحب بيت أحد من أهل البغي ولا قتاله غيلة ولا على غرة حتى يبدروا(2).

قوله (عليه السلام): فخذوا للحرب أهبتها. وأعدوا لها عدتها. فقد شب لهاها وعلا سناها، واستشعروا الصبر فإنه أدعى إلى النصر(3).

يتحدث الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): في هذا المقطع من الخطبة حول الاستعداد للقتال يقول (عليه السلام): (فخذوا للحرب أهبتها) أي تجهزوا بالسلاح وبأدوات القتال الكافي لخوض المعركة.

ثم يتحدث الإمام (عليه السلام) حول طبيعة المعركة عندما تشتد وتلتهب ويعلو ضوء بريق الصوارم (وأعدوا لها عدتها فقد شب لهاها وعلا سناها)، استعار لفظ اللظى والسنا عن إمارات الحرب لكون كل منهما علامة لما فيه مظنة.

ثانياً: في مسير الجيش للحرب وضرورة إطاعة القائد العسكري.

يقول (عليه السلام): في وصية له لمعقل بن قيس الرياحي حين أنفذه إلى الشام في ثلاثة آلاف مقدمة له) «اتق الله الذي لا بد لك من لقائه ولا تنتهي لك دونه. ولا تقاتلن إلا من قاتلك. وسر البردين، وغور بالناس، ورفه بالسير، ولا

ص: 354

1- الكافي 5: 3/38

2- شرح نهج البلاغة، لابن ميشم البحراني، ج 4: 381 - 382

3- نهج البلاغة خطب الإمام علي، ج 1 ص 67 خطبة 26

تسر أول الليل فإن الله جعله سكنا وقدره مقاما لا ظعنا، فأرح فيه بدنك وروح ظهرك، فإذا وقفت حين ينبطح السحر أو حين ينفجر الفجر فسر على بركة الله، فإذا لقيت العدو فقف من أصحابك وسطا، ولا تدن من القوم دنو من يريد أن ينشب الحرب، ولا تباعد عنهم تباعد من يهاب البأس حتى يأتيك أمري، ولا يحملنكم شنآنهم على قتالهم قبل دعائهم والإعذار إليهم.. وأعلموا أن مقدمة القوم عيونهم، وعيون المقدمة طلائعهم، وإياكم والتفرق، فإذا نزلتم فانزلوا جميعا، وإذا ارتحلتم فارتحلوا جميعا، وإذا غشيكم الليل فاجعلوا الرماح كفة، ولا تذوقوا النوم إلا غرارا أو مضمضة»(1).

يتحدث الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذه الوصية عن التكتيك في المسير لمواجهة العدو، وابتداء وصيته بالتقوى، إذ يأمر القائد العسكري ويذكره بالله جل وعلا، لأنه ملجأ والعباد ومنتهاهم إليه، ثم يؤكد على عدم بدء القوم بقتال إلا من بدأها، ثم يضع الامام (عليه السلام) دستورا في الاستعداد والتهيؤ لمواجهة العدو، يجب حمل السلاح ولبس الدروع، ثم يؤكد على مراعاة الآخرين في المسير من عدم المسير أول الليل لأنه فيه راحة للبدن وسكنا له «وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا» أي راحة البدن أن يأخذ الإنسان قسط من الراحة فيه، فيفضل الامام (عليه السلام) أوقاتا للمسير، فيجعل من هذه الاوقات ميزة وتفضيلا، فيقول حين ينفجر الفجر فسر على بركة الله، ثم يعطي الامام (عليه السلام) ميزانا في أهمية موقع القيادة ووجودها بين الجيش، فيقول (عليه السلام) إن أفضل مواقع تواجد القيادة وهيبتها هو وقوفها وسط الجيش ربما لا نحتاج إلى سوق الشواهد التاريخية التي تؤكد معايشة الإمام لجنوده وقادته، بل إنه كان في جميع المعارك التي خاضها متواجداً في القلب، حيث يحتدم القتال ويلتحم الجيشان، ويبدأ

ص: 355

صخب المعركة وقعقة السلاح. وقد وصفه صعصعة بن صوحان بما يأتي: (كان فينا كأحدنا في لين جانب، وشدة تواضع، وسهولة قياد وكنا نهابه مهابة الأسير المربوط للسياف الواقف على رأسه)(1) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا

إنّ ثمره هذا التواجد الميداني إلهاب حماس المجاهدين، والتوفر على وضع المعركة والتعرف بدقة على تفاصيلها وما يجب أن يتخذ من قرارات هامة مصيرية فيها.

ثم ان الإمام (عليه السلام) يعطي تكتيكا آخر للحرب، يقول لا تدنوا من القوم كونوا الذي يريد أن يبدأ بقتال، ولا تتباعد عنهم فيما لو نظر اليك القوم يقولون هؤلاء قد أهابونا وخافوا من مواجهتنا.

ثم أن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) يؤكد على جانب آخر في كلامه على مبدأ طاعة الاوامر في الحرب (حتى يأتيك أمري) يريد الإمام (عليه السلام) في هذا المقطع أن يسلط الضوء على مبدأ الاوامر فإنّ الأمر الصادر من القائد الميداني ربما لا يحتاج إلى وقت طويل كي يصل إلى المجاهدين. وهذه المركزية هي في الحقيقة من أهمّ العوامل الاستراتيجية في كسب المعركة، حيث تقطع الطريق على الفوضى والبلبلة نتيجة تأخر القرار، وتجعل الطاعة والانضباط هما السائدان في كل مراحل المعركة.

ويقول (عليه السلام) في موضع آخر: ولي عليكم الطاعة، وأن لا تنكصوا عن دعوة ولا تقرّطوا في صلاح وأن تخوضوا الغمرات إلى الحقّ. فإن أنتم لم تستقيموا (لي) على ذلك لم يكن أحد أهون عليّ ممّن اعوجّ منكم، ثم أعظم له العقوبة، ولا يجد عندي فيها رخصة، فخذوا هذا من أمرائكم، وأعطوهم من أنفسكم ما يصلح الله به أمركم»(2).

ص: 356

1- كتاب الأربعين: محمد طاهر القمي الشيرازي، ص 420

2- نهج البلاغة: خطب الإمام علي، ج 3 ص 80

وقال (عليه السلام): وأما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة والنصيحة في المشهد والمغيب، والإجابة حين أدعوكم، والطاعة حين أمركم(1).

ثالثاً: عند مقابلة العدو والالتحام معه.

يقول (عليه السلام): «وعضوا على الأضراس فإنه أنبأ للسيوف عن الهام»(2).

وعنه (عليه السلام): «وعضوا على الجهاد بنواجذكم»(3).

عضّوا على النواجذ، وأكملوا اللّامة، وقلقلوا السيوف، والحظوا الخزر، واطعنوا الشزر، ونافحوا بالظبا، وصلوا السيوف بالخطى، وعاودوا الكرّ، وعليكم بهذا السواد الأعظم والرواق المطنب فاضربوا شبحه(4).

يتحدث الإمام (عليه السلام) في هذا المقطع من خطبته عن مجموعة من الوصايا.

- فالعضّ على النواجذ، هي أقصى الأضراس، حيث يساعد على تصلب الأعصاب والعضلات المتصلة بالدماغ، وإزالة الاسترخاء.

- وإكمال اللّامة وهي الدرع، يعني تحصين جسد المجاهد، بإحاطة أعضائه البارزة بالحديد وهي الرأس والصدر والسواعد، إضافة إلى تهيئة وسائل الدفاع من درع ورمح وسيف.

ص: 357

1- المصدر نفسه، ج 1 ص 84 خطبة 34

2- المصدر نفسه، ج 1 خطبة 124

3- المصدر نفسه، ج 1 خطبة 121

4- المصدر نفسه، ج 1 ص 115 خطبة: 65

- وقلقلة السيوف أي تحريكها للتحقق من عدم تأثرها بالصدأ.

- وإلحاظ الخزر هو أن ينظر المجاهد بعينه بصورة من صور الغضب.

- والظعن شزراً، هو الظعن عن اليمين والشمال.

- والنفح بالضبا، وهو الضرب بطرف السيف.

- ووصل السيوف بالخطى هو التوازن بين حركة السيوف وخطوة المجاهد.

- ومعاودة الكرّ، أي إدامة الكرّ دون تراجع.

- والسواد الأعظم هو جمهور الشام المحيط بمركز القيادة والمراد منه أن يكون الهجوم على وسط مركز القيادة لأن ذلك يعجل لكم حسم المعركة.

رابعاً: في السريّة والكتمان، ومباغثة العدو.

يقول (عليه السلام): ألا وإنّ لكم عندي أن لا أحتجز دونكم سرّاً إلا في حرب ولا أطوي دونكم أمراً إلا من حكم ولا أوخر لكم حقاً عن محله ولا أفق به دون مقطعه وأن تكونوا عندي في الحق سواء(1).

يتحدث الامام (عليه السلام) في هذا المقطع من خطبته عن كتمان السر في الحرب والآثار المترتبة عليه من خطورة تسرب الأسرار إلى الجهة المعادية، والإمام (عليه السلام) عندما يحتفظ لنفسه ببعض الأمور التي لا يبوح بها حتى إلى أقرب الناس من الصحابة إنّما يلحظ خطورة الوضع العسكري وحساسيته ولذلك يأخذ الحيطة من تسرب بعض المعلومات إلى العدو، حيث لا يشكّ في أمر أصحابه الأوفياء، ولكنه قد يحتمل وجود بعض المندسين في صفوف جيشه وهو أمر وارد في جميع الجيوش، حيث يعتمد على التجسس في تحصيل المعلومات المهمة حول

ص: 358

1- نهج البلاغة خطب الإمام على ج 3 ص 79 كتاب 50

قوة الجبهة المقابلة، وخططها، وأساليبها في القتال، حيث يؤسس الإمام (عليه السلام) في كلامه قاعدة في مجال الإعلام والإخبار: إنَّ الوالي والحاكم يجب أن لا يُخفي عن الرعية شيئاً من الأمور إلاّ ما يُخلّ اظهاره وانتشاره بالأمن الاجتماعي لا الأمن العائد إلى شخصه(1).

خامساً: استحصال المعلومات من العيون والمراسد.

يقول (عليه السلام): واجعلوا لكم رقباء في صياصي الجبال ومناكب الهضاب لئلاّ يأتيكم العدو من مكان مخافة أو أمن. واعلموا أنّ مقدمة القوم عيونهم، وعيون المقدّمة طلائعهم(2).

حيث هو من الضرورات التي يتمّ التعرف بها على حجم قوّة العدو ونقاط ضعفه، والأسلوب المتبع عنده في دخول المعركة، ومن ثم هو وسيلة جمع المعلومات ليتمّ الإعداد وتوقيت المعركة واختيار أسلوب ومواقع المواجهة، ولقد استخدم الإمام (عليه السلام) أربعة طرق في جلب المعلومات، أستحصل المعلومات من خلال الأفراد القريبين من العدو أو من خلال أمراء الولايات والمدن، أو من خلال نشر العيون في أوساط العدو أو أختراق صفوفه.

سادساً: اختيار المواقع العسكرية المحصنة.

يقول (عليه السلام): «إذا نزلتم بعدو أو نزل بكم فليكن معسكركم في قبيل الأشراف أو سفاح الجبال، أو أثناء الأنهار كيما يكون لكم رداء ودونكم مرداء، ولتكن مقاتلتكم من وجه واحد أو اثنين»(3).

ص: 359

1- أسس النظام السياسي عند الإمامية: الشيخ محمد السند ص 41

2- نهج البلاغة خطب الإمام علي، ج 3 ص 13 رسالة 11

3- نهج البلاغة خطب الإمام علي ج 3 ص 12: رسالة 11

سابعاً: أخذ الحيطة والحذر من العدو.

وفي تحف العقول في وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) لزياد بن النضر حين أنفذه على مقدّمته إلى صفّين: «اعلم أنّ مقدّمة القوم عيونهم، وعيون المقدّمة طلائعهم، فإذا أنت خرجت من بلادك ودنوت من عدوك فلا تسأم من توجيه الطلائع في كلّ ناحية وفي بعض الشعاب والشجر والخمر وفي كلّ جانب حتّى لا يغير كم عدوكم ويكون لكم كمين... (1)».

ثامناً: اختيار القادة الميدانيين في الحرب.

يقول (عليه السلام) لمالك الاشر (رضوان الله عليه) حين ولاه مصر: فولّ من جنودك أنصحبهم في نفسك لله ولرسوله ولا مامك، وأنقاهم جيئاً، وأفضلهم حلماً ممن يبطئ عن الغضب ويستريح إلى العذر، ويرأف بالضعفاء، ولا ينبوعلى الأقياء، وممن لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف، ثمّ الصق بذوي المروءات والأحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة، ثمّ أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة (2).

في هذا المقطع من العهد الشريف يتحدّث الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) عن سياسته في اختيار القادة، ويستعرض بالتفصيل شروط قادة الجيش.

وهذه الصفات الثلاث اللازم توفرها في قادة الجيش، تؤدي أولاً إلى أن يعيش القائد العسكري هاجس الحق ويفكر في نصره الدين وإعلاء كلمة التوحيد ونصرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والإمام (عليه السلام)، وثانياً: أن يسعى في هذا الطريق من موقع الاخلاص والتفاني، ثالثاً: أن يعمل على تديير أمور الجيش

ص: 360

1- تحف العقول، ص 191

2- نهج البلاغة خطب الإمام علي ج 3 ص 19 رسالة 53

بآليات المداراة والعقلانية والخبرة الكافية(1).

وفي سياق هذا الكلام يتعرض الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى الصفة الاخلاقية الرابعة التي يجب توافرها في قادة الجيش (ويرأف بالضعفاء، ولا ينبو على الأقوياء، وممن لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف) يتحدث الإمام (عليه السلام) عن القادة اصحاب الشخصيات القوية الذين يتمتعون بالشجاعة والشفقة والرحمة، وأهدافهم هو مد يد العون للفقراء والمحرومين.

تاسعاً: الثقة التامة بين القائد العسكري والجنود:

قوله (عليه السلام): أوه على إخواني الذين تلوا القرآن فأحكموه، وتدبروا الفرض فأقاموه، أحيوا السنة وأماتوا البدعة. دعوا للجهاد فأجابوا، ووثقوا بالقائد فاتبعوه(2).

يتحدث الإمام (عليه السلام) في هذا المقطع عن سر الانتصار وكيف يتحقق، يقول (عليه السلام) إن المفتاح السحري للنجاح والانتصار في ميادين الحياة، لا سيما في الميادين العسكرية وفي جبهات القتال، هو ايجاد الثقة بين القائد العسكري والجنود.

ومن الشواهد التاريخية على ثقة القائد بجنوده روى ابن هشام: ان سعد بن معاذ، قام وقال: فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضنا معك، ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقي بنا عدونا غداً إننا لصبر في الحرب وصدق في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقرّ به عينك، فسر بنا على بركة الله. فسّر رسول الله بقول سعد ونشطه ذلك، ثم قال: (سيروا وأبشروا)(3).

ص: 361

1- نفحات الولاية: مصدر سابق ص 370

2- نهج البلاغة خطب الإمام علي ج 2 ص 109: خطبة 182

3- موسوعة طبقات الفقهاء (المقدمة): الشيخ السبحاني ج 1

وهذه هي الضابطة الكلية في كل ما شاور النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الحروب وغيرها، وقد كمنت المصلحة في نفس المشاورة عن طريق استقطاب آراء الصحابة دون أن تكون الغاية من ورائها الوصول إلى الواقع ورفع أغشية الجهل نعوذ بالله، فاطمئنان الجندي إلى قائده في كفاءته وإخلاصه، ينتج الحب والتقدير والاحترام والطاعة، وفي قبال هذه الثقة توجد هناك علاقة شك وعدم احترام بين القيادة والجنود، يقول الله تعالى في شأن الشاكين في كفاءة القيادة «أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ اذْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» (1).

فإذا انتشر الشك في صفوف الجنود؛ انتشر على إثر ذلك الحوار والتصددع في بنيان الجيش، فقوة الجيش تكون على قدر الثقة بين القائد وجنده، ومثانة وشجاعة الجنود مرتبطة بمتانة الثقة بين القائد وجنده، والثقة المتبادلة بين القائد وجنده هي الركيزة والغطاء الواقعي في الخطط العسكرية وتحقيق الأهداف.

عاشراً: آداب الحرب.

قوله (عليه السلام) فإذا كانت الهزيمة باذن الله فلا تقتلوا مدبراً، ولا تصيبوا معوراً، ولا تجهزوا على جريح. ولا تهيجوا النساء بأذى وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم، فإنهن ضعيفات القوى والأنفس والعقول. إن كنا لنؤمر بالكف عنهن وإنهن لمشركات (2).

وعنه (عليه السلام) في يوم الجمل قال: لا تقتلوهم مؤلّين ولا مدبرين ولا نياماً

ص: 362

1- سورة النور: 50

2- نهج البلاغة خطب الإمام علي ج 3 ص 15: رسالة 14

ولا أيقاظاً ولا تجهزوا على جريح، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، ومن أغلق بابه فلا سبيل عليه، وأحللت لنا سبي الكراع والسلاح حرمت علينا سبي الذراري(1).

وفي المستدرک، عن المفید بسنده، عن کتاب أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى أهل الكوفة بعد واقعة الجمل: «فلما هزمهم الله أمرت أن لا يتبع مدبر ولا يجز على جريح، لا يكشف عورة ولا يهتك ستر ولا يدخل دار إلا بإذن، وامنت الناس الخبر(2).

ومن كتاب له عليه السلام إلى عماله في أمر الخراج:

«ولا تمسّ مال أحد من الناس مصلّ ولا معاهد إلا أن تجدوا فرساً أو سلاحاً يعدى به على أهل الإسلام فإنه لا ينبغي للمسلم أن يدع ذلك في أيدي أعداء الإسلام فيكون شوكة عليه»(3).

يتناول الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) الآداب والاخلاق التي ينبغي ان يتحلّى بها المقاتل في المعركة، وكيفية التعامل مع كبار السن والنساء ومع الاسرى والمنهزمين من المعركة.

فيتحصل مما ذكرناه في هذا المبحث:

إن الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) أعطى مالكا (رضوان الله عليه) دستوراً متكاملًا في الجهاد وفنون الحرب، والسلوكيات والآداب الاخلاقية الاسلامية المتبعة في الحرب ويجب على القائد وجنده أن يتحلوا بها، وتعد هذه التوصيات من الدروس الاخلاقية في منظومة القيادة والادارة في الاسلام.

ص: 363

1- الوسائل ج 11 ص 16، الباب 5 من أبواب جهاد العدو، الحديث 2

2- مستدرک الوسائل 2/ 251، الباب 22 من أبواب جهاد العدو، الحديث 2

3- نهج البلاغة: رسالة 51

المبحث الثالث التنمية البشرية والإصلاح الاجتماعي

قوله عليه السلام: (وَاسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا).

نتناول في هذا المبحث التنمية البشرية، والذي يعبر عنه في الإصلاح الاجتماعي، كما ورد في قول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): (وَاسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا)، لأن إصلاح الأمة وإرشادها يعد من سائر وظائف الوالي وأنشطته الأساسية من حيث إيجاد البواعث الاخلاقية في نفوس الناس كأعمال الخير وتخليصهم من منابع الفساد الأخلاقي، وتوفير الأمن في مجال الكسب والمعاش وتأمين حقوق الافراد ونظم ما يتصل بالأمور القضائية⁽¹⁾، فلا بد أن يلتفت المسؤولون إلى أن وظيفتهم لا تنتهي بتعبيد بعض الطرق والشوارع وتزويد السوق بالحاجات المنزلية، بل إن هناك جوانب معنوية التي ينبغي أن يهتم بها المسؤولون في المجتمع الإسلامي إلى جانب دورهم في النهوض بهذه الجوانب ونشرها بين صفوف الناس⁽²⁾.

المسألة الأولى: معاني الإصلاح اصطلاحاً.

إرادة الخير وتقويم العوج في المجتمع واستصلاح ما فسد منهم. والإصلاح وظيفة الأنبياء ومن سار على دربهم بصدق هم المصلحون الحقيقيون قال تعالى حكاية عن شعيب: «إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ»⁽³⁾.

ص: 365

1- نفحات الولاية : مصدر سابق ص 290

2- الدولة الاسلامية: للنكراني، ص 41

3- سورة هود: 88

ومنه يشير الإمام (عليه السلام) إلى هذا المبدأ بشكل عام وفق المفهوم الواسع للإصلاح والذي يشمل الموارد الاخلاقية يقول (عليه السلام) في عهده لمالك الاشر (رضوان الله عليه): «ثُمَّ أَسْبَغْ عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلَاحِ أَنْفُسِهِمْ وَغِنَى لَهُمْ عَنْ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوْ ثَلَمُوا أَمَانَتَكَ» (1).

المسألة الثانية: الإصلاح في الكتاب العزيز والروايات المطهرة.

أولاً: وقد وردت كلمة الإصلاح في القرآن الكريم في آيات كثيرة

قال تعالى: «وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ» (2)

وقال أيضا: «وَإِنَّ امْرَأَةً خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصَدِّقَا بَيْنَهُمَا صِدْقًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا» (3).

وفي قوله تبارك وتعالى: «وَلَنْ نَسْتَبِيْعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا» (4)

وقال سبحانه: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» (5).

ص: 366

1- نهج البلاغة: خطب الإمام علي ج 3 ص 69 رسالة 53

2- سورة الأعراف: 56

3- سورة النساء 128

4- سورة النساء: 129

5- سورة الحجرات: 10

وفي سورة هود على لسان نبي الله شعيب عليه السلام: «...نُ أريدُ إلا الإصْلَاحَ مَا اسَّ تَطَعْتُ وَمَا تَوَفَّقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ»(1).

ثانياً: ووردت كلمة الإصلاح في روايات أهل البيت (عليهم السلام) في مواضع متعددة، عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال: «كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: «لئن أصلح بين اثنين أحب إلي من أن أتصدق بدينارين»(2).

وعنه (عليه السلام) أيضاً أنه قال: «صدقة يحبها الله: إصلاح بين الناس إذا تفاسدوا، وتقارب بينهم إذا تباعدوا»(3).

في هذه الرواية حث بليغ للمؤمن على شيء كثير من منافع الدنيا والآخرة، منها أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بوعظ بليغ نافع، ومنها أن يصلح بين الناس إذا وقعت المنازعة بينهم بأن ينظر برأيه الصائب ويميز بين الظالم والمظلوم وينصح الظالم بنصائح بليغة زاجرة له عن الظلم، ومنها أن يصل الرحم وإن اختاروا فراقه وتباعده، ومنها أن يأمر بصلة الأرحام إذا وقع التفارق والتباغض بينهم بموعظة حسنة، ومنها أن يأمر المؤمنين بالتواصل والتعاون إذا وقع التدابر والتقاطع بينهم، ومنها الإصلاح بين القبيلتين إذ وقع التقابل بينهم، ومنها الإصلاح بين المرء وزوجه(4).

ص: 367

1- سورة هود: 88

2- البحار ج 73: ص 44، كتاب العشرة، باب الإصلاح بين الناس، الحديث 3، ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق، ص 841

3- أصول الكافي ج 2، ص 209، باب الإصلاح بين الناس، الحديث الأول، وسائل الشيعة الحر العاملي، ج 81 ص 934

4- شرح أصول الكافي: مولى محمد صالح المازندراني، ج 9 ص 103

وعنه (عليه السلام) قال: كل كذب مسؤول عنه يوم ما إلا كذبا في ثلاثة: رجل كائد في حربه فهو موضوع عنه، ورجل أصلح بين اثنين يلقي هذا بغير ما يلقي به هذا، يريد الصلح ما بينهما، ورجل وعد أهله شيئا ولا يريد أن يتم لهم عليه، يريد بذلك دفعها(1).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أفضل الصدقة صدقة اللسان، قيل: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وما صدقة اللسان؟ قال: الشفاعة تفك بها الأسير، وتحقن بها الدم، وتجرب بها المعروف إلى أخيك، وتدفع بها الكريهة(2).

قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا رأيت بين اثنين من شيعتنا منازعة فافتدها من مالي(3).

بيان: «افتدها» كأن الاقتداء هنا مجاز فإن المال يدفع المنازعة كما أن الدية تدفع طلب الدم، أو كما أن الأسير ينقذ بالفداء، فكذلك كل منهما ينقذ من الآخر بالمال، فالاسناد إلى المنازعة على المجاز، في المصباح فدا من الأسير يفديه فدى مقصور وتفتح الفاء وتكسر إذا استتقده بمال واسم ذلك المال الفدية وهو عوض الأسير وفاديته مفادة وفداء أطلقته وأخذت فديته، وتفادي القوم اتقى بعضهم ببعض، كأن كل واحد يجعل صاحبه فداه، وفدت المرأة نفسها من زوجها تقدي وأفدت أعطته مالا حتى تخلصت منه بالطلاق(4).

ص: 368

1- الكافي: ج 2 ص 342 ح 18، البحار: ج 69 ص 242 ح 5

2- بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج 73 ص 44

3- الكافي، ج 2 ص 209

4- البحار: ج 37 ص 54

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله عز وجل: «وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِإِيمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصَوِّبُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» قال: إذا دعيت الصلح بين اثنين فلا تقل عليّ يميناً أن أفعل(1).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «ثابروا على صلاح المؤمنين والمنتقين»(2).

وعنه (عليه السلام): «من كمال السعادة السعي في صلاح الجمهور»(3).

وقال (عليه السلام): «من استصلح الأضداد بلغ المراد»(4).

وعن أبي عبد الله الحسين (عليه السلام): قد أدلى بذلك في وصيته لأخيه ابن و الحنفية التي أعلن فيها عن أسباب خروجه على يزيد، فقال (عليه السلام): اني لم اخرج أشرا، ولا بطرا، ولا ظالما، ولا مفسدا، وإنما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي أريد أن أمر بالمعروف و نهى عن المنكر.

لقد انطلق (عليه السلام) إلى ميادين الجهاد ليقم هذا الصرح الشامخ الذي بنيت عليه الحياة الكريمة في الاسلام، وقد انهارت دعائمه أيام الحكم الأموي، فقد أصبح المعروف في عهدهم منكرا، والمنكر معروفا، وقد أنكر عليهم الامام في كثير من المواقف، التي كان منها خطابه الرائع امام المهاجرين والأنصار، فقد شجب فيه تخاذلهم عن نصره الحق ودحض الباطل، وإيثارهم للعافية(5).

ص: 369

1- الكافي: 210 / 2

2- غرر الحكم: 4703، 9361، 8043

3- المصدر نفسه: 4703، 9361، 8043

4- المصدر نفسه: 4703، 9361، 8043

5- حياة الإمام الحسين (عليه السلام): الشيخ باقر شريف القرشي، ج 2 ص 289

المسألة الثالثة: مبادئ الإصلاح.

عبر الإصلاح حقيقة تحيا الأمة حياة كريمة، وتأمين فيها على دينها وأعراضها وأموالها، ومن خلال الإصلاح يتصل الإنسان بمبدأ الكون وبإسلامه ودينه الذي يبعث فيه الخشية والحياء.

فلا بد من الوقوف على المبادئ والمنطلقات الأساسية للإصلاح، وتقصد بالمبادئ والمنطلقات تلك الكليات والأسس التي تنطلق منها ونتركز عليها لتحقيق الاهداف، وهي مستمدة من الكتاب والسنة، وفيما يأتي أهم المبادئ والمنطلقات التي توجه العملية الإصلاحية.

1- إخلاص العمل لله تعالى (النية الخالصة).

ومبدأ النية الخالصة التي نحرص عليها ونتربى عليها هو أن نجعل وجه الله هو الأساس في اعمالنا وسلوكنا، من قول وعمل، لأن الله تعالى لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصا صوابا، ومنه قوله تعالى: «تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» (1) وقوله تعالى أيضا: «وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (19) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى» (2)، وقوله تعالى: «وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» (3) وقد رووا عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى» (4).

ص: 370

1- سورة القصص: 83

2- سورة الأعلى: 19 - 20

3- سورة البينة: 5

4- تهذيب الاحكام، ج 4 ص 186، ح 2

وقال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): «الإخلاص أشرف نهاية»(1).

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «ثلاث لا يغفل عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله والنصيحة لأئمة المسلمين واللتزم لجماعتهم»(2).

عن الرسول (صلى الله عليه وآله): «إنما نصر الله هذه الأمة بضعفائها ودعوتهم وإخلاصهم وصلاتهم»(3).

وقال الإمام زين العابدين (عليه السلام) - في مناجاته -: «اجعل جهادنا فيك، وهمنا في طاعتك، وأخلص نيأتنا في معاملتك»(4).

قال الحواريون لعيسى (عليه السلام): «يا روح الله، من المخلص لله؟ قال: الذي يعمل لله لا يحب أن يحمده أحد على شيء من عمل الله عز وجل»(5).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «العمل الخالص: الذي لا تريد أن يحمذك عليه أحد إلا الله عز وجل»(6).

ومن الأحاديث ما رواه الدارقطني: «أخلصوا أعمالكم لله فإن الله لا يقبل إلا ما خالص له»(7).

ص: 371

1- عيون الحكم والمواعظ: علي بن محمد الليثي الواسطي، ص 35

2- مستدرک الوسائل ميرزا الطريسي ج 11 ص 45

3- المحجة البيضاء: ج 8 / ص 125؛ ميزان الحكمة محمد الريشهري ج 1 ص 755؛ كنز العمال المتقي الهندي ج 3 ص 172

4- البحار: 21 / 147 / 94

5- الدر المنثور: 724 / 2

6- الكافي: 4 / 16 / 2

7- إغاثة الطالبين: البكري الدمياطي ج 1 ص 152

المنطلق الثاني للإصلاح الذي من خلاله تسعد البشرية هو التمسك بالاسلام والقرآن الكريم وعيدله الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، فالتمسك بالعترة الطاهرة موجب للفوز في الآخرة.

وفي وصية النبي (صلى الله عليه واله): إلى أبي ذر الغفاري (رضوان الله عليه): قال واعلم يا أبا ذر أن الله عز وجل جعل أهل بيتي في أمتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق، ومثل باب حطة في بني إسرائيل من دخلها كان آمنا(1).

في مسند ابن حنبل أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إنَّ النجوم أمان لأهل السماء، فإذا ذهب ذهبوا، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض)(2).

إنهم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق في هذا البحر المائج الزاخر بأمواج الشبه والضلالات والادعاءات والمنازعات. والدليل القطعي من القرآن والسنة دال على وجوب الرجوع إلى آل البيت (عليه السلام) وأنهم المرجع الأصلي بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لأحكام الله المنزلة.

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (صنفتان من أمتي لا نصيب لهما في الإسلام: الناصب لأهل بيتي حربا، وغال في الدين مارق منه)(3).

ص: 372

1- الغدير، ج 1 ص 140 إلى 151 وكذلك ص 294 إلى 313

2- صحيح مسلم 5: 37 باب فضائل أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) ح 2424، وسنن الترمذي 5: 663 ح 3787

3- الوافي: الفيض الكاشاني ج 2 ص 229

وفي وصية الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): في القرآن (والله الله في القرآن لا يسبقكم بالعمل به غيركم)(1).

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (ألا من تعلم القرآن وعلمه وعمل بها فيه فأنا له سائق إلى الجنة، ودليل إلى الجنة)(2).

3- الفريق الجماعي المنظم.

يعد مبدأ العمل الجماعي بصورته المنظمة أحد عناصر الثورة الإصلاحية، التي تستمد أصلاتها من القرآن والسنة المطهرة، قال تعالى: «وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ»(3).

«وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ»(4).

إن العمل الجماعي المنظم مدعاة إلى تحقيق الاهداف السامية للإصلاح، من إعانة المحتاجين و تخليص النفس من ذي الرقبة وحقوقها.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «يد الله مع الجماعة»(5)، ولا يبالي الله بشذوذ من شذو ومن خالف الجماعة قيد شبر فقد خلع ربة الإسلام من عنقه.

ص: 373

1- نهج البلاغه، باب، 47 وصيته عليه السلام للحسن والحسين عليهما السلام لما ضربه ابن ملجم لعنه الله

2- ميزان الحكمة: محمد الريشهري ج 3 ص 2522

3- سورة المائدة: 3

4- سورة التوبة /71

5- كنز العمال ج 1 ص 2024

المراد بالجماعة هنا المتعاونون على الخير والصلاح الذي يعود على الجميع. بقرينة يد الله، والخروج من الإسلام، وبحبوحه الجنة، كما يفسر الحديث الوارد عن الإمام الصادق عليه السلام معنى الجماعة بمفهوم الإسلام فيقول: سئل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن جماعة أمته؟ فقال: جماعة أمتي أهل الحق وإن قلوا»(1).

4- التعاون على الخير مع الغير.

من العناصر الأساسية في الإصلاح هو إيجاد مبدأ التعاون على الخير مع إشرارك الغير فيه، وهذا ما يعبر عنه بالقدرة على التعامل مع اصناف شتى من الناس، مما يحقق وحدة الهدف الذي نشأ من أجله الاصلاح، يقول الله تعالى في سورة الممتحنة: «لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (8) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ»(2).

قال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: من مشى في عون أخيه فله ثواب المجاهدين في سبيل الله(3).

ص: 374

1- بحار الانوار ج 2 ص 265

2- سورة الممتحنة: 8-9

3- عقاب الأعمال: ص 276 - 277

من الأسس والمبادئ في تحقيق العملية الاصلاحية في المجتمع معاملة الآخرين ومخالطتهم ايجابيا، ويعد هذا المبدأ من سلوكيات الانبياء والأئمة الأطهار سلام الله عليهم، لأن للناس حوائج لا يمكن قضاؤها إلا بمخالطتهم، ويتعرض الناس إلى مشاكل لا يمكن التعرف عليها إلا من خلال معاشرتهم والجلوس معهم والاحسان اليهم.

قال الامام الصادق عليه السلام: من أضاف مؤمنا أو خف له في شيء من حوائجه، كان حقا على الله أن يخدمه وصيفا في الجنة(1).

عن الصادق (عليه السلام) انه قال والبيت غاص باهله: اعلموا انه ليس منا من لم يحسن مجاورة من جاوره(2)

عن أبي الربيع الشامي قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام والبيت غاصّ باهله، فيه الخراساني والشامي و من اهل الافاق، فلم اجد موضعاً أقعد فيه. فجلس ابو عبد الله عليه السلام وكان متكئاً، ثم قال: يا شيعة آل محمد اعلموا انه ليس منا من لم يملك نفسه عند غضبه ومن لم يحسن صحبة من صحبه و محالقة من خالقه ومرافقة من رافقه و مجاورة من جاوره و ممالحة من مالحه، شيعة آل محمّد اتقوا الله ما استطعتم ولا حول ولا قوة الا بالله(3).

وقال عليه السلام: (من نَفَس عن أخيه كربة من كرب الدنيا، نَفَس الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً، ستره الله في الدنيا والآخرة، والله تعالى

ص: 375

1- بحار الأنوار: ج 74 ص 312، حديث 69 - وفيه:.. (نفس الله عنه بها كربة يوم القيامة)

2- هداية العباد: الشيخ لطف الله الصافي الكلبايگاني ج 2 ص 354

3- من لا يحضره الفقيه ج 2، ص 179

في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما، سلك الله به طريقا إلى الجنة، وما جلس قوم في مسجد، يتلون كتاب الله، ويتدارسون بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وحفتهم الملائكة، ومن أبطأ به عمله، لم يسرع به نسبه(1).

ومن وصية الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) لمالك الاشر (رضوان الله عليه) (الناس صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق)(2).

إذن من خلال ما استعرضناه من هذه المبادئ يظهر إن الإصلاح ضرورة عينية ووجوبه كوجوب الواجبات التكليفية التي تحتاج إلى الاسلام والعقل والايمان

المسألة الرابعة: تقسيمات الإصلاح.

القسم الاول: الإصلاح النفسي (الاخلاقي).

منه قوله تعالى: «وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا»(3)، فمن طهر نفسه بطاعة الله، وأصلحها من الأخلاق الدنيئة والرذائل فقد أفلح وربح، ومن دساها حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله فقد خاب وخسر.

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (من أصلح سريره أصلح الله تعالى علانيته، ومن عمل لدينه كفاه الله دنياه، ومن أحسن فيما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس)(4).

ص: 376

1- بحار الأنوار: ج 74 ص 312، حديث 69 - وفيه:.. (نفس الله عنه بها كربة يوم القيامة)

2- نهج البلاغة خطب الإمام علي ج 3 ص 49 رسالة 53

3- سورة الشمس: الآيات 7-10

4- الوسائل ج 11: ص 182 / ح 8

وقال أبو الحسن عليه السلام: تعاهدوا عباد الله نعمه بإصلاحكم تزدادوا يقينا، وتربحوا نفيسا ثمينا(1).

يوصي الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) بضرورة الإسراع إلى التوبة قبل حلول الموت: وأنت طريد الموت الذي لا ينجو منه هاربه، ولا بد أنه مدركه، فكن منه على حذر أن يدركك وأنت على حال سيئة قد كنت تحدث نفسك منها بالتوبة فيحول بينك وبين ذلك، فإذا أنت قد أهلكت نفسك(2).

ومن خطبة له (عليه السلام): يحث الناس على التوبة ويحذر تسويقها:

«اعملوا رحمكم الله على أعلام بينة، فالطريق نهج يدعو إلى دار السلام، وأنتم في دار مستعتب على مهل وفراغ، والصحف منشورة. والأقلام جارية، والأبدان صحيحة، والألسن مطلقة، والتوبة مسموعة، والأعمال مقبولة»(3).

فيتحصل: أن إصلاح النفس عملية شاقة ولكنها ليست مستحيلة إذا ما توافرت الشروط المطلوبة والأسباب الموضوعية لذلك، ومن شروط إصلاح النفس العزم والمصارعة على التوبة والاعتراف بالذنوب والمعاصي.

القسم الثاني: الإصلاح الاجتماعي.

يعد الإصلاح الاجتماعي الركيزة الأساس في بناء المجتمع نحو السلامة الاخلاقية والفكرية، وبذل أهل البيت (عليهم السلام) في هذا المجال عناية خاصة لإصلاح المجتمع الإسلامي وتطهيره من شوائب الجاهلية، بدأ بالمقربين منه، ثم

ص: 377

1- هداية الأمة إلى أحكام الأئمة (عليه السلام): الحر العاملي ج 5 ص 541

2- نهج البلاغة: رسالة 31

3- المصدر نفسه، خطبة 94

الخوض في سائر الاوساط الاجتماعية والحكومية، ويتم الإصلاح الاجتماعي عبر توظيف السنة النبوية المطهرة لإيجاد التغيير، من خلال نشر الاحاديث الشريفة التي تحقق إزالة الخوف والحواجز والتراكمات والافكار التحجرية التي خلفها الحكام على أبناء الأمة، التي أرادوا بها الحط من كرامة وعزة الأمة هذا أولاً وثانياً العمل على التغيير الاخلاقي وربط الأمة بالله سبحانه وتعالى ونبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته (عليهم السلام) من خلال الاعتماد على عناصر التغيير المؤثرة في المجتمع.

فقد ركز الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) على مبدأ الإصلاح الاجتماعي من خلال عهده لمالك الاشر (رضوان الله عليه) موضحاً له طبيعة التعايش السلمي في المجتمع، والآثار التي خلفتها الحكومات السابقة وأثرها على تركيبة المجتمع، يقول (عليه السلام): ثم اعلم يا مالك أنني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل و جور. وأن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاية قبلك، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم، وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده. فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح. فأملك هواك، وشح بنفسك عما لا يحل لك، فإن الشح بالنفس الإنصاف منها فيما أحببت أو كرهت، وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللفظ بهم، ولا تكونن عليهم سبباً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق، أعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنك فوقهم، ووالي الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولاك. وقد استكفأك أمرهم وابتلاك بهم، ولا تنصبن نفسك لحرب الله فإنه لا يدي لك بنقمته، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته، ولا تندمن على عفوه، ولا تبجحن بعقوبة، ولا تسرعن إلى بادرة وجدت منها مندوحة، ولا تقولن إني

مؤمر أمر فاطع، فإن ذلك إدغال في القلب، ومنهكة للدين.. أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلِكَ ومن لك فيه هوى من رعيتك، فإنك إلا- تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خصمه الله أذحض حجته.. إلى آخر خطبته عليه السلام.(1)

وفي القوي كالصحيح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: صنفان من أمتي إذا صلحا صلحت أمتي، وإذا فسدا فسدت أمتي، الأمراء والقراء والمراد بهم العلماء(2) في هذا المجال وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): «زلة العالم كانكسار السفينة تَغْرَق وتُغْرَق»(3).

وقال (عليه السلام) في وصيته للإمامين الحسن والحسين: أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونظم أمركم وصلاح ذات بينكم، فاني سمعت جدكما صلى الله عليه وآله يقول صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام(4).

ومن مصاديق الإصلاح الاجتماعي إيجاد العدالة الاجتماعية في المجتمع، وأن يجعل الإنسان نفسه ميزاناً بينه وبين غيره من الناس، فلا يفضل نفسه على غيره أياً كان حسبه ونسبه، فقد جسد أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا المفهوم بدقة ورسم منهاجاً طبقه على نفسه أولاً ليكون نمطاً ومثالاً يقتدى به على مر الأجيال، وذلك حينما خاطب ولده الحسن (عليه السلام)، قائلاً: يا بُنَيَّ اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك، فأحب لغيرك ما تحب لنفسك، وكره له ما تكره لها، ولا

ص: 379

1- نهج البلاغة: 53

2- أمالي الصدوق - المجلس الثالث والأربعون حديث 2 و 3، ص 148

3- البحار ج: 2 باب: 11 من أبواب كتاب العلم حديث: 10 و 39

4- نهج البلاغة، 21، قسم الرسائل، الرقم 47

تظلم كما لا تحب أن تُظلم، وأحسن كما تحب أن يحسن إليك، واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك، وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك، ولا تقل ما لا تعلم وإن قل ما تعلم، ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك(1).

ومن مظاهر الإصلاح الاجتماعي، ابراز العلاقات الاجتماعية من خلال المحبة والشفقة والتودد وتطهير اللسان من الكلام البذيء يقول (عليه السلام): قولوا للناس أحسن ما تحبون أن يقال لكم، فإن الله يبغض اللعان السباب الطعان على المؤمنين، الفاحش المتفحش، السائل الملحف. ويحب الحيي الحليم، العفيف المتعفف(2)، إلى غير ذلك من الروايات الكثيرة التي تؤكد على منهجية الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) في نشر وترسيخ المفاهيم الاخلاقية في المجتمع كالعفة وحسن الخلق، وصلة الارحام، وادخال السرور على قلوب المؤمنين.

وأكد (عليه السلام) على تعميق الاواصر الاجتماعية من خلال الارتباط بأهل الورع والتقوى، وبيان الحقوق المتبادلة في المجتمع، حق المؤمن على المؤمن، وحق الجار على الجار وحذر عليه السلام من ظلم الناس، أو الإعانة على ظلمهم، كما شدد عليه السلام على الاحسان للآخرين، وعدم مقابلة الإساءة بالإساءة.

القسم الثالث: الإصلاح السياسي.

الإصلاح السياسي هو «تحسين النظام السياسي من أجل إزالة الفساد والاستبداد. ويعدّ الإصلاح السياسي ركناً أساسياً مرسخاً للحكم الصالح، ومن مظاهره سيادة القانون والشفافية والمشاركة الشعبية في اتخاذ القرار والعدل وفعالية الإنجاز وكفاءة الإدارة والمحاسبة والمسائلة والرؤية الاستراتيجية، وهو تجديد

ص: 380

1- نهج البلاغة محمد عبده، ج 3 ص 45

2- تحف العقول عن آل الرسول: ابن شعبة الحراني، ص 301

للحياة السياسية، وتصحيح لمساراتها، ولصيغها الدستورية والقانونية، بما يضمن توافقاً عاماً للدستور، وسيادة للقانون(1).

وورد مفهوم الإصلاح السياسي في كلام الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) إذ قال (عليه السلام): اللهم إنك تعلم أنه لم يكن ما كان منا تنافسا في سلطان ولا- التماسا من فصول الخصام ولكن لنرى المعالم من دينك ويظهر الإصلاح في بلادك ويأمن المظلومون من عبادك ويعمل بفرائضك وسنك وأحكامك فإنكم إن لا تنصرونا وتنصفونا قوي الظلمة عليكم وعملوا في إطفاء نور نبيكم وحسبنا الله وعلية توكلنا وإليه أنبنا وإليه المصير(2).

يتحدث الامام (عليه السلام) في هذا المقطع عن الاصلاح السياسي وبيان مهمة الحاكم في المنظومة القيادية.

وتعد ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) من بين أشهر الثورات الإصلاحية التي حدثت في تاريخ الإنسانية، إن لم تكن أشهرها على الإطلاق فنورته لم تكن لجمع المال والبحث عن الجاه، والتطلع إلى الحكم والتسلط على رقاب الناس، بل كانت لضمان مبدأ حرية الإنسان وكرامته، ومنحه حق الكلمة ليطالب بحقوقه ويعيش حياة كريمة بعيدة كل البعد عن الذل والهوان.

حيث قال الامام الحسين (عليه السلام) عند خروجه: (إني لم أخرج أشراً، ولا بطراً، ولا ظالماً، ولا مفسداً، وإنما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف ونهي عن المنكر)(3).

ص: 381

1- مفهوم الإصلاح السياسي: محمد محمود السيد شبكة الانترنت العالمية

2- الوافي: الفيض الكاشاني، ج 15 ص 179

3- موسوعة كلمات الحسين عليه السلام، ص 283

يتضح من كلام الامام (عليه السلام) أنه لا يريد أن يتولى زمام قيادة الأمة طاغية او متجبر او فاسق، بل يجب أن يكون القائد من سنخ أئمة أهل البيت أو الأقرب لهم في جميع الأمور عبادة وعلماً وأخلاقاً وعملاً. وهذا ما أكده الإمام الحسين (عليه السلام) في كل مقولاته التي أشارت إلى أن يزيد شارب الخمر ومعلن بالفسق وقاتل النفس المحرمة، وأن (مثلي لا يبايع مثله) وقوله في استحقاق قيادة الأمة (وأنا أحق من غيري) وفي تأكيده (إثاً أهل بيت النبوة و معدن الرسالة، ومختلف الملائكة، بنا فتح الله وبنا ختم، وزيد فاسق شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله(1)

وقال (عليه السلام) في موضع آخر إشارة إلى بيان أهمية الإصلاح السياسي

إن هذه الدنيا قد تغيرت وتكرت وأدبر معروفها، فلم يبق منها إلا صباية كصباية الاناء و خسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون أن الحق لا يعمل به وأن الباطل لا يتناهى عنه(2).

القسم الرابع: الإصلاح الاقتصادي.

يعد الإصلاح الاقتصادي من المسائل المهمة جدا التي ينبغي الاسهاب فيها مفصلا، إلا أننا سنكتفي في هذا القسم بذكر النقاط مورد الأهمية.

الإصلاح الاقتصادي: مجموعة من السياسات والإجراءات التي تهدف إلى رفع نسبة الانتاج، و تحسين الموارد الاقتصادية وتوفير الفرص المتاحة لتقويمه وتنمية مجالاته كافة، لأنه يعدّ من عناصر القوة والاستغناء عن الغير وفيه العزة

ص: 382

1- مثير الأحزان: ابن نما الحلبي ص 14

2- تحف العقول عن آل الرسول: ابن شعبة الحراني، ص 246

والكرامة للإنسان، (لأن الكرامة الاقتصادية توجب الكرامة الاجتماعية)⁽¹⁾، ومن الواضح إن الكرامة الاجتماعية متوقفة على الكرامة الاقتصادية، فكلاهما واجب.

وفي الخبر الشريف عن الصادق (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى: «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً» رضوان الله والجنة في الآخرة والمعاش وحسن الخلق في الدنيا⁽²⁾.

وقال رجل للصادق (عليه السلام) إنا والله لنطلب الدنيا ونحب أن نؤتى بها، فقال تحب أن تضع بها ماذا؟ قال أعود بها على نفسي و عيالي و أصل منها وأتصدق وأحج واعتمر، فقال الصادق (عليه السلام) ليس هذا طلب الدنيا هذا طلب الآخرة، وقال معاذ بن كثير صاحب الألفية للصادق (عليه السلام) قد هممت أن أدع السوق وفي يدي شيء قال إذن يسقط رأيك ولا يستعان بك على كل شيء⁽³⁾.

وقد ركز الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) على الإصلاح الاقتصادي بمواضع متعددة.

أولاً: عمارة الأرض للزراعة.

إصلاحها من خلال إيجاد مستلزمات الإعمار وما يحتاجه المزارعون للزراعة، من شق الأنهر ونصب النواضح لسقي الأرض، فالإصلاح هو إعمار الأرض وإحيائها، وإهمالها يعود بالأضرار الفادحة على المزارعين.

ص: 383

1- الفقه: للسيد الشيرازي (كتاب الحكم في الاسلام)، ج 99 ص 99

2- تذكرة الفقهاء، (ط.ق) العلامة الحلي، ج 1 ص 580

3- المصدر نفسه: ص 580

ثم يؤكد الإمام (عليه السلام) في جانب الإصلاح الاقتصادي على تشجيع المزارعين على الزراعة، وحث الإمام (عليه السلام) الحكومة على الاهتمام بالمزارعين والاستجابة لطلباتهم، بما يؤدي إلى إصلاح الأرض وإشاعة العدل وتوثيق العلاقة بين الوالي والرعية.

فإن الأرض لله عزّ وجلّ ثم لمن عمرها(1).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله من أحيا مواتا فهي له(2).

وفي الصحيح عن أبي خالد الكابلي عن الباقر (عليه السلام) قال وجدنا في كتاب علي (عليه السلام) ان الأرض لله نورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين انا وأهل بيتي الذين أورثنا الأرض ونحن المتقون والأرض كلها لنا فمن أحيا أرضا من المسلمين فليعمر وليؤد خراجها إلى الإمام من أهل بيتي وله ما أكل.

اهتم الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) بالمزارعين فأوصى برعايتهم والعناية بهم، وتصديقهم فيما يقولون في شأن الخراج، وإقضاء كل لون من ألوان الضغط عنهم، وهذا قوله (لمالك الاشر): قال عليه السلام:

(فإن شكوا - أي المزارعون - ثقله، أو علة، أو انقطاع شرب أو باله أو إحالة أرض اغتمرها غرف، أو أجحف بها عطش، خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم ولا- يتقلن عليك شيء خففت به المؤونة عنهم، فإنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك مع استجلابك حسن ثنائهم، وتبجحك باستفاضة العدل فيهم معتمد أفضل قوتهم بما ذخرت عندهم من إجحامك لهم، والثقة

ص: 384

1- تذكرة الفقهاء (ط.ق): العلامة الحلي، ج 2 ص 400

2- تذكرة الفقهاء (ط.ق): العلامة الحلي، ج 2، ص 400

منهم بما عودتهم من عدلك عليهم في رفقك بهم، فربما حدث من الأمور ما إذا عولت فيه عليهم من بعد ما احتملوه طيبة أنفسهم فإن العمران محتمل ما حملته، وإنما يؤتى خراب الأرض من إحراز أهلها، وإنما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع - أي جمع الأموال - وسوء ظنهم بالبقاء، وقلة انتفاعهم بالعبء (1).

يحكي هذا المقطع مدى اهتمام الإمام (عليه السلام) بتنمية الاقتصاد القومي الذي يمثله قطاع الفلاحين، فقد أوصى بعمارة الأرض وتوفير ما تحتاجه من المياه، وإصلاحها فيما إذا غمرتها المياه وغير ذلك من وسائل الإصلاح، وقد فقد المسلمون هذه الرعاية أيام الحكم الأموي والعباسي، فقد شكوا والي مصر إلى عاهل الشام سوء حالة المزارعين وطلب تخفيف الخراج عنهم.

وهذا ما شدد عليه الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) إذنبه إلى سياسة سياسة الحكام في جلب الضرائب والخراج وجشعهم، وعدم الاهتمام بإصلاح وإعمار الأرض، مما يؤدي هذا إلى إشاعة الفقر بين الناس، الذي ينعكس سلباً على خراب الأرض.

قال الكندي كتب سليمان بن عبد الملك بن مروان إلى أسامة (احلب الدر حتى ينقطع واحلب الدم حتى ينصرم) (2) قال فذلك أول شدة دخلت على أهل مصر وقد اضطرت المزارعون إلى هجر مزارعهم فراراً من ظلم الولاة وجورهم كما حكى هذا المقطع البر بالمزارعين والإحسان إليهم ومراعاة حياتهم الاقتصادية بما لم يألفوا مثله في الحكومات السابقة.

ص: 385

1- نهج البلاغة خطب الإمام علي عليه السلام، ج 3، ص 98، رسالة 53

2- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: يوسف بن تغري بردي الأتابكي، ج 1

وأبرز ظاهرة ماثلة في هذا المجال هي ظاهرة تعاطي الرشوة.

ويظهر هذا الامر بشكل جليّ في السياسة الاموية التي تلاعبت بأموال الامة وجعلتهم يتحولون إلى فقراء يستعبدهم الطواغيت، بل أن الإمام كشف عن أن المال الحرام الذي يرشي به الطغاة جنود الباطل هو السبب الذي جعل ذلك الجيش الأموي في ضلال تام فيقدم على أعظم جريمة في التاريخ البشري، وذلك حين قال: وأعجب من ذلك طارق طرقنا بملفوفة في وعائها، ومعجونة شنتتها، كأنما عجننت بريق حية أوقينها. فقلت: أصدقة أم نذر أم زكاة؟ وكل ذلك محرم علينا أهل البيت. فقال: لا ولا ذلك، ولكنها هدية، فقلت: هبلتك الهبول! أعن دين الله أتيتني لتخدعني؟ أتخبط أنت أم ذو جنة أم تهجر؟ والله لو أعطيت الأقاليم السبعة با تحت أفلاكها [واسترق لي قطانها مذعنة بأملكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة فألوكها ما قبلت ولا- أردت. وإن دنياكم عندي أهون من ورقة في فم جرادة تقضمها، ما لعلي ونعيم يفنى، ولذة لا تبقى! نعوذ بالله من سبات العقل، وقبح الزلل، وبه نستعين][1].

ومنه: ظهور الطبقة البرجوازية (الاقطاعيين) بسبب السياسة الاموية غير العادلة:

والبرجوازية: طبقة من الناس غارقة في الترف تمتاز بأنها طبقة غير عاملة، تعيش على ما تحققه من أرباح على حساب باقي الناس وباقي الشرائح، ظهرت ونماها الامويون حتى استطاعت ان تسيطر على الناس الفقراء، تغتصب وتأكل حقوقهم، فقد أشار الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) إليها فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان.

ص: 386

قال (عليه السلام): والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الإماء لرددته فإن في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه
أضيق(1)

وقال (عليه السلام): إن الله سبحانه فرض في أموال الاغنياء أقوات الفقراء، فما جاع فقير إلا بما متّع به غني، والله - تعالى جدّه - سائلهم
عن ذلك(2).

ثالثاً: التنمية الإنسانية طريق للتنمية الاقتصادية.

يمكننا ملاحظة توجيهات الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) لمالك الاشر (رضوان الله عليه) في تحقيق التنمية الإنسانية بأبعادها
المختلفة والتي تعتمد على العناصر الآتية:

أولاً: استنهاض الإنسان في ممارسة دوره في الحياة الاجتماعية، من خلال تفجير طاقاته الكامنة، وشق طريقه بالطموح وعلو الهمة قوله
(عليه السلام) لمالك: «ثُمَّ انْظُرْ فِي أُمُورِ عَمَّا لِكَ فَاسْتَعْمِلْهُمْ اخْتِياراً وَ لا تُؤَلِّهِمْ مُحَاباةً وَ اَثَرَةً فَإِنَّهُمَا جِماعٌ مِنْ شُعْبِ الْجَوْرِ وَ الْخِيانَةِ وَ نَوْحٍ
مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجَرِبَةِ وَ الْحَيَاءِ مِنْ أَهْلِ الْبَيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ وَ الْقَدَمِ فِي الْإِسْلَامِ الْمُتَقَدِّمَةِ فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلَاقاً وَ أَصْحُ أَعْرَاضاً وَ أَقَلُّ فِي الْمَطَامِعِ
إِسْرَافاً وَ أَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ نَظراً ثُمَّ»(3).

ثانياً: الدعوة إلى تحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي، والاهتمام بمناطق الضعف والحاجة في المجتمع: في الصحيح عن أمير المؤمنين (عليه
السلام) انه قال لجابر بن عبد الله الانصاري: يا جابر قوام الدين والدنيا بأربعة: عالم مستعمل علمه، و جاهل لا يستتكف أن يتعلم، وجواد لا
يبخل بمعروفه، وفقير لا يبيع آخرته بدنياه، يا

ص: 387

1- نهج البلاغة: خطب الإمام علي ج 1 ص 13

2- نهج البلاغة خطب الإمام علي ج 4 ص 87

3- نهج البلاغة: خطب الإمام علي ج 3 ص 59 رسالة 53

جابر من كثرت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس اليه، فمن قام لله فيها بما يحب عرّضها للدوام والبقاء، ومن لم يقم الله فيها بما يحب عرّضها للزوال والفناء(1).

وقوله (عليه السلام) في ذم الفقر والشر الفاحش.

أما بعد فإن الدنيا مشغلة عن غيرها، ولم يصب صاحبها منها شيئاً إلا فتحت له حرصاً عليها ولها بها، ولن يستغني صاحبها بما نال فيها عما لم يبلغه منها.

ثالثاً: وضع سياسة الدولة في خدمة التنمية الانسانية، وهذا ما تؤكد سياسات الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) مع الامة، وسياسته (عليه السلام) مع الولاة والموظفين، ومن أبرزها علوا وشمولا في مضمونها عهده لمالك ال شتر (رضوان الله عليه) حين ولاه مصر، إذ يؤكد الإمام (عليه السلام) ضمن فقرات العهد على تطبيق العدل والمساواة بين المواطنين، وحفظ حقوقهم المادية والمعنوية وان اختلفت اديانهم وتوجهاتهم: يقول عليه السلام: (وَأَشَدُّ عِزِّ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ وَاللُّطْفَ بِهِمْ وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ أَوْ نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ)(2).

فيتحصل: مما ذكرناه أن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) يهدف من الإصلاح الاجتماعي في عهده المالك ال شتر (رضوان الله عليه) إلى:

1- بناء القيم الإنسانية في المجتمع عن طريق تدوير الفوارق بين الطبقات، الاجتماعية وتحقيق التكافؤ في الفرص والمساواة أمام القانون والعدالة في توزيع أعباء الانفاق العام.

ص: 388

1- تحف العقول، ص 222، بحار الأنوار، ج 75 ص 62، وقريب منه ما في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 19 ص 303؛ جامع

احاديث الشيعة، السيد البروجردي ج 3 ص 540

2- نهج البلاغة، خطب الإمام علي، ج 3، ص 78

2- إشاعة الثقافة الإسلامية الصحيحة بين الناس من خلال ما ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته عليهم السلام من خلال تصحيح المعتقدات الفكرية التي عادة ما يقتبسها الأفراد من مجتمعاتهم من دون التدبر والتأمل في صحتها أو سقمها وبناء الفكر على رؤى عقائدية سماوية إبتداءً من الإيمان بوحداية الله عز وجل ومرورا بالإيمان بالنبوة والإمامة وانتهاء بالمعاد والحساب في يوم القيامة.

3. تعميق الهوية الإسلامية في نفوس الناس من خلال التمسك بالقرآن والعترة الطاهرة.

ص: 389

المبحث الرابع التنمية الاقتصادية

قوله عليه السلام: (وَعِمَارَةٌ بِلَادِهَا).

يتحدث الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المقطع من العهد حول التنمية الاقتصادية، أي العمل على تنمية البلد اقتصادياً، وهو يشمل التنمية الزراعية والصناعية والتجارية وتوفير الخدمات السكنية والصحية والتعليمية وسائر الخدمات الأخرى.

المسألة الأولى: عناصر التنمية الاقتصادية.

أولاً: عمارة الأرض.

العمارة:- من أعمار وأعمار أي جعله أهلاً وعمر المنزل بأهله كان مسكوناً بهم، فهو عامر، وعمر الأرض بني عليها أي وجدتها عامرة(1).

والعمارة تقيض الخراب، وهي تعني جعل الشيء واستعماله على النحو الذي ينتفع به ويحقق الغرض منه، وهي لكل شيء بما يناسبه من ذلك، (فالعمارة تحويل الأرض إلى حال تصلح بها أن يُنتفع من فوائدها المترتبة منها كعمارة الدار للسكنى والمسجد للعبادة والزرع للحث والحديقة لاجتناء فاكهتها والتنزه فيها، والاستعمار هو طلب العمارة بان يطلب من الإنسان أن يجعل الأرض عامرة .

ص: 391

1- ينظر: المعجم الوسيط: ج 2، مادة (عمر)، ص 650

تصلح لأن ينتفع بما يطلب من فوائدها(1).

فالإنسان مأمور من قبل الله سبحانه وتعالى بعمارة الأرض وإصلاحها وإحيائها من دون أن يمنعه مانع، منه قوله تعالى في سورة هود (هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا)(2) أي أذن لكم في عمارتها واستخراج قوتكم منها وجعلكم عمارها وعمر عليه أي أغناه. وقوله تعالى: (وَاسْتَعْمَرَكُمْ) أي أسكنكم فيها ألهمكم عمارتها من الحرث والغرس وحفر الأنهار وغيرها أي خلقكم لعمارته(3).

حيث إن الغرض من وجودنا على هذه الأرض إعمارها فان وظيفة كل فرد هي اعمار واصلاح مايقع في دائرة مسؤوليته، فرب الأسرة يعمر اسرته ومدير المدرسة يعمر طلابه، والقائد يعمر اتباعه ومريديه وهكذا القائد السياسي، لذا جعل أمير المؤمنين (عليه السلام) من الوظائف المهمة للحاكم عمارة الأرض، قال (عليه السلام) في عهده الذي كتبه لمالك الأشتر: (وَلْيَكُنْ نَظْرُكَ فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظْرِكَ فِي اسْتِجْلَابِ الْخَرَاجِ لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ وَمَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ الْبِلَادَ وَأَهْلَكَ الْعِبَادَ وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلَّا قَلِيلاً)، وقال (عليه السلام): (وَلَا يَتَّقَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ خَفَّتْ بِهِ الْمُؤُونَةُ عَنْهُمْ فَإِنَّهُ ذُخْرٌ يَعُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ فِي عِمَارِهِ بِلَادِكَ وَتَرْبِيْنِ وَلَا يَتِيكَ)(4).

ثم أوصاه بالتجار وذوي الصناعات، والفئات الدنيا من المجتمع، قوله (عليه السلام): (وَلَا قِوَامَ لَهُمْ جَمِيعاً إِلَّا بِالتَّجَارِ وَذَوِي الصَّنَاعَاتِ، فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ

ص: 392

1- تفسير الميزان: للعلامة الطباطبائي: ج 12، ص 298

2- سورة هود: 61

3- تفسير الامثل: في ذيل هذه الآية المباركة الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ج 9، ص 56

4- نهج البلاغة خطب الإمام علي ج 3 ص 96: رسالة 53

مَرَّافِقِهِمْ وَيُيَمُّونَهُ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرْفِقِ بِأَيْدِيهِمْ مَا لَا يَبْلُغُهُ رِفْقُ غَيْرِهِمْ ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْمَسْكَنَةِ الَّذِينَ يَحْتَقُّ رِفْدَهُمْ وَمَعُونَتَهُمْ(1)

إن الإمام (عليه السلام) يرى في العمارة أبعد من مجرد الزيادة في الإنتاج أو رفع الدخل القومي، أو مضاعفة متوسط دخل الفرد، لأنها تتطلب عدالة في توزيع الدخل ورفع مستوى المعيشة لجميع أفراد المجتمع، دون استثناء، سواء من كانت لديه القدرة على الكسب، أم من يعجز عنه، إذ تقوم الدولة بضمان مستوى الكفاية لمن يحتاجها.

وعنه (عليه السلام) في حديث أنه قال: إن معاش الخلق خمسة: الإمارة، والعمارة، والتجارة، والإجارة، والصدقات - إلى أن قال: وأما وجه العمارة فقوله تعالى: «هو الذي أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها، فأعلمنا سبحانه أنه قد أمرهم بالعمارة ليكون ذلك سببا لمعاشهم بما يخرج من الأرض من الحب والثمرات وماشاكل مما جعله الله معاش للخلق(2).

ثانياً: العمل رأس المنافع.

العمل هو أساس في توفير رأس المال، فقد حث الاسلام على العمل الحثيث بالكد وبالانتشار في الأرض والمشى في مناكبها والاكل من رزق الله تعالى. كما في قوله تعالى: «هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»(3)، وقال تعالى «وَأَخْرَجُوا مِنْ الْأَرْضِ الَّذِينَ يَنْتَعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ»(4).. والامر المباشر بالعمل بقوله تعالى: «وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ

ص: 393

1- المصدر السابق نفسه

2- الوسائل: ج 19 ص 35 ح 24093 باب 3 من أبواب كتاب المزارعة والمسافاة

3- سورة الملك، 15

4- سورة المزمل، 20

وَالْمُؤْمِنُونَ»(1) كما أبغض الاسلام الكسل والتكاسل كما في الاخبار المتضافرة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (ملعون ملعون من ألقى كلاً على الناس، ملعون ملعون من ضيَّع من يعول)(2)، وقد عرفت أن اللعنة ظاهرة في الحرمة(3)، وقال أبو جعفر عليه السلام (إني أجدني أمقت الرجل يتعذر عليه المكاسب فيستلقي على قفاه ويقول اللهم ارزقني ويدع أن ينتشر في الأرض ويلتمس من فضل الله والذرة تخرج من جحرها تلتمس من رزقها)(4).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: (لا تكسلوا في طلب معاشكم فان ابائنا كانوا يركضون فيها ويطلبونها)(5).

3- ومن الموارد الاخرى للتنمية الاقتصادية العمل التجاري، وقد حث الاسلام على التجارة بشكل اولها اهتماما كبيرا، وفي المتواتر من الاخبار عن آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «البركة عشرة أجزاء تسعة أعشارها في التجارة»(6).

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «تسعة أعشار الرزق في التجارة»(7).

وفي الخبر عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): العبادة سبعون جزءاً أفضلها طلب الحلال(8).

ص: 394

1- سورة التوبة: 105

2- الفقيه ج 2، ص 38 الحديث 167، الوسائل 15: 251 الباب 21 من أبواب النفقات الحديث 5

3- فقه الدولة: مصدر سابق ص 417

4- الوافي: الفيض الكاشاني الجزء: 17 ص 26

5- الوسائل: ج 17 ص 60 ح 21980

6- الوسائل ج 12 ص 3 رقم: 3

7- الكافي ج 5 ص 78 رقم 4

8- الوافي: الفيض الكاشاني ج 17 ص 21

حيث أن هذه الروايات تدل بمفهومها على استحباب العمل وطلبه من منابعه الشرعية، ويعد طريقاً إلى الدين والآخرة: عن أبي عبد الله عليه السلام قال (كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه يحتطب ويستقي ويكنس وكانت فاطمة سلام الله عليها تطحن وتعجن وتخبز(1)).

ثم قرنت الأحاديث الشريفة العمل وكسب الحلال بمثابة الجهاد في سبيل الله عز وجل، فعنه (عليه السلام): «الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله»(2).

4- ومن موارد التنمية الاقتصادية التي حث الاسلام المسلمين العمل عليها وتوفير رأس المال، الجانب الزراعي.

تعد الزراعة عنصراً مهماً في التنمية الاقتصادية سبباً للاكتفاء الذاتي للبلد والمنصوص في تشريعات الإسلام، إن الباري عز وجل قد خلق الأرض للإنسان وجعل ما فيها له كما في الآيات الشريفة، منها ما ورد في سورة البقرة قوله تعالى: «هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ»(3).

وفي الوقت نفسه أباح إحياء الأرض وحياسة المباحات فيها، وندب إلى الزراعة(4).

وعن مولانا جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام): «ازرعوا واغرسوا، فلا- والله ما عمل الناس عملاً أحلّ ولا أطيب منه، والله لنزرعنّ الزرع ولنغرسنّ غرس النخل بعد خروج الدجال»(5).

ص: 395

1- الوافي: الفيض الكاشاني ج 17، ص 77

2- الكافي 5: 88 / 1 وفيه عن أبي عبد الله عليه السلام

3- سورة البقرة: 29

4- فقه الدولة: للصفار ص 473

5- الكافي 5: 260 / 3، التهذيب 6: 384 - 385 / 1139

وسأل هارون بن يزيد الواسطي الباقِر (عليه السلام) عن الفلاحين، فقال: هم الزارعون كنوز الله في أرضه، وما في الأعمال شيء أحب إلى الله من الزراعة، وما بعث الله نبياً إلا زارعاً(1).

كما حثت السنة الشريفة على المبادئ والقيم التي تخدم التنمية عندما تؤكد قيمة العمل كأساس للملكية فعن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه [واله] وسلم قال: (ما من مسلم غرس غرساً فأكل منه إنسان أو دابة إلا كان له صدقة)(2).

عن النبي صلى الله عليه [اله] وسلم قال: (ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن دم يأكل من عمل يده وأن نبي الله داود صلى الله عليه وسلم كان يأكل من عمل يده)(3).

قال تعالى: «فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»(4).

5- الوسطية في الانفاق:- الوسطية تعني الطريق الوسط المعتدل بين حدي الإفراط والتفريط لذا فقد جعلها الإسلام خاصية من خصائصه، فتحقيق العدالة الاقتصادية لا يتم إلا إذا ابتعدت الدولة والمجتمع عن الإسراف والتبذير لأنهما يوجبان إهدار الطاقات وتضييع حقوق الآخرين(5)، ولقد نهى الإسلام عن صرف المال بغير حق، كالإسراف والتبذير، قال الله تعالى في مورد الإسراف: «يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ

ص: 396

1- التهذيب 6: 384 / 1138

2- صحيح البخاري: البخاري ج 7 ص 78

3- المجموعة النووي ج 9 ص 59

4- سورة الجمعة: 10

5- فقه الدولة: ج 2 ص 477

الْمُسْرِفِينَ»(1) وقد نهى الباري عز وجل عن التبذير بقوله تعالى: «وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا»(2).

ومن مصاديق الإسراف والتبذير الترف أو السفه، إذ وصف الله سبحانه وتعالى المترفين بقوله تعالى: «فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ»(3) فالترف والبذخ وصرف المال في غير محله يثير الحقد والبغضاء بين الناس وقد ربط الإسلام بين الترف والفساد بقوله تعالى: «وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا»(4)، ولكن هذا لا يعني أن الإسلام يريد من الفرد المسلم أن يعيش عيشة المشقة. قال تعالى: «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ»(5).

ثم يؤكد الاسلام على الكسب الحلال والابتعاد عن الشبهات، قال تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ»(6)، وقال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنَّ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ»(7).

ص: 397

1- سورة الأعراف: 31

2- سورة الاسراء: 26 27

3- سورة هود: 116

4- سورة الاسراء: 16

5- سورة الاعراف: 32

6- سورة البقرة: 168

7- سورة البقرة 172

والانفاق يعتبر من المقومات الأساسية لعملية التنمية الاقتصادية؛ لأنه إنماء للثروة ودفع لعجلة النمو الاقتصادي و مضاعفته. قال تعالى: «مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَدًّا مِمَّا بَيْنَ يَدَيْ نَابِلٍ فِي كَلِّ سُدِّ نَبْلَةٍ مِائَةِ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ»(1)، ولقد حث الاسلام على الانفاق لدوره في اعادة توزيع الدخل قال تعالى: «وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ»(2).

والمعنى: لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة يعني لا تنفقوا من حرام فيرد عليكم فتهلكوا، فمدلول هذه الآية أن الانفاق في سبيل الله سبب لنجاة الأمة من الهلاك(3).

6- العدالة الاجتماعية:- وهي من المبادئ وأصل من أصول التعايش السلمي في سياسة كل دولة، وهي من الاهداف العليا في النظام الاقتصادي الاسلامي وتتم عن طريق تحقيق المساواة بين الناس، وهو أصل حاكم على كل خطته و مقرراته وتعاليمه، فضلاً عن كونها قضية جوهرية يختلف فيها الإسلام مع سائر الأنظمة الاقتصادية الأخرى في العالم(4)، فمن الواضح ان جميع المؤشرات تدل على انعدام العدالة الاجتماعية في البلدان الرأسمالية، وسببها في الاصل التوزيع غير العادل للثروة الاجتماعية بين الافراد. حيث تقع نصف كمية الارصدة والعقارات ووسائل الانتاج في حيازة مجموعة قليلة من الافراد تشكل واحداً بالمائة من نسبة السكان(5). فالدولة في الاسلام معنية بتحقيق العدالة الاجتماعية في المجتمع الإسلامي، ولتحقيق مبدأ العدالة الاجتماعية يجب ان يتضامن كل من

ص: 398

1- سورة البقرة 261

2- سورة البقرة 195

3- تفسير القرطبي: ج 2، ص 363

4- فقه الدولة: ج 2، ص 476

5- العدالة الاجتماعية وضوابط توزيع الثروة في الإسلام، د. زهير الاعرجي ص 63

الدولة والأفراد في ذلك، وهذا لا يتم إلا من خلال توزيع عادل للثروات على كافة أفراد المجتمع، فضلاً عن أن الإسلام ينهى عن أي تمييز واستثناء بين أفراد المجتمع الاسلامي، ومن هنا لا تختص المنابع الطبيعية التي أباحها الله سبحانه وتعالى للناس وشجعهم على العمل والكسب والتسابق إلى استثمارها وتنميتها لا تختص بفئة دون أخرى، وهذا ما نجده واضحاً في منهج الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) في العدالة الاجتماعية في الدولة الاسلامية

ومن مظاهر عدالته (عليه السلام) تقده ومعارضته للتغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي طرأت على عهد عثمان، ومطالبة الامام (عليه السلام) في بالعدالة والمساواة في الحقوق، يقول عليه السلام: (والذي بعثه بالحق لتبليبن بلبلة ولتغريبن غريبة حتى يعود أسفلكم أعلاكم وأعلاكم أسفلكم وليسبقن سابقون كانوا قصروا وليقصرن سابقون كانوا سبقوا والله ما كتمت وشمة ولا كذبت كذبة ولقد نبئت بهذا المقام وهذا اليوم)(1)، ومن كلام له عليه السلام: (إن بني أمية ليفوقوني تراث محمد صلى الله عليه وآله تفويقا، والله لئن بقيت لهم لأنفضنهم نفص اللحام الودام التربة)(2). أي لأزيلهم كما يزيل عامل اللحام التراب عن الحديدية المحماة بوساطة النار.

وقال أيضاً: اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنرد المعالم من دينك ونظهر الاصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك(3).

ص: 399

1- الوافي: الفيض الكاشاني، ج 2، ص 431

2- بحار الأنوار: العلامة المجلسي ج 31 ص 469

3- نهج البلاغه، خطب الإمام علي ج 2 ص 13 خطبة 131

ومن كلام له عليه السلام: (لم تكن بيعتكم إياي فلتة، وليس أمري وأمركم واحدا، إني أريدكم لله وأنتم تريدونني لأنفسكم. أيها الناس، أعينوني على أنفسكم، وأيم الله لأنصفن المظلوم من ظالمه، ولأقودن الظالم بخزامتة، حتى أوردته منهل الحق وإن كان كارها)(1).

ومن مظاهر عدله (عليه السلام) انتصاره للمظلوم وإرجاع الحقوق المغصوبة التي ضيعها بنو أمية، فعندما بايع الناس أمير المؤمنين (عليه السلام) بالخلافة، أعلن (عليه السلام) الثورة الكبرى ضد الظلم، وضد الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، فتمكن الإمام (عليه السلام) من رد الأراضي التي اقتطعها عثمان لولاته من بيت مال المسلمين وأعلن إن المال لله فألغى التمايز الطبقي في العطاء وقدر توزيعه بالسوية.

تعد وصيته (عليه السلام) إلي مالك الاشر النخعي (رضوان الله عليه) واليه على مصر من المظاهر العظيمة في الاصلاح الشامل حيث تتضمن الكثير من التوجيهات والتعليمات التي تتعلق بالشؤون الدنيوية والأخروية، فمنها وصف للطبقات والفئات المكونة للمجتمع المصري، والدور الذي يؤديه كل منها في حياة البلاد ومما جاء فيه: (وَاعْلَمَ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لَا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ وَلَا غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ فَمِنْهَا جُنُودُ اللَّهِ وَمِنْهَا كُتَّابُ الْعَامَّةِ وَالْحَاصَّةِ وَمِنْهَا قُضَاةُ الْعَدْلِ وَمِنْهَا عُمَّالُ الْأَنْصَافِ وَالرِّفْقِ وَمِنْهَا أَهْلُ الْجَزْيَةِ وَالْخَرَاجِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَمُسْلِمَةِ النَّاسِ وَمِنْهَا التُّجَّارُ وَأَهْلُ الصَّنَاعَاتِ وَمِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْمَسْكِنَةِ وَكُلٌّ قَدْ سَمَى اللَّهُ لَهُ سَهْمَهُ)(2).

ص: 400

1- المصدر السابق

2- المصدر السابق

وفي احتجاج أمير المؤمنين (عليه السلام) على عاصم بن زياد حين لبس العباء وترك الملاء وشكاه أخوه الربيع بن زياد إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قد غم أهله وأحزن ولده بذلك، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): عليّ بعاصم بن زياد فجيء به، فلما رآه عبس في وجهه، فقال له: أما استحييت من أهلك؟ أما رحمت ولدك؟ أترى الله أحل لك الطيبات وهو يكره أخذك منها، أنت أهون على الله من ذلك أو ليس الله يقول (وَالأَرْضُ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ فِيهَا فَكَيْهَيِّ وَالتَّخْلُ ذَاتُ الأَكْمَامِ) أوليس الله يقول (مَرَجَ البَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ) إلى قوله (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالمَرْجَانُ فَبالله لا بتذال نعم الله بالفعال أحب إليه من ابتذاله لها بالمقال وقد قال الله عز وجل (أَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ)، فقال عاصم: يا أمير المؤمنين فعلى ما اقتصررت في مطعمك على الجشوبة وفي ملبسك على الخشونة؟ فقال: (ويحك إن الله عز وجل فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعة الناس كيلا يتبغ بالفقير فقره فألقى عاصم بن زياد العباء ولبس الملاء⁽¹⁾، إشارة إلى مراعاة الجانب الاقتصادي للناس ويختص بالطبقة السفلى (الفقراء)

يؤكد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إن انحياز الحاكم إلى طبقة معينة أمر مشين، وهو يأمر ولاته وعماله بأن يحذوا حذوه. وفيما يأتي بعض ما تحدث به (عليه السلام): (والله لو لقيتهم وحدي وهم وأهل الأرض ما استوحشت منهم وما لا باليت ولكن أسف يريني وجزع يعتريني من أن يلي هذه الأمة فجارها وسفهاؤها فيتخذون مال الله دولا وكتاب الله دغلا والفاستين حزبا والصالحين حزبا)⁽²⁾.

خلق الله الأرض وما عليها للناس كافة، كي يتمتعوا بخيراتها، ويسعدوا في معيشتهم عليها، ومن عجز عن ذلك فقد غبن و ظلم، يقول عليه السلام:

ص: 401

1- الوافي: الفيض الكاشاني ج3 ص658

2- نهج السعادة مستدرك نهج البلاغة، الشيخ المحمودي ج5 ص250؛ بحار الانوار، العلامة المجلسي، ج30 ص25

«الكيس من كان يومه خيراً من أمسه»(1) «ومن اعتدل يومه فهو مغبون»(2): أي يجب أن يكون المؤمن في كل يوم في زيادة من العلم وإصلاح العمل بالإخلاص والحضور والقرب إلى الله تعالى لا في الكمية فإنه غير ممكن، والكيفية لا تنتهي، فإذا كان رأس ماله العمر وكان يمكنه الترقى فإذا لم يفعل فمغبون ضيع رأس ماله خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين.

وعنه (عليه السلام) قال: (الفقر هو الموت الأكبر)(3)، وقال: (التقدير نصف العيش)(4).

ومن وصيئة (عليه السلام) لمالك الاشتهر (رضوان الله عليه): ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا- حيلة لهم من المساكين والمحتاجين وأهل البؤس والزمنى...، واجعل لهم قسماً من بيت مالك، وقسماً من غلات صوافي الاسلام في كل بلد، فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى.

فيتحصل: إن العدالة الاجتماعية تقتضي أن تكون الأموال والأراضي والضياح وجميع مصادر الثروة ملك الجماعة، توزع على الأفراد بقدر الإستحقاق والحاجة بعد أن تتاح الفرصة للعمل لجميع هؤلاء، فقد رفض أمير المؤمنين عليه السلام إعطاء عبد الله بن زمعة، لأنه لم يُشارك في العمل قائلاً له: (إن هذا المال ليس لي ولا لك وإنما هو في المسلمين و جلب أسيافهم، فإن شركتهم في حربهم كان لك مثل حظهم والا فجناة أيديهم لا تكون لغير أفواههم)(5).

ص: 402

1- عيون الحكم والمواعظ: علي بن محمد الليثي الواسطي، ص 54

2- روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه: محمد تقي المجلسي (الأول)، ج 13 ص 29

3- الخصال: الشيخ الصدوق، ص 620

4- الوافي، الفيض الكاشاني، ج 2 ص 172؛ تحف العقول عن آل الرسول، ابن شعبة الحراني، ص 111

5- نهج البلاغة خطب الإمام علي، ج 2 ص 229، خطة 232

وقال: (وإن النهر لمن عمله دون من كرهه، ولأن يعمروا ويقووا أحب إلي من أن يضعفوا والسلام)(1).

وقوله (عليه السلام) للأشتر (رضوان الله عليه): (ثم اعرف لكل امرئ منهم ما أبلي ولا تضيفن بلاء امرئ الى غيره... ولا يدعونك شرفُ امرئ الى أن تعظم من بلائه ما كان صغيراً ولا ضعة امرئ الى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيماً)(2).

اذن: إن منهج الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) المتصل بالعدالة الاجتماعية يصلح لكل المجتمعات التي يعاني أهلها من الفقر والحرمان، وإن الحلول المستوحاة من ذلك المنهج حول ملكية الأرض أو توزيع الانتاج والثروة وتكافؤ الفرص.. وغيرها، هي حلول تصدق على وسائل الانتاج كافة بمعنى أن تكون ملكيتها مشتركة بين الناس، ومنافعها موزعة حسب الجهود المبذولة فيها، لأن في كل ذلك صلاح وخير للناس كافة(3).

7- الاخلاق:- من الواضح إن العنصر الاخلاقي من الاصول الاساسية المطلوبة في النشاط الاقتصادي في النظام الإسلامي، لأنه خير وسيلة لتحرير الإنسان من الشهوة وطغيانها أولاً، ثم تحقيق العدالة الاجتماعية التي ينشدها ثانياً(4).

و تحقيقاً لهذه الغاية الفريدة فقد وضع الإسلام للنشاط الاقتصادي آداباً وقيماً تهدف إلى ربطه بالأخلاق الحميدة، مما يحقق له الفاعلية الإيجابية والحركة الصحيحة.

ص: 403

1- نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: الشيخ المحمودي، ج5 ص260

2- نهج البلاغة خطب الإمام علي ج3 ص86 رسالة53؛ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج17 ص52

3- العدالة الاجتماعية نهج البامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، شبكة الانترنت العالمية

4- فقه الدولة ج2، ص478

المسألة الثانية: الآداب والقيم الأخلاقية للنشاط الاقتصادي.

أولاً: السعي من أجل الحصول على السعادة.

قال الله تعالى «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»(1) تشير الآية المباركة إلى العمل الصالح الذي هو مفتاح السعادة، فالعمل الصالح والايمان إذا اجتمعا تحققت الحياة الطيبة (السعادة). إن طلب الدنيا يجب أن يكون لأجل الآخرة، فتكون الآخرة هي المقصد والغاية، وأما الدنيا فهي طريق للآخرة، الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته لمالك (رضوان الله عليه) يقرن العمل الصالح وإمساك النفس عن الهوى أفضل الذخائر للآخرة، يقول عليه السلام: (فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ فَأَمْلِكْ هَوَاكَ وَشَحِّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الْإِنْصَافُ مِنْهَا فَيَمَا أَحَبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ).

ويقول (عليه السلام): (خذوا من ممركم لممركم)(2)، إن غرض الإمام من هذه الخطبة وأمثالها - أن يكون للإنسان من نفسه على نفسه حسيب ورفيب فيما يفعل أو يدع، لأن هذا الرفيب أو هذا الشعور بالمسؤولية هو شعلة مباركة تهدي التي هي أسلم وأقوم.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (ليس الغني عن كثرة المال ولكن الغني غني النفس)(3).

ص: 404

1- سورة النحل: 97

2- نهج البلاغة: خ 201؛ في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنبة، ج 3، ص 312

3- المجموعة النووي، ج 13، ص 271

ليس من مات فاستراح بميتٍ *** إنما الميتُ ميتُ الأحياء(1)

فسرّ السعادة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بكلماته النورانية حيث قال: من بات آمناً في سربه، معافني في بدنه، عنده قوت يومه، فقد حيزت له الدنيا بحذاقها(2).

من أصبح وأمسى معافني في بدنه، آمناً في سربه، عنده قوت يومه، فإن كانت عنده الرابعة فقد تمت عليه النعمة في الدنيا والآخرة وهو الإسلام(3).

إنه تلخيص بليغ لأسباب السعادة، أمن، عافية، قوت يوم، وتبقى الفجوة بين الامتلاك، والرضا، بين ما لدى الإنسان، وما يريده.

ثانياً: الاحسان للخالق جل وعلا: من الواضح إن من المعايير الخلقية في النشاطات الاقتصادية هو الإحسان إلى الباري عز وجل، قال تعالى «وَاتَّبِعْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ»(4). حيث إن الإنسان يرجو دائماً نعم الله واحسانه و خيره ولطفه، وينتظر منه كل شيء. فبمثل هذه الحال كيف يمكن له التغاضي عن طلب الآخرين الصريح أو لسان حالهم.. وكيف لا يلتفت إليهم وبتعبير آخر: كما أن الله تفضل عليك وأحسن، فأحسن أنت إلى الناس، يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في عهدة لمالك: «(وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ

ص: 405

1- المصدر السابق: ص 172

2- المبسوط: السرخسي، ج 30، ص 256

3- الوافي، الفيض الكاشاني، ج 4، ص 402

4- القصص: 77

يَأْذَعَى إِلَى حُسْنِ ظَنِّ رَاعٍ بِرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، وَتَخْفِيفِهِ الْمُنُونَاتِ عَلَيْهِمْ وَتَرْكِ اسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قَبْلَهُمْ، فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِرَعِيَّتِكَ فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَبَ بَأْسٍ طَوِيلًا وَإِنْ أَحَقَّ مِنْ حُسْنِ ظَنِّكَ بِهِ لَمَنْ حَسَنَ بِلَاؤُكَ عِنْدَهُ وَ إِنْ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بِلَاؤُكَ عِنْدَهُ»، «مَنْ أَوْثِقَ فُرْصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ لِيَمْحَقَ مَا يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ الْمُحْسِنِينَ وَإِيَّاكَ وَالْمَنْ عَلَي رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ أَوْ التَّزْيِيدِ فِيهَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ أَوْ أَنْ تَعِدَهُمْ فَتَتَّبِعَ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ فَإِنَّ الْمَنْ يُبْطِلُ الْإِحْسَانَ» (1)، ويقول الإمام علي (عليه السلام): «رَأْسُ الْإِيمَانِ الْإِحْسَانُ إِلَى النَّاسِ» (2).

ثالثاً: تجنب الاستعلاء والفساد في الارض: إن السعي وراء جمع الثروة وعدم إنفاقها في موارد الشرعية، تكون موضع إفساد في الأرض لأنهما يغرران بالانسان، كما في قوله تعالى: «وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ» (3)، وقوله تعالى: «إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَاجِفٌ» (4) أن رآه استغنى» (4).

ومنه قول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) لمالك (رضوان الله عليه): «وَأَيُّكَ وَالْإِسْتِثَارَ بِمَا النَّاسُ فِيهِ أُسُوءٌ» (5).

رابعاً: سياسة الإقتار (التقشف): - من العناصر الأساسية في النشاط الاقتصادي الاسلامي هو ايجاد عامل الاقتار الذي يسمى بمصطلح اليوم سياسة التقشف

ص: 406

- 1- نهج البلاغة: خطب الإمام علي عليه السلام، ج3، ص89، رسالة 53
- 2- عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، ص264
- 3- القصص: 77
- 4- العلق: 7
- 5- نهج البلاغة: خطب الإمام علي عليه السلام، ج3، ص89، رسالة 53

في الدولة، الرامي إلى خفض الانفاق وتقليص الخدمات العامة، وتهدف سياسة التقشف الى توفير الموارد المادية من خلال العجز المالي الذي يستهدف موازنة الدولة، فتلجأ الحكومات في زيادة موارد الضرائب.

وتعتمد الدولة في سياسة الإقتار على عاملين أساسيين؛ العامل الاول: مقاطعة الاستيراد العام للمنتوجات والبضائع الاجنبية، والاكتفاء بالبضائع والمنتوجات الداخلية، العامل الثاني إتباع سياسة الاعتماد على النفس ما يسمى بالمصطلح اليوم بالاكفاء الذاتي، من خلال الأنشطة الزراعية والصناعية.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (إن الله إذا أراد بعبدٍ خيراً ألهمه الاقتصاد، وحسن التدبير، وجنبه سوء التدبير والإسراف)(1).

وقال (عليه السلام): (حلوا أنفسكم بالعفاف وتجنبوا التبذير والإسراف)(2).

وقال (عليه السلام): (من لم يحسن الاقتصاد أهلكه الإسراف)(3).

خامساً: التنافس والرغبة في العمل: من العناصر الاقتصادية الأساسية في بناء الدولة ومؤسساتها هو عنصر التنافس.

وهو لغة: أصله من الشيء النفيس ونافست في الشيء منافسة إذا رغبت فيه على وجه المبادرات(4)، فهو التسابق والتغالب وأصله من المنافسة وهي مجاهدة النفس للتشبه بالأفاضل واللاحاق بهم كما قال الراغب.

ص: 407

1- غرر الحكم ودرر الكلم: ص353، ق5، ب1، ف1 أهمية الاقتصاد، ح 8057

2- المصدر السابق: ص359 ق5 ب2 ف1 ح 8123

3- غرر الحكم ودرر الكلم: ص354 ق5 ب1 ف1 آثار القصة وفوائده ح 8074

4- لسان العرب: ابن منظور، ح6، ص233؛ المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص 501

اصطلاحاً: المسارعة والمبادرة والمسابقة في الشيء. والله تعالى يدعونا إلى الإسراع إلى كل خير «وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ» (1)، قال تعالى: «وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ» (2)، وقال تعالى «سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» (3) وقدم المغفرة على الجنة لأن المغفرة سلامة والجنة غنيمة، والسلامة قبل الغنيمة تطلب.

ومن الواضح أن التنافس يوجب تفتح المواهب ويحرك القابليات التي من شأنها تقدم الاقتصاد وازدهار الحياة، ولذلك فإن الإسلام فتح المجالات أمام المتنافسين لأجل التنافس (4).

وروى عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: «من سبق إلى ما لم يسبقه إليه مسلم فهو أحق به» (5).

وعن علي (عليه السلام): «عادي الأرض لله ولرسوله ثم هي لكم مني» (6).

إن هذه النصوص تدل على أنه إذا كان الشيء مشتركاً بين الجميع وسبق إليه أحدهم، فيأخذ حينئذ مقدار ما يتصرف فيه وإن زاد على ما يعتاد لمثله من التصرفات، ولا يجوز للغير التصرف به إلا بعد الاطمئنان بالأذن والرضا منه على

ص: 408

1- المطففين: 21

2- آل عمران: 133

3- الحديد: 21

4- فقه الدولة: ج 2، ص 475

5- المبسوط: الشيخ الطوسي، ج 3 ص 268

6- عوالي اللئالي: ج 3 باب إحياء الموات، ص 481، الحديث 5 ولاحظ ما علق عليه

سادساً - المعاملات الشرعية في الاسواق: - إن وفرة الإنتاج تتوقف على تبادل المنتجات في الأسواق (العرض والطلب). وأهمية التبادل في الاسلام تأتي نتيجة لأن الله تعالى جعل الناس مختلفين في المواهب والقدرات والاستعدادات فقال تعالى: «وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ السِّنِّكُمْ وَالْوَالِدِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ»(2). كذلك فإن الخالق جل شأنه خلق الموارد الطبيعية مختلفة كما ونوعاً من مكان إلى آخر قال تعالى «وَمَا ذَرَأْنَا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ»(3).

ومن هنا نجد أهمية التبادل في الاقتصاد الإسلامي القائم أساساً من اجل معالجة ظاهرة الاختلاف في المواهب والقدرات، والاختلاف في الموارد، لتحقيق التكامل والتعاون بين المجتمع فتتوفر السلع والخدمات وتتسع الاسواق، فالتبادل يزيد المال وينميهِ. ومن وصية الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) لمالك الاشر قال: «ثُمَّ اسْتَوْصِ بِالْتَّجَارِ وَذَوِي الصَّنَاعَاتِ وَأَوْصِ بِهِمْ خَيْراً الْمُقِيمِ مِنْهُمْ وَ الْمُضْطَرِّبِ بِمَالِهِ وَ الْمُتَرَفِّقِ بِبَيْدَنِهِ فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ الْمَدَافِعِ وَأَسَدُ بَابِ الْمَرَافِقِ وَ جَلَابِهَا مِنَ الْمَبَاعِدِ وَ الْمَطَارِحِ فِي بَرِّكَ وَ بَحْرِكَ وَ سَهْلِكَ وَ جَبَلِكَ وَ حَيْثُ لَا يَلْتَمُّ النَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا وَ لَا يَجْتَرُّونَ عَلَيْهَا فَإِنَّهُمْ سَلْمٌ لَا تُخَافُ بِأَقْتَهُ وَ صُلْحٌ لَا تُخْشَى غَائِلَتُهُ».

ص: 409

1- فقه الدولة: ج2، ص 477

2- الروم: 22

3- النحل: 13

فالسوق مكان التبادل (المعاملات)، أي مكان التقاء البائعين والمشتريين. ويتم نشاط تبادل المنافع بين أفراد المجتمع من خلال السوق الإسلامية التي تقوم على أساس آليات المنافسة الصافية التي تؤدي إلى زيادة الإنتاج وتحسين نوعية المنتجات من خلال المعاملات المالية الشرعية العادلة⁽¹⁾.

هذا آخر ما أردنا إيراده في بحث: (الإدارة ونظام الحكم في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الاشر (رضوان الله عليه) دراسة تحليلية، ورجئ التفاصيل الأخرى إلى الكتب المفصلة في هذا المجال.

ص: 410

1- فقه الدولة: ج 2 ص 480

إن وثيقة العهد بمضامينها العالية والرصينة قد حققت موضوع النظرية الإسلامية في الإدارة والقيادة، وأوجزت الفهم الإسلامي لها، حيث سلطت الأضواء على العديد من الملامح الأساسية لموضوع الإدارة والقيادة، في الأصول والمباني والسياسات والوسائل، والأخلاق المطلوبة في عملية الإدارة والقيادة والتي اجتمعت بجزئياتها في هذا العهد المبارك وفي هذه الوثيقة التاريخية المهمة.

ثم يؤكد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) على أن الإدارة والقيادة لن تنحصر بشخص أو فئة معينة، ولا يمكن اختزالها في موقع واحد، إنما هي منظومة من الأدوار والممارسات التي تبدأ من الفرد البسيط في المجتمع في ممارساته وأدواره وصولاً إلى الأدوار المتقدمة التي يمارسها القادة في سلسلة المراتب القيادية.

وتعد هذه الوثيقة الإسلامية الشريفة درساً كبيراً قدمه الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) للأمة الإسلامية وغيرها، بغية أن يكون محطة للانطلاق في المسارات الصحيحة، ومثار الاهتمام والدراسة والمراجعة

ومن خلال هذه الدراسة التحليلية المستفيضة توصل الباحث إلى أهم الاستنتاجات الرئيسية والأساسية ومن أهمها:

1- إبراز الفكر الإداري والقيادي للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) من خلال رسالة العهد التي خطها لواليه على مصر الصحابي الجليل مالك الأشتر (رضوان الله عليه).

2- تم تسليط الضوء على الاسس والمبادئ الادارية والقيادية في العهد.

3- التأكيد على المعايير الخلقية التي يتسم بها المسؤول الاداري في المنظومة الادارية والقيادية.

4- ابراز عنصر العدالة والمساواة في نظام الحكم.

5- التأكيد على عامل اللين والعطف والشفقة والتعامل الحسن في المنظومة الادارية.

6- التأكيد على المبادئ العامة للحكم الاسلامي، المتمثلة بالسياسة المالية والسياسة الاجتماعية والسياسة الحربية.

7- يوصي الإمام (عليه السلام) ان الادارة في الرؤية الاسلامية يجب ان لا تكون خاضعة للتأثيرات النفسية وجموحاتها بل لا بد ان يكون هناك تحكيم وسيطرة وتطبيع.

8- يعتمد الإمام علي (عليه السلام) في سياسته الادارية والقيادية على مبدأ وضع الرجل المناسب في المكان المناسب من ذوي الاختصاص والكفاءات والامكانيات العلمية والتخلي عن الأطر الشخصية والمحسوبية على مستوى جميع مرافق الدولة.

9- يؤكد الإمام عليه السلام على أنها اولى الخطوات الأساسية وأهمها في العمل الاداري.

ص: 412

- 10- يوصي الإمام علي السلام المسؤولين والولاة والحكام في المنظومة الإدارية ان يكونوا منصفين مع الناس لكي يحققوا الاهداف.
- 11- يؤكد الإمام من خلال رسالة العهد ومضمونها على محورية العلاقة بين الأمة والحاكم.
- 12- يحذر الإمام عليه السلام المسؤول في المنظومة الادارية من اتباع سياسة تتبع الاخطاء وينبغي ستر العيوب والقيام بالعملية الاصلاحية فيما لو ظهرت الاخطاء والعيوب.
- 13- ضرورة تحلي المسؤول ببعض سعة الصدر، أي يجب أن يكون حليماً ومتسامحاً.
- 14- يحذر الإمام عليه السلام من ظهور الآثار الوضعية في الكشف عن اخطاء الناس وحسب القاعدة كما تدين تدان.
- 15- يؤكد الإمام عليه السلام على مبدأ المشورة في الأمور ويحذر من ادخال اضافات ثلاث (البخيل والحريص والجبان).
- 16- يوصي الإمام عليه السلام بالالتزام بمبدأ توزيع الادوار والمهام الادارية بالطريقة السليمة والصحية.
- 17- يؤكد الامام عليه السلام في رسالة العهد على عنصر النزاهة في العمل الاداري وينبغي على المسؤول في المنظومة الادارية ان يكون نزيهاً.
- 18- يوصي الإمام عليه السلام بتشخيص العوارض السلبية والامراض الاخلاقية المترتبة عبر المنصب وكرسي الحكم.

19- يوصي الإمام عليه السلام الحاكم والوالي بالاهتمام بتدبير الامور وتوجيه الناس الى مسارات العمل الصحيحة ونحو الاهداف السليمة.

20- يشير الإمام من خلال رسالة العهد الى ان نجاح الحاكم العادل والمقتدر الذي تمتد سيطرته على الناس و استمالة قلوبهم وعواطفهم ناتج من حسن التعامل مع الرعية بلغة الرحمة والمحبة واللطف

21- يؤكد الإمام عبر فقرات العهد على المعيار العام في التقييم العسكري للانسانية في الفهم الاسلامي عبر مبدأ الاخوة ومن خلال محورية تكافؤ الفرص بين المواطنين.

22- يؤكد الإمام (عليه السلام) على أن ثقة الحاكم بالامة يجب ان تكون وفق المعايير المنطقية والسلوكيات العملية المبنية على الاسس العلمية والاخلاقية.

من خلال هذا البحث قد تعرفنا على المبادئ الادارية الاساسية في عهد الامام (عليه السلام) لمالك الاشر (رضوان الله عليه)، المتمثلة بالخصائص والعناصر والواجبات والمهام الملقاة على عاتق المدير والتي يجب تحققها في المنظومة الادارية.

ومما سبق يتبين أن هذا الموضوع بالغ الأهمية، وينبغي أن تتوجه إليه الجهود ويحظى بالعناية والاهتمام من خلال الدراسات والأبحاث وينبغي أخذ الدروس والعبر التي تقيّد الفرد والمجتمع، وبهذا أكون قد انتهيت من كتابة هذا البحث الموسوم (الإدارة ونظام الحكم في عهد الامام علي (عليه السلام) لمالك الاشر (رضوان الله عليه) دراسة تحليلية، وقد كانت رحلة

جاهدة للارتقاء بدرجات العقل ومعراج الافكار فما هذا إلا جهد قليل، فإنني لا ادعي لهذا العمل الكمال، فالنقص من طبيعة البشر، ولربما قد فاتني الكثير ولكنني أسأل الله عز وجل أن قد وفقت فيه لخدمة مولاي أمير المؤمنين سلام الله عليه.. وأن يكون هذا العمل بداية لإبراز ميدان مهم من ميادين التقدم العلمي والحضاري في المجال الإداري، والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

في السابع والعشرين من شهر ربيع الاول من عام 1437 هـ، الموافق 2016/12/27

ص: 415

1- القرآن الكريم

2- الصحيفة السجادية: للأمام زين العابدين (عليه السلام)، تحقيق: حاج عبد الرحيم أفشاري زنجاني: سنة الطبع: 1404 - 1363 ش المطبعة: مؤسسة النشر الإسلامي الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

3- الشرح الكبير: عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي شمس الدين أبو الفرج، المحقق دار المنار.

4- الصحاح: إسماعيل بن حماد الجوهري، المحقق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين سنة النشر: 1990.

5- اخلاقيات الامام علي أمير المؤمنين (عليه السلام): السيد هادي المدرسي، الطبعة الاولى، 1431هـ، 2010م، مؤسسة الباقر للطباعة والنشر

6- الكافي: للشيخ محمد بن يعقوب الكليني (ت. 329هـ) الكافي في الفقه: تقي الدين ابى الصلاح الحلبي، الوفاة: 447 المجموعة: فقه الشيعة الى القرن الثامن تحقيق: رضا أستاذي، الناشر: مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي (ع) العامة - اصفهان.

7- الاغانى: أبو الفرج علي بن الحسين القرشي الأصبهاني أو الأصفهاني

(284هـ - 897م)، مطبعة دار صادر بيروت، سنة الطبع سنة 1952 - 1994م.

8- المعيار والموازنة: الشيخ الاقدم أبي جعفر الإسكافي محمد بن عبد الله المعتزلي، دار محمودي للطبع والنشر، 1981م.

9- المستدرک علی الصحیحین المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الظبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفي: 405هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، 1411 - 1990.

10- الامثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي الناشر: مدرسة الامام علي بن ابي طالب عليه السلام الطبعة: الاولى التصحيح الثالث 1426.

11- اصول الكافي: ثقة الاسلام الكليني الناشر: دار المرتضى للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت لبنان الطبعة: الاولى 2005.

12- أسد الغابة في معرفة الصحابة: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد، المعروف ابن الأثير الناشر: دار ابن حزم، الطبعة: الأولى سنة النشر: 1415هـ - 1994م.

13- العقد الفريد (ط. العلمية): أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي المحقق: مفيد محمد قميحة سنة النشر: 1404 - 1983.

14- البدعة واثارها الموبقة: جعفر السبحاني.

ص: 418

15- الخصال: الشيخ الصدوق ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي صححه وعلق عليه: علي اكبر الغفاري الناشر: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، سنة الطبع: 18 ذي القعدة الحرام 1403 - 1362 ش.

الخلاف: الشيخ الطوسي، الوفاة: 460 المجموعة: فقه الشيعة الى القرن الثامن تحقيق: جماعة من المحققين الطبعة: سنة الطبع: جمادي الآخرة 1407 المطبعة: الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

16- الصراط المستقيم: زين الدين أبي محمد علي بن يونس العاملي النباطي البياضي تحقيق محمد الباقر البهبودي.

17- الأمالي: شيخ الطائفة ابي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي، تحقيق و تصحيح: بهراد الجعفري - الاستاذ علي اكبر الغفاري الناشر: دار الكتب الاسلامية قم 1414 هجرية الطبعة: الاولى 1964 م.

آمالي الصدوق: تأليف: الشيخ الصدوق ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، قدم له: الشيخ حسين الأعلمي الناشر: منشورات مؤسسة الاعلمى للمطبوعات الطبعة: الاولى 2009.

18- الدولة الاسلامية شرح لعهد الامام علي (عليه السلام) الى مالك الاشر النخعي: الشيخ محمد الفاضل النكراني، تحقيق ونشر مركز فقه الائمة الاطهار (عليهم السلام) 1425 هـ.

19- الرقابة على السلع والأسعار في الفقه الإسلامي: ظاهر فريدة حسين طه رسالة ماجستير (نابلس، جامعة النجاح، 2011 م).

20- اسرار القيادة عند أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام): جميل كمال، الطبعة الاولى، إصدارات مبرة سيد الشهداء (عليه السلام) الكويت 2016.

21- الحكم الاسلامي في مدرسة الامام علي (عليه السلام): السيد محمد تقي المدرسي، الطبعة الأولى، 1431هـ، 2010م، مركز العصر للثقافة والنشر.

الامام علي دراسة لجوانب من الشخصية والمنهج السيد: محمد باقر الحكيم، منشورات تراث الشهيد الحكيم.

22- المحجة البيضاء في تهذيب الاحياء: تأليف المولى محسن الفيض الكاشاني صححه وعلق عليه: علي اكبر الغفاري الناشر: منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات الطبعة: الثانية 1983.

23- الحرية السياسية دراسة مقارنة في المعالم والضمانات: فاضل الصفار الناشر: دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، 2006م.

24- الدر المنثور: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفي: 911هـ) دار الفكر - بيروت، 2010هـ.

ايعان الشيعة: السيد محسن الامين تحقيق: حسن الامين الناشر: دار التعارف للمطبوعات سنة نشر: 1403 ق.

الكنى والالقباب: الشيخ عباس القمي منشورات مكتبة الغدير - طهران.

الغدير في الكتاب والسنة والادب تأليف: العلامة الشيخ عبد الحسين الاميني الناشر: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات الطبعة: الاولى المميزة 1994.

الاحتجاج: الشيخ احمد بن علي بن ابي طالب الطبرسي، من علماء القرن السادس الهجري الناشر: انتشارات الشريف الرضي، سنة الطبع شمسي 1380، 1960م.

الولاية وكتاب القضاة للكندي: المؤلف: أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي المصري (المتوفى: بعد 355هـ) تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، وأحمد فريد المزيدي الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، 1424هـ - 2003م.

المعجم الأوسط: المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ).

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين - بيروت الطبعة: الرابعة 1407هـ - 1987م.

المنجد في اللغة المؤلف: لويس معلوف: الناشر المطبعة الكاثوليكية، بيروت. الطبعة الخامسة 1986م.

التفسير الكاشف تأليف: الشيخ محمد جواد مغنية الناشر: مؤسسة دار الكتاب الاسلامي الطبعة: الرابعة 2007م.

الرائد معجم لغوي عصري المؤلف: جبران مسعود الناشر: دار العلم للملايين سنة النشر: 1992.

أساسيات الإدارة، علي السلمي،: مراجعة د. علي عبد المجيد، دار الكتب

المصرية،) القاهرة 1991م.

الاتجاهات الفكرية عند الامام علي (عليه السلام)، مركز الشهيدان الصدرين للدراسات والبحوث، بغداد 2007.

القيادة أساسيات ونظريات و مفاهيم. ماهر محمد صالح حسن عمان (الأردن): دار الكندي للنشر والتوزيع، 2004.

الإدارة المعاصرة: عادل ثابت، عمان (الأردن): دار أسامة للنشر، 2008.

الأخلاق والسير في مداواة النفوس، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفي: 456 هـ) الناشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت الطبعة: الثانية، 1399هـ - 1979م

الامام علي صوت العدالة الانسانية: جورج جرادق الاندلسي، بيروت لبنان، طبعة الاولى 2010، مطبوعات دار الاندلس النجف الاشرف.

الرّوْاشِحِ السَّمَاوِيَّةِ فِي شَرْحِ الْأَحَادِيثِ الْإِمَامِيَّةِ: تأليف العلامة الفيلسوف الالهي المير محمد باقر الحسيني المرعشي الداماد قدس سره دار الحديث للطباعة والنشر قم المقدسة الطبعة الاولى 1422هـ النور الساطع في الفقه النافع: اية الله الشيخ علي كاشف الغطاء، مكان النشر والناشر: النجف الاشرف: مطبعة الاداب تاريخ النشر: 1961م.

الدليل على موضوعات نهج البلاغة المؤلف: انصاريان علي الناشر: طهران تاريخ الطبع: 1978.

ص: 422

الاختصاص المؤلف: الشيخ المفيد الوفاة: 413 المجموعة: مصادر الحديث الشيعية القسم العام تحقيق: علي أكبر الغفاري، السيد محمود الزندي الطبعة: الثانية سنة الطبع: 1414 - 1993 م.

ارشاد القلوب المنجى من عمل به من أليم العقاب تأليف: الحسن بن ابي الحسن محمد الديلمي تحقيق: السيد هاشم الميلاني الناشر: دار الاسوة للطباعة والنشر التابعة لمنظمة الأوقاف والشؤون الخيرية الطبعة: الثانية 1424هـ.

العقل والجهل في الكتاب والسنة: المؤلف: محمد الريشهري، المجموعة: مصادر الحديث الشيعية القسم العام تحقيق: دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الأولى سنة الطبع: 1421 - 2000م.

المواعظ العددية: الحاج الميرزا علي المشكيني الأردبيلي، كتب الحديث والرواية.

الحجة في وجوب صلاة الجمعة: محمد مقيم اليزدي، الوفاة: 1084 المجموعة: فقه الشيعة من القرن الثامن.

التعريفات: المؤلف علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفي: 816هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة: الأولى 1403هـ - 1983م.

التحفة السنية: المؤلف: السيد عبد الله الجزائري: الوفاة: 1180 المجموعة: فقه الشيعة من القرن الثامن تحقيق: شرح الجزائري.

اللباب في علوم الكتاب المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفي: 775هـ المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة: الأولى، 1419هـ - 1998م.

المصباح المنير في غريب الشرح الكبير المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي، ثم الحموي، أبو العباس (المتوفي: نحو 770هـ) الناشر: المكتبة العلمية - بيروت.

أمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة: محمد الغروي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي سنة النشر: 1407 مكان الطبع: قم.

القاموس المحيط المؤلف: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي مجد الدين المحقق: محمد نعيم العرقسوسي الناشر: مؤسسة الرسالة سنة النشر: 1426 - 2005.

إحياء علوم الدين المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، المتوفي: 505هـ، الناشر: دار المعرفة - بيروت.

المدرسة الإسلامية رسالتنا: تأليف: الشهيد السيد محمد باقر الصدر الناشر: مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر الطبعة: الرابعة.

المحاسن المؤلف: أحمد بن محمد بن خالد البرقي الوفاة: 274 المجموعة: مصادر الحديث الشيعية قسم الفقه تحقيق: تصحيح وتعليق: السيد جلال الدين الحسيني (المحدث) الطبعة: سنة الطبع: 1370 - 1330 ش المطبعة:

الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران - إيران.

الهداية: الشيخ الصدوق الوفاة: 381 المجموعة: فقه الشيعة الى القرن الثامن تحقيق: مؤسسة الإمام الهادي (ع) الطبعة: الأولى سنة الطبع: رجب المرجب 1418 الطبعة: اعتماد - قم الناشر: مؤسسة الإمام الهادي (ع).

الحكم الاسلامي بين النظرية والتطبيق: محمد باقر الحكيم، منشورات مؤسسة الشهيد الحكيم (قدس)، المطبعة النخيل، الطبعة الثالثة.

الطرق الحكمية المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفي: 751هـ) الناشر: مكتبة دار البيان.

(ب)

25- بحار الانوار الجامع لدرر أخبار الأئمة الاطهار: الشيخ محمد باقر المجلسي، الناشر: دار احياء التراث العربي - بيروت لبنان الطبعة: الثالثة المصححة 1983.

بحوث في الفقه المعاصر. المؤلف: الشيخ حسن بن محمد تقى الجواهري، الناشر: دار الذخائر، بيروت. الطبعة: الاولى الموضوع: الفقه تاريخ النشر: 1419هـ

بحوث فقهية هامة تأليف: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي.

بدائع الكلام في تفسير آيات الاحكام تأليف: محمد باقر الملكي الناشر: مؤسسة الوفاء الطبعة: الاولى.

ص: 425

26- تفسير الميزان: للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي. مؤسسة الاعلمي، بيروت، الطبعة الثانية.

27- تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم: السيد حيدر الآملي، حققه وقدم له وعلق عليه: السيد محسن الموسوي التبريزي، الناشر: العهد الثقافي نور على نور الطبعة: الثانية

28- تحف العقول عن آل الرسول (ص): ابن شعبة الحراني، تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري الطبعة: الثانية سنة الطبع: 1404
- 1363 ش المطبعة: الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة

تأريخ اليعقوبي - تأليف أحمد بن يعقوب بن وهب المعروف ب (اليعقوبي) - تحقيق: عبد الامير المهنا - طباعة ونشر: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات - لبنان، بيروت، سنة 1883.

تهذيب التهذيب: المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفي: 852ه) الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية: الطبعة الأولى، 1326ه.

تحفة الاحباب وطرفة الأصحاب إلى ملحة الإعراب للحري، محمد بن محمد عمر بحرق الحضرمي، طبعة أولى، المطبعة الخيرية - مصر 1319 ه.

تهذيب الأحكام المؤلف: الشيخ الطوسي الوفاة: 460 المجموعة: مصادر الحديث الشيعية قسم الفقه تحقيق: تحقيق وتعليق: السيد حسن الموسوي

الخرسان الطبعة: الرابعة سنة الطبع: 1365 ش المطبعة: خورشيد الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران - إيران

تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق: المؤلف أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه الجاحظ (المتوفي: 421 هـ) حققه وشرح غريبه: ابن الخطيب الناشر: مكتبة الثقافة الدينية الطبعة: الأولى.

تهذيب اللغة المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، أبو منصور (المتوفي: 370 هـ) المحقق: محمد عوض مرعب الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى، 2001م.

توضيح نهج البلاغة تأليف: السيد محمد الحسيني الشيرازي الناشر: دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الأولى المحققة 2002م

تهذيب الاحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد: تأليف: شيخ الطائفة ابي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي ضبطه وصححه وخرج احاديثه وعلق عليه: محمد جعفر شمس الدين الناشر: دار التعارف للمطبوعات - بيروت لبنان الطبعة: الاولى 1992.

(ث)

ثلاثون وصية ووصية لتكون قائداً ناجحاً د. أبو القاسم أبو بكر طنطاوى تاريخ النشر: 1422 هـ / 2001م.

ص: 427

(ج)

29- جامع بيان العلم وفضله: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفي: 463هـ) تحقيق: أبي الأشبال الزهيري الناشر دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، 1414هـ - 1994م.

30- جامع السعادات: المولى محمد مهدي النراقي، دار النشر إسماعيليان قم المقدسة، سنة الطبع 1428.

(ح)

حياة الإمام الحسين عليه السلام: المؤلف: باقر شريف القرشي الناشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة الطبعة الثانية: 1429هـ.

31- دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية: الشيخ المنتظري، الناشر: دار الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية 1988.

32- دائرة معارف القرن العشرين: محمد فريد وجدي، سنة النشر: 1971.

(ح)

خصائص القيادة الاسلامية: محسن السماوي.

(د)

ديوان الأدب والفلسفة: السيد مهدي الحسيني: موقع اليكتروني.

ص: 428

دعائم الإسلام المؤلف: القاضي النعمان المغربي الجزء: 1 الوفاة: 363 المجموعة: مصادر الحديث الشيعية قسم الفقه تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي الطبعة: سنة الطبع: 1383 - 1963م المطبعة: الناشر: دار المعارف - القاهرة.

(ر)

رسائل الشهيد الثاني: تأليف: الشهيد الثاني الشيخ زين الدين بن علي العاملي، اشرف على التحقيق: رضا المختاري، تحقيق: مركز الابحاث والدراسات الاسلامية قسم احياء التراث الاسلامي الناشر: مركز انتشارات دفتر تبليغات اسلامي الطبعة: 1421هـ.

رسائل الشريف المرتضى تأليف: الشريف المرتضى اعداد: السيد مهدي الرجالي تقديم و اشراف: السيد احمد الحسيني الناشر: منشورات دار القرآن الكريم - قم المقدسة.

رسالة الخواص: السيد احمد الخاتمي. طبعة الاولى قم المقدسة.

رسائل فقهية المؤلف: الشيخ الأنصاري الوفاة: 1281 المجموعة: فقه الشيعة من القرن الثامن: تحقيق: لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم الطبعة: الأولى سنة الطبع: ربيع الأول 1414 المطبعة: باقري - قم الناشر: المؤتمر العالمي بمناسبة الذكرى المئوية الثانية لميلاد الشيخ الأنصاري.

33- روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه: تأليف: المولى محمد تقي المجلسي الاول تحقيق: علي بناه الاشتهاردي - حسين الموسوي الكرمانى

ص: 429

الناشر: بنياد فرهنگ اسلامي حاج محمد حسين كوشانيور الطبعة: الاولى.

رد المحتار علي الدر المختار شرح تنوير الابصار اسم المؤلف: محمد امين ابن عابدين التصنيف: طبعة دار الطباعه - مصر سنه 1855
اديان. علوم الدين - حنفي.

(ز)

زبدة البيان في أحكام القرآن: المحقق الأردبيلي، الوفاة: 993 المجموعة: فقه الشيعة من القرن الثامن تحقيق: تحقيق وتعليق: محمد الباقر
البهبودي، الناشر: المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية - طهران.

(س)

34- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (السلسلة الصحيحة) المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة
المعارف سنة النشر: 1415هـ - 1995.

سفينة البحار ومدينة الحكم والاثار تأليف: الشيخ عباس القمي: الناشر دار الاسوة للطباعة والنشر الطبعة: الثانية 1416.

(ش)

35- شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد المعتزلي تحقيق: محمد ابراهيم الناشر: دار الكتاب العربي - دار الاميرة للطباعة والنشر والتوزيع
الطبعة: الاولى 2007.

ص: 430

36- صفوة شروح نهج البلاغة: جمعة اركان التميمي، الناشر: د.م. تاريخ الطبع: 2000.

صناعة القائد: المؤلف: طارق السويدان - الناشر: دار الأندلس الخضراء سنة النشر: 1425 - 2004.

صحيح مسلم: المؤلف: مسلم بن حجاج المحقق: نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة الناشر: دار طيبة سنة النشر: 1427 - 2006.

37. عيون الحكم والمواعظ: فخر الدين أبو الحسن علي بن محمد بن الحسن الليثي الواسطي - المحقق: الشيخ حسين حسني البيرجندي الناشر: دار الحديث، الطبعة: الأولى 1376 هجري شمسي.

عمدة القاري شرح صحيح البخاري بالمؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفي: 855هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

عيون أخبار الرضا (ع) (المؤلف: الشيخ الصدوق الوفاة: 381 المجموعة: مصادر الحديث الشيعية قسم الفقه تحقيق: تصحيح وتعليق وتقديم: الشيخ حسين الأعلمي الطبعة: سنة الطبع: 1404 - 1984م المطبعة: مطابع مؤسسة الأعلمي - بيروت - لبنان الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان.

(ع)

غرر الفوائد ودرر القلائد: الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم الناشر: دار احياء الكتب العربية الطبعة: الاولى 1954.

(ف)

38- فقه الرضا: علي ابن بابويه القمي، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم المشرفة الطبعة الأولى، سنة الطبع شوال 1406 المطبعة: الناشر: المؤتمر العالمي للإمام الرضا (ع) مشهد المقدسة.

39- فقه الدولة بحث مقارنة في الدولة ونظام الحكم على ضوء الكتاب والسنة والانظمة الوضعية: فاضل الصفار: الناشر، دار الانصار مطبعة باقري، الطبعة الأولى 1426هـ - 2005م.

فقه العولمة دراسة اسلامية معاصرة: تأليف: السيد محمد الحسيني الشيرازي الناشر: مؤسسة المجتبي عليه السلام للتحقيق والنشر الطبعة: الثانية 2002

40- في ظلال نهج البلاغة: محمد جواد مغنية: الناشر: دار العلم للملايين - بيروت لبنان الطبعة: الثالثة 1979.

فيض القدير شرح الجامع الصغير المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفي: 1031هـ) الناشر: المكتبة التجارية الكبرى -

ص: 432

(ق)

قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد) طبع المطبعة المصرية الطبعة الأولى / 1351هـ. وصاحب الكتاب هو: محمد بن علي بن عطية أبو طالب المكي. توفي سنة (386هـ) ببغداد.

(ك)

41- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علاء الدين علي الممتقى بن حسام الدين الهندي البرهان فوري والمشهور بالمتقى الهندي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط دائرة المعارف العثمانية (النظامية) بحيدر آباد 1313.

(ل)

42- لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي. ولد في محرم سنة 430هـ / 1232م.

اللغة الادارة العامة في صدر الاسلام المؤلف: الهراوى، عبدالسميع سالم، المراجعة: عفاف توفيق، الهيئة المصرية). للكتاب، (مصر - 1986).

ص: 433

43- مفاتيح الجنان: للشيخ عباس القمي (رضوان الله عليه).

44- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: للعلامة المحقق ميرزا حبيب الله الخوئي: الطبعة الاولى 1422هـ، 2003م، دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر بيروت.

منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: تأليف: قطب الدين ابي الحسين سعيد بن هبة الله الراوندي تحقيق: السيد عبد اللطيف الكوهكمري باهتمام: السيد محمود المرعشي الناشر: منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي الطبعة: الاولى 1406.

منهاج الانظمة الاسلامية من رحاب اهل البيت، نظام الحكم والادارة، دراسة مقارنة: باقر شريف القرشي، الطبعة الاولى، 1431هـ، 2010، الناشر الرافد.

منهاج الاسلام في الحكم: أسد محمد، تحقيق منصور محمد ماضي، منشورات دار العلم للملايين، سنة الطبع 1983م.

من لا يحضره الفقيه تأليف: الشيخ الصدوق ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، اشرف على تصحيحه والتعليق عليه: العلامة الشيخ حسين الاعلمي الناشر: منشورات مؤسسة الاعلمى للمطبوعات الطبعة: الاولى 1986.

45- معجم المعاني: مروان العطية: الطبعة الأولى: 2012م.

46- معجم الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ المحقق: الشيخ

النشر الإسلامي الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم (الطبعة: الأولى، 1417هـ).

47- مجمع البحرين، الشيخ فخر الدين الطريحي المحقق: السيد احمد الحسيني الناشر: انتشارات مرتضوي المطبعة: طراوت طهران / إيران الطبعة: الثانية - 1365هـ.

48- مصباح البلاغة مستدرك نهج البلاغة الموسوم بمصباح البلاغة في مشكاة الصياغة من تأليفات حسن المير جهاني الطباطبائي المحمد آبادي الجرقوي الأصبهاني، طبع بتاريخ 1388هـ.

49- ميزان الحكمة: محمد الريشهري، الناشر: دار الحديث قم، الطبعة الأولى سنة النشر 1422هـ.

50- مستدرك الوسائل: لميرزا حسين النوري الطبرسي المعروف ب المحدث النوري من (علماء الشيعة) (المتوفي سنة 1320 هـ . سنة الطبع 1245 هـ، 1320 قم، مؤسسة آل البيت لأحياء التراث والنشر

51- مفردات القرآن: للراغب الاصفهاني: الناشر: دار القلم - الدار الشامية سنة النشر: 1430 - 2009.

52- مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة: سيد محمد تقى التقوي، الطبعة الاولى مؤسسة التاريخ العربي، سنة الطبع، 2015م، 1436هـ.

53- مختلف الشيعة في احكام الشريعة: العلامة الحلي ابي منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الاسدي الناشر: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم الشرفة الطبعة: الاولى 1372هـ.

54- معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي، الناشر: دار الغرب الإسلامي سنة النشر: 1993.

55- ملامح القيادة الناجحة في ضوء منهجية الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) مقارنات دراسية في سيكولوجية السلوك التنظيمي المعاصر: محمد عبد الرضا هادي الساعدي: الطبعة الاولى 1435هـ 2014م، مطبعة ذوي القربى.

56- موسوعة الإمام العسكري (ع): مؤسسة ولي العصر (عج) للدراسات الإسلامية، محل النشر قم المقدسة.

موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (ع) في الكتاب والسنة والتاريخ: محمد الريشهري، الناشر دار الحديث، الطبعة الاولى 1421هـ.

57- مكارم الأخلاق: تأليف الشيخ الجليل رضي الدين أبي نصر الحسن بن الفضل الطبرسي رحمه الله، سنة الطبع: 1392 - 1972م.

مبادئ علم الإدارة العامة: الدكتور سليمان محمد الطماوي، عميد كلية الحقوق جامعة عين شمس، الطبعة السابعة، مطبعة جامعة عين شمس 1987، دار الفكر العربي.

معجم الأدباء والسير: ياقوت الحموي المولود 1179م، والمتوفي

ص: 436

1228م، مطبوعات دار المأمون، مكتبة عيسى البابي الحلبي بمصر.

معجم المحاسن والمساوى: تأليف الشيخ ابو طالب التجليل التبريزي الناشر: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم
المشرفة الطبعة: الاولى 1417هـ.

مختار الصحاح المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفي: 666هـ) المحقق: يوسف الشيخ
محمد الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا الطبعة: الخامسة، 1420هـ / 1999م.

مدونة الاعجاز العلمي في القران والسنة: دكتور منصور ابو شريعة العبادي.

مسند ابن الجعد المؤلف: علي بن الجعد بن عبيد الجوهري البغدادي (المتوفي: 230هـ) تحقيق: عامر أحمد حيدر الناشر: مؤسسة نادر -
بيروت الطبعة: الأولى، 1410 - 1990.

موقع ولاية الفقيه في نظرية الحكم والإدارة في الإسلام: السيد جعفر مرتضى العاملي.

ما وراء الفقه تأليف: الشهيد السيد محمد صادق الصدر الناشر: دار الاضواء للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الاولى.

مهذب الأحكام في بيان الحلال والحرام تأليف عبدالاعلي موسوي السبزواري، تحقيق الحلبي، مؤسسة المنار. الناشر: موسسه تحقيقات و
نشر

ص: 437

مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة (فارسي): المنسوب للإمام الصادق (ع) (مترجم: كيلاني)، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات بيروت لبنان.

(ن)

ناسخ التواريخ - القسم المتعلق بحياة الإمام الحسين (عليه السلام) - المؤلف: ميرزا محمد تقي سيدهر، المعروف ب (لسان المُلْك). المترجم والمحقق: السيد علي جمال أشرف. الناشر: انتشارات مَدِين - قم المقدّسة. الطبعة: الأولى - سنة 1477هـ / 2007م.

58- نهج البلاغة: خطب وكتب الامام علي بن ابي طالب، تحقيق الدكتور صبحي الصالح، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثانية 1980.

59- نفحات الولاية شرح عصري جامع لنهج البلاغة: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: سنة الطبع الطبعة: الاولى 1426.

60- نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: الشيخ محمد باقر المحمودي الطبعة الأولى 1396 - 1976 دار التعارف للمطبوعات بيروت - شارع سوريا - بناية درويش.

نيل الأوطار المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفي: 1250هـ) تحقيق: عصام الدين الصبابي الناشر: دار الحديث، مصر الطبعة: الأولى، 1413هـ - 1993م.

نظام الحكم في الإسلام: محمد عبدالله العربي.

(هـ)

6 - هداية الأمة إلى أحكام الأئمة (ع): محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن الحسين المعروف بالشيخ الحر العاملي.

هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقاً: المؤلف: أبو أسامة، محمود محمد الخزندار (المتوفي: 1422هـ) الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية الطبعة: الثانية، 1417هـ - 1997م.

(و)

62. وسائل الشيعة: للشيخ المحدث محمد بن الحسن بن الحر العاملي، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لأحياء التراث بيروت، الطبعة الأولى 1413هـ - 1993، دار إحياء التراث العربي بيروت.

ص: 439

المحتويات

المقدم...7

تمهيد...11

إطالة على شخصية مالك الاشر (رضوان الله عليه)...11

الفصل الاول: مفهوم الإدارة والقيادة ومعانيهما

المبحث الاول مفهوم الإدارة وفيه مسائل

المسألة الأولى: الإدارة لغة...25

المسألة الثانية: الإدارة في الاصطلاح...26

المسألة الثالثة: مفهوم الإدارة في القرآن الكريم...27

المسألة الرابعة: مفهوم الإدارة في الروايات والأحاديث الشريفة...30

ص: 441

البحث الثاني مفهوم القيادة ومعانيها وإرتباطها بالإدارة

المسألة الأولى: مفهوم القيادة لغة

المسألة الثانية مفهوم القيادة في الاصطلاح

المسألة الثالثة في القرآن الكريم

المسألة الرابعة: مفهوم القيادة في الروايات الرشيفة

المسألة الخامسة: العلاقة بين الادارة والقيادة

المبحث الثالث مبادئ الادارة والقيادة في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الاشر (رضى الله عنه)

المسألة الأولى: الادارة من موقع العبودية (مبدأ الاعتقاد)...45

المسألة الثانية: وحدة الأوامر وسلسلة المراتب...48

المسألة الثالثة: تزكية النفس وكسر الشهوات...53

المسألة الرابعة: الراي العام ومبدأ التوقعات...60

المسألة السادسة: وسائل التحكم والسيطرة على النفس...71

المسألة السابعة: الانصاف والعدل مع الرعية...84

المسألة الثامنة: الانضباط والمساواة...88

المسألة التاسعة: معايير تقييم العاملين في المنظومة الإدارية...89

المسألة العاشرة: الرقابة والتحكيم والتقويم...92

المسألة الحادية عشر: التحفيز...94

ص: 442

المسألة الثانية عشر: تغليب المصالح العامة على المصالح الشخصية (الأرستقراطية)...97

المسألة الرابعة عشر: المركزية في القرار...105

المسألة الخامسة عشر: ستر العيوب...106

المسألة السادسة عشر: حفظ الأسرار...111

المسألة السابعة عشر: تأثير العلاقات القريبة للمدراء واهتمامهم بالعاملين معهم...113

المسألة الثامنة عشر: الإحسان والمرتب والمكافأة...11

المسألة التاسعة عشر: المشورة...120

المبحث الرابع سمات الشخصية الإدارية القيادية

المسألة الأولى: الدراية...133

المسألة الثانية: البصيرة...136

المسألة الثالثة: المعرفة...139

المسألة الرابعة: العدالة...142

المسألة الخامسة: القدرة على الأداء...148

المسألة السادسة: النزاهة...150

ص: 443

المسألة الأولى: حب الأنا والاحتكار والاستحواذ وحالة أم الاعتداد؟ بالرأي...155

المسألة الثانية: الرغبة في الشهرة والعجب بالنفس...156

المسألة الثالثة: ضيق الافق والتحجر...158

المسألة الرابعة: الغدر وعدم الوفاء...159

المسألة الخامسة: الأخلاق السيئة...161

المسألة السادسة: الحقد...162

المسألة السابعة: الغلظة والشدة في التعامل...164

المسألة الثامنة: أزمة الثقة...166

المسألة التاسعة: طرق تعزيز الثقة...166

المسألة العاشرة: اللجاج في الرأي...169

المبحث السادس المعايير الخلقية للشخصية الادارية القيادية في عهد الإمام (عليه السلام) المالك الأشتر (رضى الله عنه)

توطئة...171

المسألة الأولى: التقوى...172

المسألة الثانية: علاقة الإنسان مع خالقه...172

المسألة الثالثة: طرق توثيق العلاقة مع الله...174

المسألة الرابعة: الانتفاع من سنن الماضين...181

الفصل الثاني: مفهوم نظام الحكم ومعانيه

المبحث الاول مفهوم نظام الحكم

المسألة الأولى: مفهوم نظام الحكم في اللغة والاصطلاح...189

المسألة الثانية: مفهوم نظام الحكم في القرآن الكريم والروايات الشريفة...192

المبحث الثاني ضرورة وجود الحاكم ووظائفه الرئيسية في الدولة

المسألة الأولى: ضرورة الحكم ووجود الحاكم...201

المسألة الثانية: العلاقة بين الحاكم والأمة...203

المسألة الثالثة: واجبات الحاكم إزاء الأمة...206

المبحث الثالث مبادئ العلاقة في إدارة الواجبات

المسألة الأولى: الحقوق المتبادلة...211

المسألة الثانية: التسامح واللين...214

المسألة الثالثة: المساواة بين الناس في الحقوق...215

ص: 445

المبحث الرابع مفهوم الحكم في عهد الإمام (عليه السلام) إلى مالك (رضى الله عنه)

المسألة الأولى: عدم تشبه الحاكم بالله في جبروته لأن الحكم أمانة وتكليف إلهي...219

المسألة الثانية: موقع الرحمة في الحكم...222

المسألة الثالثة: الرؤية الفكرية في تقييم الآخرين...224

المسألة الرابعة: مبدأ العفو والصفح في التعامل مع الناس...227

المسألة الخامسة: عوامل نجاح الحاكم في المنظومة القيادية...230

المسألة السادسة: الكفاءة والالتزام بالمسؤولية...237

المسألة السابعة: محاربة الله سبحانه وتعالى...239

المسألة الثامنة: التنزه عن الصفات السلبية ونبذ سياسة ردود الأفعال...242

المسألة التاسعة: المسؤولية والاستبداد...244

المسألة العاشرة: معالجة أمراض السلطة...246

المسألة الحادية عشر: إنصاف الحاكم وظلمه...248

المسألة الثانية عشر: ظلم العباد و حلول العقوبة الالهية...251

المسألة الثالثة عشر: غض النظر والتغافل...255

المسألة الرابعة عشر: الاستعانة بأصحاب التجربة والخبرة...257

المسألة الخامسة عشر: معيار نجاح الولاية...264

المسألة السادسة عشر: صفات المقربين من الحاكم...267

المسألة السابعة عشر: ثقة الحاكم بالامة...274

المسألة الثامنة عشر: وسائل تحقيق حسن ظن الحاكم بالرعية...275

المسألة التاسعة عشر: المعيار في حسن الظن وسوء الظن...:281

المبحث الأول السياسة المالية / توفير الإيرادات المالية

المسألة الأولى: الخمس والزكاة...294

المسألة الثانية: الجزية...294

المسألة الثالثة: الركاز والمعادن...303

المسألة الرابعة: الفبيء...303

المسألة الخامسة: الغنائم...307

المسألة السادسة: مال الخراج والمقاسمة...309

المسألة السابعة: سياسة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في الخراج...310

المسألة الثامنة: سياسة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيت مال المسلمين ومصارفه...322

المبحث الثاني السياسة الحربية المتمثلة بالجهاد توفير الأمن والدفاع

المسألة الأولى: مفهوم الجهاد لغة وشرعا...333

المسألة الثانية: أهمية الجهاد في الاسلام...334

المسألة الثالثة: أقسام الجهاد...336

المسألة الرابعة: الأدلة في فضيلة الجهاد...344

المبحث الثالث التنمية البشرية والإصلاح الاجتماعي

المسألة الأولى: معاني الإصلاح اصطلاحاً...365

المسألة الثانية: الإصلاح في الكتاب العزيز والروايات المطهرة...366

المسألة الثالثة: مبادئ الإصلاح...370

المسألة الرابعة: تقسيمات الإصلاح...376

المبحث الرابع التنمية الاقتصادية

المسألة الأولى: عناصر التنمية الاقتصادية...391

المسألة الثانية: الآداب والقيم الأخلاقية للنشاط الاقتصادي...404

الخاتمة...411

ص: 448

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
(التوبة : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمة لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجاناً. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والندور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضاً الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟
ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟
تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلا:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبحان
الغمامة



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

